T.C.
BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

ŞEYHÜLİSLAM ZEKERİYYA EL-ENSARÎ VE TEFSİRCİLİĞİ

MAHMUD RUCCU

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN
DR. ÖĞR. ÜYESİ MEHMET ZÜLFİ CENNET

BİNGÖL-2022

T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

TEFSİR BİLİM DALI

ŞEYHÜLİSLAM ZEKERİYYA EL-ENSARÎ VE TEFSİRCİLİĞİ

MAHMUD RUCCU

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN

DR. ÖĞR. ÜYESİ MEHMET ZÜLFİ CENNET

BİNGÖL-2022

الجمهورية التركية

جامعة بينكول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم التفسير

جهود شيخ الإسلام زكريًا الأنصاري ومنهجه في التَّفسير

إعداد

محمود عبد الله رجو

رسالة ماجستير

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد زلفى جنت

2022- بينغول

المحتويات

المحتويات I
BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ IV
Tez Kabul ve Onay Sayfası V
ÖZET VI
Summary of the research VII
ملخص البحث VIII
اختصارات IX
مقدمة X
مدخل ١
أسباب اختيار الموضوع: ٢
أهمية البحث ٣
الـهدف ٤
منهجيّة البحث ٥
نظرة عامة حول موضوع البحث ٦
الدراسات السابقة ٧
الفصل الأول: سيرته وآثاره العلمية ١٠
المبحث الأول: عصره وبيئته ١١
المطلب الأول: الحالة السياسية ١١
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية ١٨
المطلب الثالث: الحالة العلمية ٢١
المبحث الثاني: سيرته الشخصية ٢٤
المطلب الأول: نسبه وحياته ٢٤
المطلب الثاني: صفاته وأخلاقه ومذهبه وتصوّفه ٢٨
المبحث الثالث: سيرته العلمية ٣٥
المطلب الأول: مرحلة التحصيل ٣٥
المطلب الثاني: العطاء العلمي (التدريس) ٣٩

المطلب الثالث: شيوخه..... ٤١
المطلب الرابع: تلامذته..... ٤٤
المبحث الرابع: المسلك الوظيفي..... ٤٦
المطلب الأول: أشهر الأعمال والوظائف التي تقلدها..... ٤٦
المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه..... ٤٧
المطلب الثالث: مصنفاته وآثاره العلمية..... ٤٩
الفصل الثاني: جهوده في التفسير ومنهجه فيه..... ٥٣
المبحث الأول: جهوده وآثاره في التفسير..... ٥٣
المطلب الأول: تعريف بكتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن..... ٥٧
المطلب الثاني: تعريف بكتابه إعراب القرآن العظيم..... ٧٩
المطلب الثالث: تعريف بحاشيته فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل..... ٨٧
المطلب الرابع: تعريف برسالته شرح البسملة والحمدلة..... ٩٠
المطلب الخامس: نموذجا من أقواله في التفسيرفي منحة الباري بشرح صحيح البخاري..... ٩١
المطلب السادس: المصادر التي اعتمد عليها في التفسير..... ٩٥
المبحث الثاني: منهجه في التفسير..... ٩٨
المطلب الأول: منهجه في تفسير القرآن بالقرآن..... ١٠٤
المطلب الثاني: منهجه في تفسير القرآن بالرواية..... ١٠٩
المطلب الثالث: منهجه في الإسرائيليات..... ١١٢
المطلب الرابع: منهجه اللغوي..... ١١٥
المطلب الخامس: منهجه البلاغي..... ١٢٧
المطلب السادس: مسائل متفرقة من العقائد والفقه ومن شرح المفردات..... ١٣٥
المبحث الثالث: أنواع علوم القرآن التي تلاحظ في مصنفاته..... ١٣٨
المطلب الأول: المحكم والمتشابه..... ١٤٠
المطلب الثاني: أسباب النزول..... ١٤٣
المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ..... ١٤٨
المطلب الرابع: إعجاز القرآن..... ١٥١
خاتمة البحث ونتائجه..... ١٥٧

المصادر والمراجع ١٥٩
ÖZGEÇMİŞ..... ١٧٥

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans Tezi olarak hazırladığım *"Şeyhülislam Zekeriya el-Ensarî ve Tefsirciliği"* adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

29/12/202

Mahmud RUCCU

İmza

ÖZET

"Şeyhülislam Zekeriya el-Ensarî ve Tefsirciliği" başlıklı bu araştırma, el-Ensarî'nin hayatını, ahlakî ve ilmî şahsiyetini, yaşadığı dönemin genel durumunu ele almaktadır.

muhtelif ilim dallarında yetkin olan el-Ensarî'nin Tefsir, Ulumu'l-Kur'an, Akaid, Mantık, Fıkıh, Fıkıh Usulü, Belagat ve Tasavvufa dair çalışmalarına da değinen bu araştırma, özellikle "*Fethur'Rahman bi keşfi ma yeltebisu fi'l-Kur'an", "Fethu'l-celil"* haşiyesi, *"İ'rabul-Kur'an"* ve "*Mukaddimetun fi'l-besmele ve'l-hamdele*" adlı Tefsir eserlerinin tanıtımına ayrı bir özen göstermiştir.

el-Ensarî'nin Tefsir yöntemine yoğunlaşan bu araştırma, müfessirin *Minhetu'l-bârî bi şerhi sahihi'l-Buharî* adlı eserindeki Tefsire dair görüşlerine değindikten sonra Tefsir yöntemini, kaynaklarını, İsrailiyata karşı duruşunu, belağî ve lugavî tahlillerini ele almaktadır. Ayrıca Muhkem-Müteşabih, Sebeb-i Nüzul, Nasih-Mensuh gibi Kur'an İlimleriyle ilgili görüşlerini de incelemektedir.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Zekeriya el-Ensarî, Lafzî Müteşabih, İ' cazu'l-Kur'an, Nesih, Mecaz

Summary of the research

The research in this thesis dealt with the biography of Sheikh Al-Ansari and his scientific effects, his time, his environment, and the political, social, economic and scientific situation in his time. Talking about his personal biography revolved around a group of themes from lineage, life, offspring, traits, morals, doctrine, mysticism, to his works and scientific achievement and his sheikhs in mysticism, jurisprudence, hadith, the Holly Qur'an reading methods, grammar and logic, and his students and his career, and the tasks he assumed and positions he occupied, as well as mentioning the scholars' praise for him, his works and scientific effects on interpretation (Tafsir), the sciences of the Qur'an, faith, logic, jurisprudence and its rules, rhetoric, mysticism, statutes, arithmetic, and search methodology.

The research dealt with talking about Al-Ansari's efforts in interpretation (Tafsir) and his method in it by introducing his book "Fathur'Rahman Bikeshfi Ma yeltabisu fi'l-Qur'an" and by mentioning its scientific value and talking about its content.

As well as introducing his book"I'rabul-Qur'an" and "Fethu'l-jalil" postscript, and introducing and explaining his message " the Basmalah and Hamdala."

The research dealt with some of his sayings in the interpretation (Tafsir) as in the book "Menhatul Bari". And as for his approach to interpretation (Tafsir), the research dealt with the sources and methods of interpretation according to Al-Ansari, including his approach to interpreting the Qur'an by the Qur'an, and the interpretation of the Qur'an by narration, his approach to the Israelites, his linguistic and rhetorical approach, and speaking on some random issues of beliefs, jurisprudence and explanation of vocabulary.

The research also dealt with the sources that he relied on in the interpretation (Tafsir), and the types of sciences of the Qur'an that are noted in his works, including (Muhkem) clear and (Mutashabih) allegorical, and the reasons for its revelation, abrogator and abrogated, and the research ended with a conclusion and results and mentioned the sources and references that were used.

Keywords: interpretation, Zakaria Al-Ansari, morphological allegories, the miracle of the Qur'an, abrogation, metaphor.

ملخص البحث

تناول البحث في هذه الرسالة الكلام على سيرة الشيخ الأنصاري وآثاره العلمية، وعصره، وبيئته، والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في عصره، وكان الكلام على سيرته الشخصية يدور على مجموعة من المحاور من النسب والحياة والذرية والصفات والأخلاق والمذهب والتصوف والمصنفات، والسيرة العلمية من مرحلة التحصيل إلى العطاء العلمي، وشيوخه في التصوف والفقه والحديث والقراءات والنحو والمنطق، والكلام على تلامذته ومسلكه الوظيفي ، وما تقلّد من مهام وتبوأ من مناصب ، وكذلك ذكر ثناء العلماء عليه ، ومصنفاته وآثاره العلمية في التفسير وعلوم القرآن والعقيدة والمنطق والفقه و أصوله والبلاغة والتصوف والفرائض والحساب وآداب البحث.

وتناول البحث الكلام على جهود الأنصاري في التفسير ومنهجه فيه من التعريف بكتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن بذكر قيمته العلمية والكلام على محتواه.

وكذلك التعريف بكتابه إعراب القرآن العظيم، والتعريف بحاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، والتعريف برسالة شرح البسملة والحمدلة.

وتناول البحث بعض أقواله في التفسير كما في منحة الباري بشرح صحيح البخاري، وأما عن منهجه في التفسير فقد تناول البحث الكلام على مصادر ومناهج التفسير عند الأنصاري، ومنها منهجه في تفسير القرآن بالقرآن وفي تفسير القرآن بالرواية، ومنهجه في الإسرائيليات، ومنهجه اللغوي والبلاغي، والكلام على بعض المسائل المتفرقة من العقائد والفقه وشرح المفردات.

ومن جملة ما تناول البحث الكلام على المصادر التي اعتمد عليها في التفسير، وأنواع علوم القرآن التي تُلاحظ في مصنفاته من محكم ومتشابه وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ، وختم البحث بخاتمة ونتائج ثم مصادر ومراجع.

كلمات مفتاحية: تفسير، زكريا الأنصاري، المتشابه اللفظي، النسخ، المجاز، إعجاز القرآن.

اختصارات

ج: الجزء

ص: الصحيفة

ت: تاريخ الوفاة

تح: تحقيق

د: دار النشر

ط: الطبعة

ت/ط: تاريخ الطبع

ب/ت/ط: بدون تاريخ الطبع

ت/ن: تاريخ النشر

هـ: التاريخ الهجري

م: التاريخ الميلادي

﴿...﴾: للنص القرآني

للحديث النبوي الشريف(...) :

"...": لتمييز النص المنقول أو الكلمة المراد إيضاحها

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين سيدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

أنزل الله تعالى القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم هدًى للناس، وأمره أن يبلغه ويبينه فقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} النحل ٤٤/١٦. فكان صلى الله عليه وسلم يبيّنه قولاً

وعملاً لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، فتلقوه عنه صلى الله عليه وسلم واشتغلوا به تلاوة وعملاً وتبليغا وتفسيراً لمعانيه.

وكذلك نهج التابعون وأتباعهم من بعدهم رضي الله تعالى عن الجميع، وعلى مَن جاء بعدهم مِن العلماء والمفسرين.

وكان ممن اعتنى بتفسير القرآن وبيان معانيه وحكمه وأحكامه: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري - رحمه الله تعالى- وهو من العلماء الذين صنّفوا في العديد مِن العلوم، ولكنّه أكثر ما اشتهر به الفقهُ على مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وله من بعده عناية بالتفسير، فوضع بعض المصنفات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.

وإنّ جميع ما كُتب من التفاسير لم يُحط بما أودعه الله تعالى في القرآن مِن الحكم والأحكام والمعارف والأسرار؛ بل إن ما حوته جميع المصنفات التفسيرية للقرآن ليست إلا غيضٌ مِن فيضٍ، وإنّ أوسع تفسير للقرآن الكريم هو الدهر بما فيه من أطوار وأحداث وتقلّبات، يعني أن العلوم والمعارف والأفكار والحوادث والتجارب التي تتجدّد في الزمن هي عوامل هامّة في شرح وتفسير معاني القرآن الكريم، وكل حِقبة من هذه الأزمان تكشف عن سرٍّ مِن أسرار القرآن التي لم يدركها المفسرون مِن قبلُ.

وسيتناول هذا البحث منهج الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى، وسيرته الشخصيّة والعلمية، ومَن أخذ العلم عنه من الشيوخ ومَن تلقّى عنه مِن الطّلّاب، وفيه كذلك لمصنّفات الشيخ زكريا المتعلّقة بالتفسير، مقرونة بالمنهج الذي سلكه في تصنيفها، وبالإضافة إلى بيان المصادر التي اعتمد عليها مِن مؤلّفات مَن سبقه، فيتعرّض لإعجاز القرآن الكريم، والمتشابهات في القرآن، وكذلك سيذكر أشهر المسائل اللغوية، بالإضافة إلى متفرّقات مِن الموضوعات الأخرى.

وفيه توضيح وتعريف لجهود ومنهج الأنصاري بكتاب **"فتح الرحمن بكشف ما يلتبس بالقرآن"** ولكتابه **"إعراب القرآن"** وكذلك لكتابه **"حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار**

التنزيل" و**"مقدمة البسملة والحمدلة"** وبعض من أقواله في كتابه **"منحة الباري بشرح صحيح البخاري".**

ويرجو الباحث أن تكون هذه الرسالة مقدمة لأبحاث وجهود أخرى تتعلق في التفسير وأن تكون هذه الرسالة فاتحة لدراسات أخرى عن المنهج المميز الذي سلكه الأنصاري.

أشكر الله تبارك وتعالى على نعمه وتوفيقه لي حيث قال جلّ جلاله: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} الشعراء:٧.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لوالديّ الذين منحاني وأمداني بالدعاء والتشجيع على السير في طريق طلب العلم وخدمته، فلهما الفضل والأجر.

وأشكر جامعة بنغول، رئاسة، وأساتيذ، وموظفين، وبالأخص عمادة كلية العلوم الإسلامية، وعميدها الأستاذ البرفسور مصطفى آكَاه، والأستاذ المساعد الدكتور محمد زلفي جنت، الذي يشرف على هذا البحث؛ ولما قدمه لي من نصح وفوائد وتشجيع ومراقبة لهذا البحث.

وأشكر كل من مدّ يد العون لي وأعانني ووجهني بفكرة، أو بكلمة، أو دعوة، وجزى الله تعالى الجميع خير الجزاء والحمد لله رب العالمين.

وأتقدّم بإهداء هذا البحث إلى سيدي وشيخي الذي ساق اللـهُ تعالى إليَّ الخيرَ ببركته، ودفع عنّي السوء بدعواته، وأكرمني بإرشاداته وتوجيهاته. وهو العالم الرّباني الشّيخ أحمد فتح الله جامي الذي دأبَ على التّوجيه للقرآن، وصنّف في ذلك مصنّفاتٍ تهدف إلى التّمسك بهدي القرآن وإرشاده. وإنّي أسأل الله تعالى أن يحفظه ويمدّ في عمره مع الصّحّة والعافية. ثمّ إلى سيدي وشيخي الذي وجّهني نحو العلم والعمل بمقتضاه، من خلال ترجمة علمه ومعرفته إلى سلوك عمليّ خالص، تجسّد في شخصه قبل دعوة الآخرين إليه، وهو الشيخ محمد عبد الله رجّو.

مدخل

يتناول الباحث في هذا البحث الكلام بمقدّمة ومدخل وتوزّعت أبحاثه على فصلين، الفصل الأول تضمن أربعة مباحث؛ الأول منها بيان عن أشهر الأحوال التي رافقت حياة الشيخ زكريا الأنصاري؛ وهي الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية. والمبحث الثاني لسيرته الشخصية؛ وفيها توضيح لصفاته وأخلاقه ومذهبه وتصوفه. وأما المبحث الثالث سيكون فيه بيان عن سيرته العلمية منذ الطلب وحتى التصنيف مع ذكر شيوخه وتلامذته. فيما اختصّ المبحث الرابع والأخير في هذا الفصل لذكر الوظائف والأعمال التي تقلدها وثناء العلماء عليه مع ذكر مصنفاته.

وأما الفصل الثاني فتناول الكلام على جهوده ومنهجه في التفسير، وما استعمله من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم. وقد توزّع هذا الفصل على مبحثين اثنين؛ الأوّل منهما اهتمّ بالكشف عن جهوده وآثاره التفسيرية، من خلال مصنّفات الشيخ والتعريف ببعضها مما يختصّ بالتفسير خاصة كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن وحاشية "فتح الجليل" وكتاب "إعراب القرآن". ورسالته "شرح البسملة والحمدلة" وببعض أقواله في تفسيره من "كتابه منحة الباري بشرح صحيح البخاري"، والمبحث الثاني لبيان المنهج الذي سلكه في التفسير من تفسيرالقرآن بالقرآن وبالرواية وذكر الإسرائيليات ومنهجه اللغوي والبلاغي وبعض المسائل المتفرقة في العقيدة والفقه وشرح بعض المفردات القرآنية ومصادره، ومالاحظه الباحث من علوم القرآن في مصنفاته؛ فيتكون من عدّة مطالب ذُكر فيها المحكم والمتشابه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمجاز والاستعارة والتشبيه. وأخيرا الخاتمة وفيها ملخّص لأهمّ نتائج البحث. وانتهى بيان مصادر ومراجع البحث.

أسباب اختيار الموضوع:

لا بد لكل باحث عندما يتناول الكلام على أمر ما من دوافع تدفعه لذلك ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع والكلام عليه ما يلي:

المكانة العلمية للشيخ زكريا الأنصاري - رحمه الله تعالى – لما كان له من مكانة، فهو من كبار العلماء، ومن أئمة الفقه والتفسير، ومحاولة إبراز دوره في جانب التفسير، و جهوده ومنهجه وطريقته فيه، وهذا كان من أبرز الدوافع لذلك أوليت هذه الناحية اهتماماً بالغاً، مع رغبتي الجادَّة في بحث هذا الموضوع، لما له من أهمية عظيمة بين العلوم ، وتشجيع بعض من الأساتذة الأفاضل، فقد كنت أبحث عن موضوع يصلح ليكون أطروحة في المرحلة التي أطلب العلم فيها، وقناعتي بأهمية هذا الموضوع وبجدوى العمل فيه، فانشرح صدري لذلك، وأقدمت عليه مستعينًا بالله، ورغبتي بالازدياد بالاطلاع على سير أهل العلم والعمل للاستفادة منها في الحياة، كما كان اختياري هذا وفاءً لرجال هذه الأمة، الذين قضوا حياتهم في خدمة الإسلام، وشهرة الشيخ في شتى نواحي العلم والمعرفة الإسلامية. فكان من الواجب إبراز جهوده وشخصيته بالدراسة والبحث.

أهمية البحث

تظهر أهمية هذا البحث من كونه يتناول الكلام على أشرف وأعلى العلوم رتبة ومنزلة حيث الكلام فيه على تفسير كتاب الله تعالى وعلوم القرآن.

وكذلك ما تناوله من دراسة للكشف عن المنهج الجهود التي بذلها الأنصاري، ومحاولة إزالة اللبس والغموض عند من التبس أو غمض عليهم في آيات القرآن حول المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وشرف العلم بأسباب النزول، لشرف التنزيل، وشرف العلم مبني على شرف المعلوم، ولا شيء أشرف وأجل مما تكلم به سبحانه، أعني كلامه الذي (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**)، فخير ما بذلت فيه الجهود، وصرفت فيه الأعمار الاشتغال بكتاب الله تعالى العزيز وفهمه وتدبره.

وكذلك تظهر أهمية هذا البحث من عنايته بكتاب الله تعالى ودراسة آياته، وبيان توافقها وتعاضدها، وأنها في غاية الإحكام، وبيان أن التعارض في الأدلة الشرعية تعارض صوري من جهة نظر المجتهد، إذ لا يوجد في القرآن الكريم تناقض حقيقي حيث أن القرآن كتاب معجز لا تناقض ولازيادة فيه ولا نقص، وإنما هو كتاب كامل متكامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزل الحكيم الحميد.

ومن أهميته كذلك الكشف عن المكانة الجليلة التي يتمتع بها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى في العلوم الشرعية عامّة، وفي التفسير خاصّة، وإيضاح الأهمية العلمية لمنهجه في التفسير من خلال كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" وبقية كتبه الأخرى في هذا العلم الجليل؛ وذلك لبيان منهجه في التفسير والاستفادة منه.

ومن دواعي أهمية هذا البحث توالي الجهود في البحث لشحذ الهمم لطلبة العلم لربط الحاضر بالماضي حيث أن القاعدة التي تحكم رقي الأمم هو بناء الحاضر على أسس متينة من جهود رجالات الماضي لأن هذه الأمّة لها خصوصية بأن لا يصلح أخرها إلا بما صلح به أولها.

الـهدف

تناول الباحث في بحثه الكلام عن شخصية من الشخصيات العظيمة في أشرف علم من علوم الدين ألا وهو تفسير كتاب المولى الجليل، فيكون له أهداف متعددة منها:

الهدف الأول من هذا البحث إبراز جهود ومنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى، والثاني الكلام على آثاره العلمية المتميّزة في علوم الشريعة واللغة، والثالث التعريف بمنهجه في التفسير وطرفاً مِن العلوم التي تُلاحظ في هذا المنهج، وخاصة في حلّ الالتباس المتوهّم في القرآن الكريم، والكشف عن أسباب الاختلاف والتعارض، ومسلكه في كشف ذلك وتفسيره؛ لإظهار أن الالتباس في القرآن يحدث من خارجه بسبب التوهّم الحاصل في الأذهان، لا من القرآن ذاته، والرابع علّ ما قمت به البحث و الدراسة في هذا الموضوع تكون حافزا لمن يطالعها ليستحثِّ الهِمم ، وعساها تكون دافعا لمثل هذه الجهود النيرة لخدمة كتاب الله تعالى. ولإبراز شخصية الأنصاري المتميزة.

منهجيّة البحث

تتعدد المنهجيات في البحوث العلمية من وصف واستقراء وتحليل وتاريخ وغيرها من طرق البحث المتعددة حيث لكل دراسة منهج أو أكثر يناسب نوع الدراسة ومادة البحث ولقد اتبع الباحث في بحثه هذا أكثر من طريقة حيث تعددت الطرق في البحث لتنوع الكلام على مضمون المادة المدروسة فاتبع الطريقة التحليلية عندما تحدث الباحث على النصوص وقام بتحليلها، وبين الجهود من خلال كتبه التفسيرية وإظهار مابذله الأنصاري من جهود فيها، والمنهجية التفسيرة لدى المؤلف من المناهج التي اتبعها في تفسيره، واتبع الطريقة التاريخية في تناوله لما هو تاريخي في البحث من أحداث أو وقائع تتعلق بالشخصية التي تناول الباحث الحديث عليها، وبينها وبين زمنها، واتبع الطريقة الوصفية فيما يحتاج من فقرات الى الوصف.

وتمّ في هذا البحث عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم، بذكر اسم السّورة مع رقمها ورقم الآية.

وفيما يختصّ بالأحاديث النبويّة الشّريفة، فقد خُرّجت من مصادرها الأصليّة وليس من المصادر التي نقلت عنها، وهذه خلاصة منهجية الباحث في بحثه.

نظرة عامة حول موضوع البحث

هذا البحث عبارة عن دراسة تناولت علماً من أعلام هذه الأمة، تمثلت في الكلام عن شخصية الشيخ الأنصاري، وكذلك الكلام عن جهوده ومنهجيته العلمية المتميزة، وعن أثاره التي أثْرَت المكتبة الإسلامية برافدٍ يُعد من أقوى الروافد العلمية. وهي مثالٌ يُحتذى من قبل طلاب العلم وروّاد المعرفة. وهذا البحث عصارة جهد قام به الباحث محاولاً الإلمام والإحاطة بأقل ما يمكن أن يفي بالقليل من حق هذا العالم الجليل على طلاب العلم وكتّاب الأبحاث العلمية.

الدراسات السابقة

لابد لكل باحث قبل البدء بالكتابة على مادة بحثه من الإطلاع على الجهود التي سبقت رسالته ليبني على ماسبق أو يستنبط بعض الأفكار ويبني عليها أو يستفيد من بعض التفاصيل التي تهم الباحث والبحث، فبعد البحث والتتبع لما كُتب حول الشيخ زكريا الأنصاري ومنهجه في تصنيفه لما يتعلّق بالقرآن وتفسيره ما وجدتُ تحقيقات ودراسات علمية استقلت بدراسة منهجه التفسيري. والذي وجدّته من ذلك عبارة عن رسائل وأبحاث تناولت التحقيق لبعض كتبه؛ منها تحقيق كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"، وهي موجزة في الكشف عن منهج المصنف في الكتاب؛ ومعظم هذه الدراسات إنما هي عبارة عن تحقيق لكتبه المخطوطة. ومن هذه الدراسات:

ـ "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري" كتاب جلُّ تفسيره في المتشافه اللفظي، ولم يستوعب تفسيره جميع آيات القرآن الكريم، ولا يخلو الكتاب عن المسائل التفسيري لبعض المفردات من غير المتشابه وعن المسائل النحوية والبلاغية والعقائدية والفقهية وغيرها، وحقق ودرس هذا الكتاب من جوانب، وقد ذكر المحقق مقدمة بين فيها جهود الأنصاري وما يحتويه الكتاب بشكل مختصر. قدم له وحققه وعلق عليه: عبد السميع محمد أحمد حسنين رحمه الله تعالى، وهو رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، بإشراف عبد الغني الراجحي رحمه الله تعالى. وقام بتحقيقه أيضا: الشيخ محمد علي الصابوني رحمه الله تعالى، فحقّقه وطبعه وكتب مقدمة له وضّح فيها مكانة الكتاب وقيمته ومكانة الشيخ زكريا الأنصاري العلمية وثناء العلماء عليه، ولم يوضّح منهجه في الكتاب.

وأجريت فيه دراسة دلولة قادري (رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر، ٢-١١، ٢-١٢، باسم" الفكر اللغوي عند الشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري في كتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " اعتني بهذه الدراسة بالمنهج الوصفي الذي يُعنى بوصف الظاهرة النحوية وما يتضمنه من الإشارات النحوية والاتجاهات النحوية والصرفية للمصنف وكذلك موقف المصنف من المدارس النحوية، ومذهبه النحوي مع ذكر حياة الشيخ زكريا الأنصاري وآثاره.

ـ كتاب شرح البسملة والحمدلة للأنصاري، دراسة وتحقيق عبد الملك سالم عثمان الجبوري وعبد السلام مرعي جاسم المولى، في جامعة الموصل كلية التربية ـ قسم علوم القرآن. قامت هذه الدراسة في البحث عن حياة المؤلف الأنصاري وسيرته العلمية ونشأته العلمية، ولمحة عن النص المحقق، وعن المنهجية التي سار عليها المؤلف وهو يشرح البسملة والحمدلة. وختمت هذه الدراسة بذكر المحقق للنصوص القرآنية والحديثية، وترجمة الأعلام المذكورين فيها.

ـ ثبت شيخ الإسلام القاضي زكريّا الأنصاري، خرجه الحافظ السخاوي (ت: ٩٠٢هـ).
وقد أجريت هذه الدراسة بتحقيق هذا الثبت من قبل محمد بن إبراهيم الحُسين حول ترجمة المؤلف منذ نشأته وطلبه للعلم وثناء العلماء عليه وآثاره، وبيان مخرّج هذا الثبت وذكر سنده. وهو من الأثبات القيمة النافعة حيث يذكر فيها علوّ أسانيده واتصالها، وذكر إسناده بالحديث المسلسل بالأولية والمصافحة وسلسلة الفقه المتصلة بالإمام الشافعي ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث المسلسل بالفقهاء وسلسلة القراءات وإسناده في قراءة القرآن المجيد، وذكر الكتب والمصنفات التي حصل عليها القاضي زكريا وسنده فيها مع أسماء شيوخه مرتبة بالترتيب الأبجدي.

ـ حاشية فتح الجليل ببيان خفيّ التنزيل، للمحقق محمد فاضل جيلاني الحسيني التيلاني، في مركز جيلاني ـ اسطنبول. وقد حقق الكتاب مع ترجمة مختصرة للمصنف وتعريف بالحاشية التي وضعها الشيخ الأنصاري على تفسير القاضي البيضاوي. بين فيها النواحي الإعرابية والبلاغية، بأن يشرح ما أشكل منها ويتمّم ما نقص منها، ويذكر الكلمات التي ذكرها البيضاوي بدون شرح، فيشرحها مع بيان مصادرها، ويأتي بالحديث الوارد أثناء التفسير فيشرح مايحتاج إلى شرحه مع ذكر أقوال العلماء من أهل الحديث فيه، مع بيان سيرته بشكل مختصر. ويتعرض لوجوه القراءات ويرجّحها ويكشف ما كان غامضاً مِن مسائل الكتاب مِن الدّرّ المكنوز في الخبايا وغير ذلك.

وتعددت الرسائل بأجزاء من هذا التفسير، منها ما تمّ في الجامعة الإسلامية في بغداد في كلية الآداب للجزء الأول منه ـ رسالة دكتوراه ــ دراسة وتحقيق، قام بدراسة هذا الجزء عبد الله بن محمد حسن حميد بإشراف النعيمي ياسر إحسان رشيد.
وفي الجامعة ذاتها أُجريت دراسة وتحقيق أخرى لسورتي آل عمران والنساء، وهي رسالة ماجستير عمل بها محمد حمدي عبيد، بإشراف نصير خضر.

ـ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغيّة ــ رسالة ماجستير ــ صالح بن عبد الله بن محمد الشثري بإشراف محمد أبو موسى، المملكة العربية السعودية كليّة اللغة العربية في قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد، عام ١٤٢٢هـ، وقد بدأت بموجز عن معنى المتشابه، وبيان أبرز ما كتب في هذا العلم مع ذكر أهم الكتب التي اعتمد وقام عليها البحث، تحدث فيها عن الآيات المتشابهة اللفظي في الكلمة والاختلاف بين الآيات المتشابهة في اختيار الصيغة والإفراد والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير وختم حديثه عن الحروف، ثم نظر في الآيات المتشابهة في الذكر والحذف والتقديم والتأخير وختم البحث بحديث عن

الاختلاف بين الآيات المتشابهة في موضوع الفصل والوصل، وهي خمسة كتب نموذجا عن مألفيها وما تحتويه، ومنها كتاب فتح الرحمن للأنصاري وقضاياه ومصادره.

وهذه ما أمكن الباحث من الوقوف عليه مما سبق من الدراسات حول البحث إلا أن هذه الدراسات لا تخص الجهود والمنهج التفسيري للشيخ الأنصاري إلا أنها كانت قاعدة استفدت منها من نواحي شتى، مثل الجهود النحوية والبلاغية المستعملة في التفسير وكيفية المنهجية التي سار عليها الأنصاري، والآيات المتشابة باللفظ في الكلمة أو الآيات وإظهار الإعجاز في كتاب الله تعالى، وكذلك ما يتعلق بحياة الأنصاري، وبما يخص سيرته العلمية والتعليمية والوظائف والمناصب.

الفصل الأول: سيرته وآثاره العلمية

لا بد للباحث أن يعرِّج على تعريف بصاحب البحث، ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ، لاسيّما أن هذا العمل يُعدّ مفتاحاً للولوج بمعرفة أكثر بالمؤلف، تعين القارئ على تكوين صورة عامة عنه، وتوضح له مكانته العلمية. وأثره في العلم الشرعي والمعرفة وخاصة في علوم التفسير.

وتناول الباحث هذا الفصل عن سيرته وآثاره العلمية في أربعة مباحث: في الأول منها بيان عن أشهر الأحوال التي رافقت حياته؛ وهي الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية. وفي المبحث الثاني سيرة الشيخ زكريا الشخصية؛ وفيها توضيح لصفاته وأخلاقه ومذهبه وتصوفه. وأما المبحث الثالث بيان سيرته العلمية منذ الطلب وحتى التصنيف مع ذكر شيوخه وتلامذته. فخصّ المبحث الرابع وختم بذكر الوظائف والأعمال التي تقلدها الشيخ وثناء العلماء عليه ومصنفاته وآثاره العلمية.

المبحث الأول: عصره وبيئته

عاش الأنصاري فترة ليست بقليلة في هذه الدنيا وعاصر الملوك من المماليك[1] الجراكسة[2] وغيرهم والسلاطين والأمراء والعلماء والناس عامة ومرّة عليه أثناء حياته أحوال متنوعة من الفتوحات التي قيل في بعضها تشبه فتوحات الصحابة وامتلأت الخزانة وتغيّر الحال من حال إلى حال من عدل إلى ظلم ومن غنى إلى فقر وهكذا في الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

المطلب الأول: الحالة السياسية

شهد الشيخ زكريا الأنصاري في الفترة الواقعة ما بين سنة ٨٢٤ ـ ٩٢٦هـ) و (١٤٢١ ـ ١٥٢٠م) أي في القرن التاسع الهجري آوخر حكمَ الدولة المملوكية الجراكسة وفي الربع الأول من القرن العاشر الهجري، وبزوغ نجم الدولة العثمانية، حينما كانت مصر تابعة لحكم المماليك الجراكسة حتى سنة (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م)، حيث تحولت مصر بعد ذلك للحكم العثمامي حتى سنة (١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م). ولا بد من لمحة بسيطة عن العصر لتأثيره على الشخصية، مع إلقاء بعض الضوء على على تلك الفترة من الجانب السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والعلمي؛ بما يناسب المقام.

دولة المماليك: انقسم العصر المملوكي إلى دولتين:

أولاً: دولة المماليك البحرية (٦٤٨هـ ـ ١٢٥٠م) (٧٨٤هـ ـ ١٣٨١م) وبعد النزاع بين الأمراء الأيوبيين أدى إلى ضعف الدولة الأيوبية والصراعات الداخلية مما أدى إلى شراء المماليك أو الرقيق لتدريبهم والحماية بهم ضد المؤامرات التي تحاك على السلطان، ويعد السلطان الصالح

---

[1] **المماليك**: هم الرقيق من البشرة البيضاء جيء بهم زمن الدولة الأيوبية والمملوكية عن طريق التجار الذين كانوا أثناء الحروب، وهؤلاء الرقيق مواطنهم مختلفة فقد جلبوا من شبه الجزيرة القرم، آسيا الصغرى، وبلاد القوقاز والروم والروس والأكراد والمغول والمماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام، ومن أشهر الأسواق لبيع المماليك، هو خان مسرور في القاهرة، وسوق الإسكندرية. والذي دفع الأيوبيين في مصر والشام على الاستكثار من المماليك إنّما هو ضعف حالهم وخصوصاً بعد وفاة صلاح الدين رحمه الله تعالى (ت٥٨٩ هـ)، وانقسام الدولة بين الأيوبيين الذين لقبوا أنفسهم بالملوك في كل من مصر، ودمشق، وحلب، وبعلبك، والكرك، وحمص، وحماه، وقد قامت بينهم المنافسات والحروب الكثيرة، خالد علي عبد القادر، **المماليك البحرية في مصر** ـــ دراسة مجتمعية تاريخية ـــ ٦٤٨ ـــ ٧٨٤هـ، ص٥٠، ط١، د. الفكر العربي، شفيق جاسر أحمد العبود، **المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام**، ص، ١١٠، ط٢١، نشر، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. **مصدر**

[2] الجراكسة هم جنس من الترك في مشارق الأرض لهم مدائن عامرة، وفيهم الجمال البارع، ولهم في بلادهم أغنام يرعونها ومزارع يزرعونها، وهم أتباع سلطان سراي (٣٦٢) قاعدة ملك خوارزم، وملوك هذه الطّوائف / لملك سراي كالرعية، فهم يقاتلونهم ويسبون منهم النّساء والأولاد، ويجلبونهم إلى أطراف البلاد والأقاليم، ذكره المقريزي في عقوده، وقد أسلفنا أنهم ملك منهم طائفة مصر بعد الأتراك.

نجم الدين أيوب المؤسس لهذه الجماعة من المماليك (البحرية) وأطلق عليها اسم البحرية لأن السلطان نجم الدين جلبهم بقرب جزيرة الروضة في النيل، وهم من الأصل التركيّ. واستطاع المماليك ان يصلوا إلى حكم مصر، ودخلوا في تحديات كبيرة مع المغول والصليبيين وغيرهم، وعدد سلاطينها الذين حكموا مصر: أربعة وعشرون سلطانا، زمن أبرزهم: (قطز) الذي صدّ المغول وظلمهم عن مصر بعد أن دخلوا الشام تحت قيادة (هولاكو)، فهزمهم السلطان(قطز) في موقعة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م) وقد أنهى أمر وخطر المغول على العرب، واستمر حكمهم حتى مجيء المماليك الجراكسة.

ومن السلاطين البارزين (بيبرس) ناضل وجهاد وواصل جهود الأيوبيين في مواجهة الصليبيين، والحروب ضد المغول، وقام بتجديد الأزهر، وأحيا الخلافة العباسة ليتخذ منها سند ووسيلة له في حكم المماليك، وبعد ومعاناة قوية من هذا السلطان من الصليبيين والمغول وغيرهم وبعد وفاته تولى السلطنة سيف الدين قلاوون سنة (٦٧٦هـ ـ ١٢٧٧م) واستمرت إلى (٨٧٤هـ ـ ١٣٨٢م) وهو من أسرة ذات شأن في تاريخ المماليك، وقد احتفظت الأسرة بالحكم من ذرية قلاوون مدة زاهرة من حكمهم وقد ظهرت فيها الحضارة والفن والأدب، وترسخ الحكم في الداخل وهذا مما يؤدي إلى الاستقرار والاستعداد للمواجهات الخارجية، إلى أن انتهى حكمهم لتبدأ الدولة المملوكية البُرجية [٣]. وهكذا السلاطين من المماليك البحرية الذين كانوا عبيدا من الرقيق بثباتهم وجهودهم وصلوا إلى القيادة وهم الواقفين ضد المغول والصليبيين.

ثانياً: دولة المماليك البُرجية: (٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ) و(١٣٨٢ ـ ١٥١٧م)، التي يرجع أصل مماليكها إلى الجراكسة، وموطنهم الأصلي جورجيا، وقد أسكنهم السلطان برقوقا في أبراج القلعة، ومن السلاطين الذين حكموا مصر ثلاثة وعشرين سلطانا، أعظمهم: برقوق، وشيخ، وجقمق، وإينال، وخشدقم، وقايتباي، وقانصوه الغوري، وطومان باي الأخير. وقام حكم البرجية على مبدأ عدم الإحترام لنظام ولاية العرش، وأن العرش والسلطة لمن يستحقها بالقوة والشجاعة ورفض البرجية وراثة الحكم تويثا.

وكان عهد السلطان قايتباي من أطول العهود في الدولة، وللشيخ الأنصاري مزية وخصوصية عنده، وولاه قضاء القضاة. كما بدأت العلاقات الطيبة بين المماليك والعثمانيين تضرب بعد تولية بايزيد الثاني العرش بعد أبيه سنة (١٤٨١ ـ ١٥١٢م)، والذي استدرج قايتباي للحرب وقد انتصر فيها قايتباي ثلاث مرات، وبادر قايتباي بأمر الصلح وقد دام الصلح حتى عهد السلطان

---

[٣] مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ، عمان، د. أسامة للنشر، ٢٠٠٣، ص٢٠، ٢١، ٣٢، ٧٢. ينظر، النادي، زكريا الأنصاري حياته وتصوفه، ص١٠٨.

العثماني (سليم الولبن بايزيد الأول)، ومات قانصوه الغوري بمعركة (مرج دابق في ٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م) بسبب الخيانات من بعض المماليك الموالين للعثمانين وتخلي الأكثرية عنه، ليتولى من بعده (طومان باي الثاني) الذي كان مرغوبا ومحبوبا عند الشعب، فكانت له الطاعة للخروج للقاء العثمانيين بالشام قبل مداهمتهم، ولكن لم تتركه الخيانات التي أدت على قتله في نهاية المطاف، وانتهى الحكم العثماني المملوكي عموما في مصر عام (٩٣٢هـ ـ ١٥١٧م) والعصر الشركسي (البرجية) بشكل خاص، ولتصبح مصر ولاية عثمانية الذين تولوا ولايتها العملاء الذين عملوا على هزيمة المماليك.[٤]

ويظهر من خلال النظر في تاريخ الدولة المملوكية والجراكسية أنهم تربوا تربية عسكرية تبنوا نظرة أن لا فضل لأحد على أحد بل هم متساوون في اعتلاء العرش إلا بالقوته والشجاعته والذكاء، وينتقل الحكم بينهم إما وراثيا أو انقلابيا أو بطريق الخيانة وغيرها، ولا يثبت سلطان إلا من ندر على عرشه عادلا كان أو ظالم وهكذا ينتهي دور السلاطين والملوك إلى أن تقوم الساعة.

واستطاع السلطان العثماني محمد الفاتح الذي ولد سنة خمس وثلاثين وثمانمئة، سابع ملوك بني عثمان السلطان محمد بن السلطان مراد خان، وقد ولي السلطنة سنة ست وخمسين وثمانمئة، وكانت مدة ولايته إحدى وثلاثين سنة، وفتحت في مطلع هذا القرن القسطنطينية، حيث فتحها القائد العظيم محمد الفاتح وحملت مغزا سياسيا ودينيا وكان ذاك الفتح في سنة (ت٨٥٧ هـ)، وفي ذلك العام فُتحت قبرص، وفيها تم بيع السبي والغنائم، وأُخذ ثمن البيع وحمل إلى الخزانة السلطانية)[٥].

وفي مثل هذه الفتوحات الإسلامية الخالصة لوجه الله تعالى ينتشر الإسلام في بقاع الأرض شرقا وغربا وبها تزعزعت قلوب أهل الكفروالطغاة المجرمين.

وفي عام ٩٣٤هـ أخذ الإمام الجواد أحمد[٦] مدينة هرمز من بلاد الحبشة، وضعف سلطانها عن مقاومته، ولم يزل أمر الجواد يعظم ويعظم حتى صار إلا ما صار إليه، وفتح كثيراً

---

[٤] مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ص، ٧٤، ١٣٨، ينظر، النادي، زكريا الأنصاري حياته وتصوفه، ص١١١، بدائع الزهور ج ٣، ص ١٢٧٨.

[٥] شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت: ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ج ٩، ص ٢٧٢. وينظر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني الهندي (ت: ١٠٣٨ هـ)، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، تح: محمد الأرناؤوط وأحمد حالو وأكرم البوشي، د. بيروت، ط١، ص١٩٨. وينظر، مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ص١٤٠.

[٦] العيدروس، ***النور السافر***، ص٢٦٥.

من بلاد الحبشة، وقهر الكفار، كما واظب على الجهاد والغزو في سبيل الله، حتى قيل عن فتوحاته: إنها أشبه ما تكون بفتوحات الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وحُكي عن شجاعته وإجراء أموره على قوانين الشريعة المطهرة الشيء الكثير[٧]. وهكذا تظهر ثمرة الثبات على الحق والمواظبة على الاستمرار في الجهاد في سبيل الله تعالى والفتوحات وهي من الظواهر السياسية المتبعة في طريق الحق.

وكان السلطان محمد بن مراد خان المعروف بـ "محمد الفاتح": من أعظم سلاطين بني عثمان، أعظم الملوك جهاداً وأقواهم إقداماً واجتهاداً[٨]. جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن بشر الخثعمي، عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".[٩] وقد تحققت هذه البشارة النبوية علي يد السلطان الفاتح العثماني (محمد بن مراد) وكان ابن ثلاثة وعشرين سنة، والذي عرف في التاريخ باسم (محمد الفاتح).[١٠] ثم كان محمد الفاتح الذي دخل القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م، فكان فتحه لها نقطة تحول في التاريخ الإسلامي. عمل فيه العثمانيون على ضم الدويلات القطرية في الشام والجزيرة ومصر وإفريقية وغيرها إلى إمبراطوريتهم[١١]، وكانت له مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة، وآثاراً باقية على مر الزمان.

وله مآثر لا تنسى على تعاقب الزمان. بالإضافة إلى غزوات هزم بها أصحاب الصليب والأصنام. ومن أعظم هذه المناقب: فتح القسطنطينية بعد حصار دام خمسين يوماً. كانت ولادته سنة (٨٣٥ هـ)، وأما وفاته فقد وقعت سنة (٨٨٦ هـ)[١٢]. وفي عام (٨٠٥ هـ) وقعت حوادث ونكبات عدة؛ ومنها استيلاء تيمورلنك على أبي يزيد بن عثمان وقام بأسر ولده موسى، ومات

---

[٧] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ١٠، ص ٢٧٩.

[٨] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٩، ص٥١٦.

٩ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحـ: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، د. مؤسسة الرسالة، ط١، ت/ط: ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م، رقم الحديث: ١٨٩٥٧، ج٣١، ص٢٨٧.

[١٠] ياسر عبد الرحمن، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، **موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق**، د. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ـ القاهرة، ط١، ت/ط: ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م، ج٢، ص٢٦٥.

[١١] إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين الحنفي (ت٧٥٨هـ)، **تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك**، تح: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط٢، ب/ت/ط، ص١٣. وينظر، أحمد معمور العسيري، ***موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر***، ١٤١٧ هـ/٩٦ - ٩٧ م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٤ في المقدمة.

[١٢] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٩، ص٥١٦.

أبو يزيد قهراً في الأسر. وعرف أبو يزيد أنَّه من خيار ملوك الأرض آنذاك، والأمن في بلاده مستتبّ. وفي العام نفسه استولى تيمور على أغلب البلاد الرومية، ولكنه رجع إلى بلاده في العام نفسه[١٣]. وفي سنة (٨١٧ هـ) من شعبان حاصر الفرنجة مدينة سبتة من بلاد المغرب، فدخلوها وأفسدوا فيها ولم يتركوا شيئاً من أموالها وذخائرها إلا وأخذوه، ومن بينها الكتب العلمية التي أصبحت بأيديهم، فقد اضطر أهلها لإرسال قصيدة إلى أهل الإسلام عامة يستنجدونهم فيها، وكان مطلعها:

حُماةَ الهُدى سبقاً وإنْ بَعُدَ المدى فَقَدْ سأَلتُكُمْ نَصرها ملَّةَ الهُدى[١٤]

وهكذا الظالمون والمستعمرون لايزالوا يظلمون ويحاولوا توسيع أراضيهم وممتلكاتهم بظلم الناس وبالتعدي عليهم ويهيء الله تعالى من يقف في وجوههم ويردهم عن ظلمهم. ولبيان الحالة السياسية في القرن التاسع فقد تم التعريف ببعض السلاطين والملوك مع ترجمة مختصرة لهم.

السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري:

عبد الله الجركسي المشهور، وسمَّاه ابن طولون "جندب"، ولقّبه به بقانصوه. وترقى في المناصب إلى أن صار نائب طرطوس، فانتزعها منه جماعة السلطان أبو يزيد بن عثمان، فلما وقع ذلك أعطي نيابة ملطية، ثم تنقلّت به الأحوال فصار بعد موت الأشرف قاتيباي سلطاناً.

وفي أيامه بنى دائرة الحج الشريف وبعض أروقة المسجد الحرام. وبنى عدة خانات وآباراً في طريق الحج المصري، إلا أنه كان شديد الطمع، كثير الظلم والعسف، يصادر أموال الناس، وأُبطل الميراث في أيامه، فإذا مات أحدهم وكانت له أموال استولى عليها، وقد حكم قانصوه خمس عشرة سنة (ت: ٩٢٢هـ)[١٥]، ولكنه نسي أن الظلم مرتعه وخيم.

السلطان أبو النصر قاتيباي:

الملك الأشرف الجركسي الظاهري، من ملوك الترك. ولد (٨٢٦ هـ). اتصل بالملك الظاهر فلم يزل يترقّى عنده من مرتبة إلى أخرى إلى أن بُويع بالسلطة (٨٧٢ هـ) وسار في الناس سيرة حميدة، واجتهد في بناء المشاعر الدينية المقدسة، ومنها بناء مسجد الخيف. كما أصلح بئر زمزم، وأنشأ بجانب المسجد الحرام مدرسة واسعة، وأنشأ بالمدينة المنورة مدرسة

---

[١٣] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٩، ص ٧٥.

[١٤] محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا)، المحامي (ت: ١٣٣٨هـ)، ***تاريخ الدولة العلية العثمانية***، تح، إحسان حقي، د. النفائس، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠١ه – ١٩٨١م، ص١٤٦. وينظر، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٩، ص١٨٣.

[١٥] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص ١٥٩. وينظر، مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ص١٣٥.

أخرى مماثلة، وأسندت إليه الكثير من الوظائف الدينية؛ كالتدريس والقضاء والمشيخة؛ قال السخاوي رحمه الله تعالى: وبالجملة فلم يجتمع الملك ممن أدركناه كما اجتمع له، وكان يتصف بالفطنة والذكاء والمحاسن العظام. وأقام في السلطنة (٢٩) سنة، وامتاز عصر وأيام السلطان قايتباي بالحزم، ولكن لم يتوفر له الحظ فقد اضطربت الأحوال والأمن في القاهرة، ولم تسلم الدولة من اللصوص والأماكن الأخرى من باب أولى لم تنج من هذه الاضطرابات، حتى الأضرحة أصابها اللصوص فمنهم من قام بسرقة ستر الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه، وقد قطت يد السارق. و توفي سنة (٩٠١هـ) ودفن في القاهرة، وكان عهده من أطول العهود في الدولة، حيث استمرّ ما بين (٨٧٢ ـــ ٩٠١هـ) ولحسن تدبيره في الحكم كانت قوة امبراطورية المماليك لها الأثر الكبير حينذاك، إذ عُرف بالمساواة بين الناس ورد المظالم، كما عاش الأجانب في حكمه بأمان مع تجاراتهم وأعمالهم فلم يتعرض لهم أحد بسوء، هذا وقد امتازت مدة قايتباي في السلطنة حتى قاربت من "٢٩" سنة، لقي فيها الكثير من الصعوبات، خاصة على نطاق الحدود الشمالية للدولة، فقد غلب عدم الاستقرار على المنطقة بسبب عصيان القبائل التركمانية، وكذلك الخطر الذي أصبح يهدد الدولة وهو ازدياد قوة الدولة العثمانية ونفوذ السلطان العثماني في تلك المنطقة وفي أراضي الخلافة العباسية، وكذا ثورات الجلبان[١٦] المتكررة التي لم يكن لها هدف سوى الحصول على النفقة دون نظر إلى حالة الدولة المالية أو التزاماتها الخدمية[١٧].

وهكذا يلخص المقدسي خلاصة السياسة في كل عصر ووقت (ومن المعلوم أن الحياة السياسية لها أثر على أبنائها، وكلما كان الوضع السياسي مستقرًا، كانت العلوم في نمو واتساع، وكلما كان مليئًا بالفتن والاضطرابات، كان الضعف والجهل يهيمن على أبنائه، فصفاء الذهن بالأمن على النفس والأهل والولد والحياة المعيشية وغيرها له أثر على طالب العلم وعلى عطاء العلماء)[١٨].

---

[١٦] الجلبان جماعة من الناس من المماليك التابعين للسلطان. ينظر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ***إنباء الغمر بأبناء العمر***، تح، حسن حبشي، د. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ت، ١٩٦٩م، ج٢، ص٤٧٨، عدد الأجزاء: ٤. وينظر، مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ص١٠٢.

[١٧] عبد الرحمن محمود عبد التواب، **قايتباي المحمودي**، (ت٩٠١هـ)، ص١٧، وينظر، عرفه عبد الرحمن النادي، الأنصاري **حياته وتصوُّفه**، د. الإحسان، ص١١٠. **وينظر**، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ١٠، ص١٢. وينظر، مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ص١٢٣.

١٨ تقي الدين أبي بكر بن زايد الجراعي المقدسي الحنبلي (٨٢٥ هـ -٨٨٣ هـ)، **شرح مختصر أصول الفقه**، تح: عبد العزيز محمد عيسى محمد مزاحم القايدي وعبد الرحمن بن علي الحطاب ومحمد بن عوض بن خالد رواس، أصل الكتاب: رسائل ماجستير بجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نشر: لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الشامية ـ الكويت، ط١، ت/ط: ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م، ج٢، ص٢٤.

وهذا ما مايميز بين العصور حسب المعطيات لكل زمن فالوضع السياسي في مصر حظي بالاستقرار فترات عدة في عهد ملوك عظام من المماليك حكموا بشرع الله تعالى، وسيروا الحملات لفتح البلدان وعمروا البلاد، واهتموا بالعلم والعلماء، ولم تخلو الفوضى في عصرهم ولكن مقارنة مع السنين الطويلة فالاستقرارأطول فترة من الفوضى، فما استقر في أوقا ت راجع على السلطان والحاشية من حوله، فعندما يكون عادلا يكون الحال بالنسبة للناس والدولة هادئا مستقرا، ومايلبث إلا وتجد أن الخيانات والأطماع في العرش والسلطة ظهرت بعد تخطيط مسبق أثناء الاستقرار، وهكذا كان الوضع السياسي يمرة بملوك عظماء قد سبق ذكرهم، فلم يكن للشيخ زكرياعلاقة بالسلاطين في بداية حياته لأنه كان منكبا على طلب العلم وحضور الدروس وملازمة العلماء، ومالبث أن كبر وذاع صيته، وصار من العلماء من أهل المنزلة الرفيعة والمكانة العالية، حتى بدأ أثرالشيخ الأنصاري يظهر جليا على سياسة المماليك، حتى بدأ بتولي المناصب في عهد الظاهر خشقدم وعهد الأشرف قايتباي.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية

لقد مر معنا سابقاً: أنه من المعلوم بأن الحياة السياسية لها أثر كبير على أبنائها، وكلما كان الوضع مستقراً سياسيّا كانت العلوم في نمو واتساع[١٩].

وقد انقسم سكان المجتمع المملوكي في تلك الآونة إلى طبقات متعددة الأسماء يطلق على كل طبقة اسم يميزها عن الطبقة الأخرى كالتجّار والمثقفين وأصحاب رؤوس الأموال والأملاك وهؤلاء يطلق عليهم اسم خاص بهم يعرفون به فيُسمَّون: (الشعب)، غير جنس المماليك، وأخرى سكان المدن ـ ويستثنى منهم رجال القلم وهم العلماء ـــ ويُسمَّون (العوام)، وأمَّا الأثرياء من التجّار فيطلق عليهم اسم (بياض العامّة)، والدهماء والرعاع وضعفاء الناس فهم من أدنى مراتب الشب، فهؤلاء أناس عبارة عن آلة يستخدمها الأمراء ضدّ منافسيهم والاعتماد عليهم بظلم العباد وبالثورات الشعبية، وهناك طبقة من طبقات الشعب معروفون بالعرب والفلاحين، وهم أكثر الناس معاناة وقعت عليهم من ظلم الظالمين من المماليك وتأثروا كثيراً بارتفاع الأسعار، وأمّا طبقة الفقهاء ـ من المعمّمين ـ فإنهم لم يسلموا بالكليّة، فقد مسهم الظلم والأذى من ظلم السلاطين[٢٠].

ويتضحب أن أوضاع المجتمعات في جميع الأزمنة تتكون من طبقات مختلفة منهم الغني ومنهم الفقير والسيد والمسود كما يختلف الحكام فمنهم العادل ومنهم المظلوم، فلا يخلو الخير من الحاكم العادل، ولا الشر من الحاكم الظالم.

ومن الاضطرابات التي حصلت فقد زاد شر العبيد وأصبحوا طائفتين يغزو بعضهم بعضاً حتى عجز السلطان عن ردعهم، ولم تسلم النقود من التزييف بالتنسيق مع المسؤولين في الدولة فمنهم مثقال الطواشي رأس نوبة السقاة في الدولة عند قايتباي وغيره مما أدى ذلك إلى اضطرابات في الأسعار، وزادت أسعار المواشي والمحاصيل الزراعية وغيرها مما يحتاجه الشعب لدوام حياتهم كان سبباً بثورات قام بها الشعب، ومنع السلطان النساء ألاّ يلبسن إلاّ المصائب الطوال وامتنعن أول الأمر لأنه شقّ عليهن ذلك، وعدلن عنها نهائياً، كما كان للمرأة المكانة والمركز المرموق عند السلطان[٢١]، وقد كانت أجواء القرن التاسع مليئة بالأمراض المعدية لانتشار الأوبئة، وبسبب الأمراض انتشر الغلاء والطاعون في معظم البلاد. فوقع في عام (٨٠٨ هـ)

---

[١٩] الجراعي المقدسي، **شرح مختصر أصول الفقه**، ج٢، ص٢٤.

[٢٠] عبد التواب، قايتباي المحمودي، ١٦ـ ٢١، النادي، **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**،١١٣. وينظر، طارق يوسف، **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ص٢٠، ٢١، ٢٢.**

[٢١] عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص١٢١، ١٢٢. وص١٣١، ١٣٢.

طاعونٌ شديد وغلاءٌ لا يحتمل في البلاد المصرية في عصر الناصر فرج بن برقوق واستمر في البلاد لمدة أربع سنوات متتالية، وكان يموت بسببه في اليوم الواحد نحو مائتان وخمسون شخصاً حتى تجاوز البلاد المصرية وقضى على عدد كبير من الناس، وهكذا وقد استمر الوباء في عصر الناصر[٢٢] بسبب انشغاله بتوطيد سلطانه وغيرها من الأسباب إلاّ أن هذه أرجح الأسباب[٢٣] وكذلك وقعت مصائب وغرائب عجيبة في بلاد الإسلام سنة (٨١١هـ) وقيل بأنّه لم يبق إلا القليل من أهل أصبهان بسبب الطاعون، حتى كادت البلاد تخلو من ساكنيها، وحصل طاعون في الشام، وطاعون مثله بدمياط وغلاء وذلك سنة (٨٢٦هـ)[٢٤].

ومن ذلك حدث زلزال عظيم في نواحي حلب وطرابلس من بلاد الشام، حتى خربت بلاد عدة إسلامية. كما حدثت صاعقة احترق من جرائها المسجد النبوي الشريف، ولم يبق من قناطره إلا اليسير، واجتاح البلاد في عهد المماليك عدة طواعين توفي فيها عدد كبير من السكان وأنشأت عدة مغاسل لتغسيل الموتى ودفنهم فالناس يومئذ إما مغسِّل إمّا مصلٍّ وإمّا دافنٍ للموتى[٢٥]. وقد اجتاحت الزلازل سنة(٨٨٦هـ) الأرض واهتزت بها المآذن وتوفى على أثر الزلزال قاضي القضاة شرف الدين موسى عيد الدمشقي ومات غيره خوفاً كالزيني أبو بكر بن القاضي عبد الباسط في بيته[٢٦]، واهتم السلاطين بالقناطير وإقامة الجسور وحفر الترع من أجل الحفاظ على مياه النيل لزراعة الأراضي، وكان لنزول مياه النيل المفاجئ سبباً لتأثر الزراعة وانتشار الأوبئة وارتفاع الأسعار، وأدى نشاط حركة التجارة في البلاد الداخلية والخارجية إلى ثراء ورفاهية السلاطين، لكن تراجع هذا النشاط نتيجة باحتكار الحكّام لبعض المحاصيل كالقمح وغيره، وتغير العملات هو الدافع الأكبر لتلك الأزمة سنة (٨٧٣هـ) فتغيرت الأوضاع وساءت الأحوال[٢٧].

---

[٢٢] الملك الناصر زين الدين فرج بن الملك الظاهر برقوق.

[٢٣] إيمان مصطفى عبد العظيم، **غياب دور رجال الحكم والرعية في مواجهة أزمات وباء الطاعون في مصر زمن سلاطين المماليك**، (دراسة تحليلية)، ــ ٦٤٨ ـــ ٩٢٣هـ، جامعة عين شمس، مجلة البحث العلمي في الآداب ص١٢، ١٣. النادي، **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ١١١. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، (٨٤٥هـ)، ***السّلوك لمعرفة دول المماليك***، ج٦، ص١٦٠، د. الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨، عدد الأجزاء٩.

[٢٤] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨٣/٩.

[٢٥] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١٣٤/٩. وينظر، النادي، **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ص١١٣.

[٢٦] عبد التواب، قايتباي المحمودي، ١٣١ ــ ١٣٢.

[٢٧] عبد التواب، قايتباي المحمودي، ١٣٣، وينظر، النادي، **الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ١١٣. وينظر، مفيد الزبيدي، ***موسوعة التاريخ المملوكي***، ص١٣٣، ١٣٤.

وإنَّ معنى تغير سعر النقود: هو أنَّ النقود تقيَّم بالوزن، لا تقيَّم بالعدد، وكان من السلاطين يضرب نقوداً جديدة ليجني الفرق بين السِّعرين؛ كما فعل السلطان قايتباي مثلا: كلَّ رطلٍ بستٍ وثلاثين، في حين كان كل رطل من الفلوس العتيقة بأربعة وعشرين فخسر الناس ثلث أموالهم[٢٨].

وهذا هو المجتمع المصري في عهد الدولة المملوكية فقد تميز بالطبقة الظاهرة، ورغم ذلك كان المجتمع المصري في ذلك الحين دائب الحركة مليئا بالحياة، وينعم في كثير من الأحيان بالاستقرار، وقد ظهر اهتمام السلاطين بتعمير البلاد وإقامة المنشآت، وإقامة المساجد والمستشفيات والحمامات وغيرها، مع أنها لم تخلو الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في حالة مزرية وسيئة فقد كان بعض السلاطين يهتم بجمع الضرائب، وعدم السماح لامتلاك الناس شيئا من الممتلكات بل جعلوا الأملاك للحكومة فقط، فكان هذا سببا لتدهور التجارة وكذلك بسبب فرضهم الضرائب الكبيرة على السكان مما أدى لتفشي الفقر واليأس بين الناس.

[٢٨] ***بدائع الزهور***، ج١، ص ٤٥٦، وينظر، ***الحركة العلمية في عصر سلاطين المماليك البرجية***، ص١٠٣.

المطلب الثالث: الحالة العلمية

وأما الحالة العلمية فلا يمكن فصلها عن الأحوال الأخرى، بل تتأثر بالأحوال السياسة والاقتصادية والاجتماعية، فتزدهر الحالة العلمية بازدهار تلك الأحوال المذكورة غالبا، فقد ازدهرت الحياة العلمية في عهد المماليك ازدهارا ملحوظا وتطورت تطورا كبيرا، وقد تطورت كافة العلوم بشكل ظاهر في عصر المماليك، وغدت مصر منارة العالم الإسلامي في دلك الوقت:

وظهرت خلال هذا القرن عوامل متعددة في الدولة المملوكية، كان لها أثر في تكوين المجتمع الإسلامي الجديد، ومن أهم تلك العوامل: التوسّع في الفتوحات الإسلامية من بلاد السند شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً. وحصل اختلاط بين العرب مع غيرهم من الشعوب كالفرس والروم والصين والهند وغيرهم. فلذلك دخلت علوم جديدة وتغلغلت بين المسلمين بسبب هذين العاملين.

وقد أخذ المسلمون بحظٍّ وافر من هذه العلوم ومن غيرها على تنوعها. وتنقسم هذه العلوم إلى: علوم نقليّة أو شرعية، وإلى علوم عقلية أو حكمية، ويطلق عليها أحياناً علوم العجم أو علوم الأوائل أو غير ذلك[٢٩].

والعلوم الفنية والنقلية تشتمل على (علم القراءات والتفسير والحديث والفقه، وعلم الكلام والنحو واللغة والأدب). وأما العلوم العقلية فتشتمل على (الطب والكيمياء والجغرافية والفلسفة والرياضيات بالإضافة إلى الفلك والنجوم والموسيقى والسحر والتاريخ). وترجع الجهود والثمار فيها للأعلام من العلماء المصنفين في ذاك القرن.

وكان من هؤلاء الأعلام: كمال الدِّين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدَّميري (ت: ٨٠٨ هـ). وهو باحث وأديب من الفقهاء الشافعية ومن أهل مصر. ولد رحمه الله تعالى ونشأ وتوفي بالقاهرة؛ وكان يستكسب رزقه بالخياطة، ولمّا أقبل على العلم والإفتاء والتدريس كانت له في الأزهر الشريف حلقة خاصة. ومن أشهر مؤلفاته: "حياة الحيوان الكبرى" وهو يقع في مجلدين، وكتاب حاوي الحساب من حياة الحيوان، إضافة إلى مختصر في شرح لامية المعجم للصفدي[٣٠]، وله مصنّف في تفسير القرآن الكريم وهو "الكفاية في تفسير القرآن العظيم"

---

[٢٩] تصدر عن المنتدى الإسلامي، ***مجلة البيان***، (٢٣٨ عددا)، قسم الجوامع والمجلات ونحوها، ج٧١، ص٧٤. وينظر، جابر، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وأثره في الفقه، ١٨، ٢١.

[٣٠] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ج ٧، ص١١٨، د. العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م. و**شذرات الذهب**: ج٩، ص ١١٨.

مختصر من كتاب الهداية لمكي، مخطوط بخزانة القرويين بفاس[٣١] وهي مدينة في المغرب[٣٢]، وبرز في هذا العصر عدد من العلماء وكان منهم: مجد الدين أبو الطاهر، يعقوب بن إبراهيم بن عمير، الفيروز أبادي اللغوي (ت٨١٧ هـ). ولد بكارزين من أعمال شيران، وانتقل إلى العراق ومصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند، ورحل إلى زبيد سنة (٧٩٦هـ) فأكرمه ملكها وقرأ عليه. فسكنها وولي القضاء فيها وانتشر اسمه في الآفاق، حتى غدا مرجعاً في اللغة والحديث والتفسير في مصر. ومن أشهر كتبه: "القاموس المحيط"، "المغانم المطابة في معالم طابة"[٣٣].

والحافظ شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن علي بن يوسف، العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي، المعروف بـــابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، ولد ونشأ وتوفي في دمشق، وهو شيخ قرّاء عصره، ومن حفاظ الحديث الشريف، رحل إلى مصر، ودخل بلاد الروم وشيراز فوُلّي القضاء فيها حتى مات، وقد اشتهر من كتبه: "النشر في القراءات" و "غاية النهاية في طبقات القراء " و "الحصن الحصين" و "الدرة المضيئة في القراءات الثلاثة المرضية" و "المقدمة الجزرية"[٣٤].

وأحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد المحيوي الحسيني، العبيدي البعلي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ويعرف بابن المقريزي تقي الدين وشهاب الدين، محدث ومؤرخ، مشارك في بعض العلوم. ولد بالقاهرة (٧٦٩ هـ) وقيل: سنة (٧٦٦ هـ) ونشأ فيها، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، واشتغل في العلوم المشتهرة في عصره. ونظم ونثر، ووُلّي الحسبة، وألف كتبًا قيل إنها زادت على المئتين، وإن شيوخه بلغت ستمئة[٣٥].

وتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن تميم بن عبد الصمد، المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، وهو مؤرخ الديار المصرية، وأصله من بعلبك، ونسبته إلى المقارزة، وولد ونشأ وتوفي في القاهرة، وتولّى الحِسبة والخطابة والإمامة فيها. ولما دخل دمشق مع ابنه الناصر سنة (٨١٠هـ) اتصل بالملك الظاهر برقوق وعرض عليه قضاءها فأبى، ثم عاد إلى مصر. ومن

---

[٣١] عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، **جامع البيان في القراءات السبع**، د. جامعة الشارقة ـ الإمارات، (رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم تنسيقها طباعتها بجامعة الشارقة)، ط١، ت/ط: ١٤٢٨ هـ، ج٤، ص١٧٩٤.

[٣٢] **الحموي، معجم البلدان**، ج٥، ص٤٤٠.

[٣٣] **الأعلام**: ٧، ص ١٤٦، و**الضوء اللامع**: ج٩، ص ٢٥٥.

[٣٤] **الأعلام**: ج ٧، ص ٤٥، و**شذرات الذهب**: ج ٩، ص١٨٦.

[٣٥] شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ ـ ٨٩٣ هـ)، **الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: سعيد بن غالب كامل المجيدي، رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د. الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية، ت/ن: ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م، ج١، ص٥١.

مؤلفاته: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، و"السلوك في معرفة دول الملوك" و" تاريخ الأقباط" و" البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب"[٣٦].

وتقي الدين أبو بكر بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن قاضي شهبة الشافعي، (ت٨٥١ هـ). وهو مؤرخ درس في الجامع الأموي، وأفتى في علم الفرائض. وهو والد صاحب كتاب الأعلام. ومن مؤلفاته: "طبقات الشافعية" وكتاب في التاريخ[٣٧].

وشرف الدين يحيى بن سعد بن محمد المناوي المصري، (ت ٨٥٣ هـ) وهو من مدينة بني خصيب بمصر، وقد تولّى منصب القضاء، وكانت سيرته محمودة، مدحه الشعراء، وله مصنفات منها: شرح مختصر المزني، وأربعون حديثًا[٣٨].

رغم الأحوال المضطربة والأمراض المنتشرة وظلم بعض السلاطين إلى أن هيأ الله تعالى بأن ازدهرت الحياة العلمية في عهد المماليك ازدهارا ملحوظا وتطورت تطورا كبيرا، وقد تطورت كافة العلوم بشكل ظاهر في عصر المماليك، وغدت مصر منارة العالم الإسلامي في دلك الوقت العلم في مصر وحُبب من قبل بعض السلاطين اهتمامهم ببناء المساجد والمدارس وهذا من حب العلم واحترام العلماء مثل السلطان قايتباي وقد مرت في درجمته.

---

[٣٦] **الأعلام**، ج١، ص١٧٧، و**الضوء اللامع**، ج ٩، ص٣٧٠.
[٣٧] **الأعلام**، ج١، ص٢٥٥، و**شذرات الذهب**، ج٩، ص٤٠٦.
[٣٨] الزركلي، **الأعلام**، ج ٨، ١٦٧.

المبحث الثاني: سيرته الشخصية[٣٩]

يتناول فيه الباحث الكلام على شخصية هذا العلامة وذلك عن نسبه وحياته وصفاته وأخلاقه ومذهبه وتصوفه

المطلب الأول: نسبه وحياته

هو زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري يرجع نسبه إلى الخزرج من الأنصار السُّنَيْكي[٤٠]، ثمّ القاهري الأزهري الشافعي زين الدين وشيخ المشايخ، الحافظ الفقيه المفسر، العالم العامل والولي الكامل، قاضي القضاة. فهّامة المدققين وعلّامة المحقّقين، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والسالك إلى الله تعالى أقوم مسالك الطريقة.[٤١]وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على أنّ الأنصاري ذو شخصيّة عظيمة مرموقة، ولها قدرها ومكانتها في المجتمع.

وُلِد رحمه الله تعالى في ثلاث وعشرين وثمانمائة للهجرة "٨٢٣هـ" أو في أربع وعشرين وثمانمائة أو في ست وعشرين وثمانمائة، بسُنَيْكَة ونشأ بها وهي من قرى مصر الشرقية[٤٢]. والسبب في هذا الاختلاف أنّ المؤرخين لم تتّفق كلمتهم على تاريخ ولادته، ولكنّها تتراوح بين سنة وثلاث سنوات، والأقرب للصواب أنه ولد سنة ستٍّ وعشرين وثمانمائة "٨٢٦هـ" لكثرة الذاكرين لهذا التاريخ[٤٣].

---

[٣٩] ينظر ترجمة الشيخ زكريا الأنصاري في المراجع الآتية:
الزركلي، **الأعـلام**، ج ٣، ص٤٦. نجم الدين محمد بن محمد الغزي، (ت: ١٠٦١هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، تح: جبرائيل سليمان جبور، د. الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص١٩٦. أبو يحيى زكريا الأنصاري، **بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب لأبي زكريا الأنصاري**، ج ١، ص، ١١، تح، خلف عودة القيسي، وينظر في كتاب **بروكلمان**، ج١٠، ص ٣٩٦. زكريا الأنصاري، **ثبت شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري**، ص٦، تخريج الحافظ شمس الدِّين السَّخاوي، (ت: ٩٠٢هـ)، تح، محمد بن إبراهيم الحسين، د. البشائر الإسلامية، العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني الهندي (ت: ١٠٣٨ هـ)، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، تح: محمد الأرناؤوط وأحمد حالو وأكرم البوشي، د. بيروت، ط١، ص١١٢. الأنصاري، **الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام**، د. التقوى، سوريا دمشق، اعتنى به قاسم الرفاعي، ط، الأولى، ص٥. **الحدود الأنيق والتعريفات الدقيقة** – للأنصاري – تح مازن المبارك – د. الفكر بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م. **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، د. فرانز شتاينر، ج٥، ص٣٧١. الشعراوي، **الطبقات الصغرى** ص٤٣.

[٤٠] نسبة إلى سُنَيْكَة: من قرى مصر بين بلبيس والعبَّاسية، وهي تابعة للشرقية بمصر. من كتاب **معجم البلدان**، للحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ج٣، ص ٢٧٠.

[٤١] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٩٦. الأنصاري، **بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب**، ج ١، ص، ١١. وينظر في كتاب **بروكلمان**، ج١٠، ص ٣٩٦. الأنصاري، **زكريا الأنصاري**، **ثبت الأنصاري**، ص٦.

[٤٢] العيدروس، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص١١٢.

[٤٣] شمس الدين محمد بن الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ)، **الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التاسع**، د. الجيل، بيروت، ج٦، ص٤٢٤. ينظر، ابن العماد، **شذرات الذهب** الدمشقي، ج٧، ص١٣٣، و**النور السافر**، ص

وقد توفي والده وهو لا يزال طفلاً صغيراً، وكان وحيداً لأمّه، فكان وأمه يُقاسيان مشاقّ الحياة وشدّتها. وجّهته والدته إلى طلب العلم لما حُكيَ عن الشيخ الصالح ربيع بن عبد الله السلمي الشنباري أنَّه كان يوماً بسُنَيْكة، وإذا بامرأة تستجير به وتستغيث بأنّ زوجها توفي، وولدها الوحيد بحاجة إلى من يعينه ويرشده. ولما كان عامل البلد نصراني قبض عليه ليجعله في موضع أبيه ليصطاد الصقور، فخلصه الشيخ ربيع منه وقال لأمه: إن أردت خلاصه فافرغي عنه ليشتغل ويقرأ بجامع الأزهر وعليَّ كلفته، فسلمته إليه لتخلّصه من الفلاحة. وكان عليه يومئذ ثياب رثة. فما زال يشتغل ويجدّ في القراءة والعلم حتى صار إلى ما صار إليه[٤٤]، و{**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم**}[٤٥]. فنشأ متعفّفاً قانعاً باليسير من القوت، راضياً بشظف العيش في سبيل تحصيل العلم[٤٦]، وهذا ديدن معظم طلبة العلم.

أولاده وحفدته: له من الأولاد أربعة؛ أولهم محيي الدين يحيى بن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، وهو الذي كُنِّيَ به، وكان رحمه الله تعالى يعينه في قراءاته وكتاباته بعدما أسنَّ وكلّت يده، وضعف وكَلَّ بصره. وكانت وفاته سنة (٨٩٧هـ)، وافتقده والده واشتدَّ حزنه عليه حتى فقد بسبب ذلك بصره في آخر حياته[٤٧].

والثاني: محمد بن زكريا بن أحمد بن زكريا، ولد سنة إحدى وستين وثمانمئة. حفظ القرآن الكريم والعمدة والشاطبيتين وألفيتي الحديث والنحو ومنهاجي الفقه وأصوله والتلخيص والجمل في المنطق، وكان ملازماً لوالده

في الفقه، وناب عنه في مشيخة التصوف بالجيعانة[٤٨].

والثالث: صالح جمال الدين يوسف، وكان تلميذاً لوالده رحمهما الله تعالى[٤٩]. والرابع: لم يعرف اسمه، ذكر ذلك مازن المبارك في تحقيقه للحدود الأنيقة[٥٠]، ومن حفدته: زين الدين زكريا المصري العلامة الشافعي.

١٧٢، وينظر، الأنصاري، **بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب لأبي زكريا الأنصاري**، ج ١، ص، ١١. الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص٦.

[٤٤] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٩٩.

[٤٥] سورة الحديد،٥٧، ٢١.

[٤٦] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٩٦. زكريا بن محمد الأنصاري، (ت ٩٢٦هـ)، **الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام**، د. التقوى، سوريا دمشق، اعتنى به قاسم الرفاعي، ط، الأولى، ص٥.

[٤٧] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١٠، ص١٣٤، ينظر **الحدود الأنيق والتعريفات الدقيقة** – للأنصاري، ص٩.

[٤٨] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص٢٤٤.

[٤٩] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٩٩.

أخذ العلم عن جدّه وعن البرهان بن أبي شريف والشيخ عبد الحق والكمال، ولبس الخِرقة الصوفية من جدِّه الشيخ زكريا، وكان يحبه محبة عظيمة لأنه كان ذكياً خاشعاً. توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة (٩٥٩ هـ)[٥١]، وبذلك تُطوى صفحة من صفحات الزهد والعلم.

وفاته: بعد عمر شارف على المئة عام، كان مملوءً بالعلم والتعليم والتربية والإرشاد، اختاره الباري عزَّ وجلَّ إلى جواره، ولكن بعد أن ابتلي بفقد البصر في آخر عمره. وكانت وفاته رضي الله عنه يوم الأربعاء الثالث من شهر ذي القعدة سنة ست وعشرين وتسعمائة "٩٢٦" عن مئة وثلاث سنوات "١٠٣" وغُسّل في صبيحة يوم الخميس، وكفّن وحُمل ضحوة النهار، ليُصلّى عليه بجامع الأزهر في جمعٍ من القضاة والعلماء والفضلاء وخلائق كثيرة، واجتمع في الجامع المذكور ونواحيه مثل ذلك العدد رغبة للصلاة عليه؛ ولما قاربوا أن يدخلوا به وإذا بمنادٍ ينادي: الملكُ أمير المؤمنين حضر ليظفر بالصلاة على الشيخ زكريا[٥٢]، وقد حصل خلافٌ بين المؤرخين في تحديد سنة وفاته، وجمهورهم اتّفقوا على تحديد اليوم والشهر وأنها وقعت في القاهرة في يوم الجمعة الرابع من ذي الحجة، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهما.

وجزم في الكواكب السائرة بوفاته في السنة التي بعدها، وقال: عاش رحمه الله تعالى مئة وثلاث سنين[٥٣]، ومما عرف وذكر بأن كانت جنازة الأنصاري من الجنائز المميزة المشهودة من حيث كثرة المصلين والمشيعين لها التي لم يرى مثلها [٥٤]، وقد دفن بالقرافة الصغرى بمقبرة الشيخ نجم الدين الخويشاتي قريباً من قبر الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، في فسقية جديدة أنشأها القاضي شرف الدين أبو المنصور لنفسه رحمه الله تعالى. كما صلي عليه الحاضر صُلِّيَ عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق بعد صلاة الجمعة رابع أو خامس جمادى الآخرة

---

[٥٠] الأنصاري، **الحدود الأنيقة**، ص ١٤. وينظر، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت ١٥٢٣هـ) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج٥، ص٣٧١.

[٥١] ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج٨، ص٣٢٣.

[٥٢] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٠٧. الأنصاري، **إعراب القرآن الكريم للأنصاري**، ص ٢٥، الأنصاري، **ثبت الأنصاري**، ص٢٦.

[٥٣] لابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٣٥. وينظر، الأنصاري، **الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام**، ص١٢.

[٥٤] عبد الوهاب الشعراني، (ت٩٧٣هـ) **الطبقات الصغرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، تح: أحمد عبد الرحيم السّايح، د. مكتبة الثقافة الدينية، ط، ١، ص٣٣.

سنة سبع وعشرين وتسعمئة "٩٢٧هـ". قال ابن طولون: وأُخّرت الصلاة عليه لاشتغال الناس بالفتنة الغزالية رحمه الله تعالى[٥٥].

وحزن عليه الناس لما له من المحاسن، فقد كان أمَّة وحده. ورثاه جماعة من تلامذته، ومن ذلك ما نظمه عبد اللطيف القاهري الأزهري[٥٦]:

قَضى زكريَّا نَحْبَهُ فَتَفَجّـــرَتْ عليهِ عُيونُ النيل يومَ حِمَامِـــه

ليعلم أنَّ الدهر راح أمامـــــهُ وما الدَّهرُ يبقى بَعدَ فَقْدِ إمامِهِ

سَقا اللهُ قبراً ضمَّهُ غوثٌ صَيّب عليه مدى الأيام صبح غمامِهِ[٥٧]

وهكذا رحل الشيخ رحمه الله تعالى عن الدنيا بجسده الشريف، وبقي بين المسلمين بعلمه ومصنفاته وآثاره. يذكره أهل الفضل من العلماء فيترحّمون عليه ويعترفون بالفضل له. وهذه سنّة الله تعالى في خلقه، وصدق الله تبارك

وتعالى حيث قال: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[٥٨].

فمن الواضح أن هذه الصفات الحميدة والتي تحلّى بها الشيخ إلا أنها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن المعرفة به صلى الله عليه وسلم، وأنه رحمه الله تعالى كان متبعا للسلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم رضوان الله عليه أجمعين.

رحم الله إمامنا الجليل وأسكنه فسيح جناته ونفعنا الله تعالى بعلومه. آمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

[٥٥] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٠٨.

[٥٦] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٣، ص٢٤١. وعبد اللطيف هو صهر الشيخ زكريا (ت٩٧٧هـ).

[٥٧] محمد بن علي الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، د، الكتاب الإسلامي القاهرة، ج١، ص٢٥٣.

[٥٨] المجادلة، ١١/٥٨.

المطلب الثاني: صفاته وأخلاقه ومذهبه وتصوّفه

الخُلق منّة من المولى عزوجل من اتصف به فقد حاز صفة من صفات الجلال ومنحة من منح الجمال والأخلاق التي يجب على كل إنسان أن يتحلى بها والأخلاق الحميدة حثَّ عليها الإسلام فمن خلال هذا الخلق تنشر المحبة والتسامح بين الناس وهي سبب للقضاء على البغض التي يمتلك ويأسر الناس في بعض الأحيان وها نحن نتعرف على رجل أُكرم بصفات حسنة وخُلق رفيع من جهات عدة.

صفاته الخُلقيّة: ومعرفة صفاته الخُلُقيَّة من الأهمية بمكان، فقد كان مضرب المثل في حسن الخلق والتحلّي بمكارم الأخلاق وفضائلها، لم يدع منها باباً إلا دخله، وعرف بالمداومة على العبادة والعلم والعمل وحُسن الخُلق؛ ويقول السخاوي عنه رحمهما الله تعالى: (ولم ينفك عن الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب والعفة، والبعد عن صحبة أبناء الدنيا، مع التَّقَلّلِ وشرف النَّفس ومزيد من العقل وسعة الصدر، والاحتمال والمداراة... وله تهجُّد ووجد وصبر وترك للقيل والقال، وكانت له أوراد وتواضع؛ بل عمل في التودد يفوق الوصف، مما زاده في الترقي وحسن الطلاقة والتلقي؛ مع كثرة حاسديه، والمتعرضين لجانبه، وهو لا يلقاهم إلا بالبشر، والطيّ للشر)[٥٩].

لذاك فإن الخلق الحسن من أهمّ أركان الدعوة إلى الله تعالى فكان الأنصاري ممن عرف الحقيقة والهدف واتصف بهذه الصفة الحسنة المحمودة. ولعلّ ما وردنا من شعره يعدّ ترجماناً عن صفاته في العبودية والأخلاق، ومن ذلك قوله لهذه الأبيات مناجياً بها المولى تبارك وتعالى:

إلـهـي ذنوبـي قد تـعاظـم جُرمها ... وليسَ على غير المسامح مَتَّـكـلْ
إلـهـي أنا العبـد المسيء وليس لـي ... ســواك ولا علـم لدي ولا عمــل
إلـهـي أقلــنـي عثرتــي وخطيئتـي ... لأنــي يا مـولاي فــي غاية الخَجَل
إلـهـي ذنوبــي مثل سبـعة أبـــحر ... ولكنَّــها فـي جنب عفـوك كالبلبــل
ولـــولا رجائـي أنَّ عفوك واسعٌ ... وأنتَ كريمٌ مــا صـبرتُ على زلـل
إلهي بحـــقِّ الهـاشمـيّ محمــدٍ ... أجرْني مِـنَ النـيران إنِّــي في وَجَـل
وباللطف والعفو الجميل تـولّـني ... وبالخير فامْـنُنْ عندَ خاتمة الأجــل[٦٠]

---

[٥٩] عبد الرحمن السخاوي، (ت٩١١هـ) **الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة**، تح، جوده هلال ومحمد محمود صبح، ص ١٤٤-١٤٧.

[٦٠] الغزّي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص٢٠٦. الظاهر أن الأنصاري لم يهتم بالشعر كثيرا ولكنه لم يهمل هذا الجانب، لذا ذكر صاحب الكواكب السائرة واصفًا شعر الأنصاري بأنه متوسط، وذكر البغدادي من آثار شعر الأنصاري ديوان شعره.

قال هذه الأبيات متوسلاً ومناجيًا بها المولى تبارك وتعالى.

وأقبل الأنصاري على العلم والإقراء والإفتاء والتصنيف في أغلب العلوم مع الدين المتين[٦١]، ومن شأن الكُمّل من الرجال عل الحرص على العمل في العلم والإعطاء من غير كلل ولا ملل.

قد حصَّل الأنصاري رحمه الله تعالى كثيراً من أنواع العلوم والمعارف والمؤلفات المتميّزة ومكارم الأخلاق ومن حسن السمت والتُّؤدة والأخذ عن الأجلاء الكبار ما لم يحصله غيره؛ ولعلَّ أبرز صفاته التي كان يتحلى بها حفظه للجميل وشكره لصنيع المحسنين إليه. ومن أمثلة ذلك اعترافه بالفضل للشيخ ربيع[٦٢] الذي كان صاحب الفضل عليه في توجيهه إلى طلب العلم وسفره إلى القاهرة، فكان إذا وردَ عليه الشيخ ربيع أو زوجته أو أحد أقاربه يقضي حوائجهم ويعترف بالفضل لهم[٦٣].

وذلك ديدن من عرف فضل قضاء حوائج إخوانه ورد الجميل لمن أحسن إليه.

مذهبه العقدي: يتبع الشيخ زكريا في العقيدة منهج الأشعرية ويظهر جانباً من عقيدته في كتابه "الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام" في مسائل تتعلق بأصول الدين[٦٤]. وذكر أن الأشعرية وكثير من المحققين بأنهم: (أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري؛ ت٣٢٤هـ)، وكذا الماتريدية: (أتباع إمام الهدى؛ أبي منصور الماتريدي، ت ٣٣٣هـ): هم أهل السنة والجماعة، وهذا ماتهمه به أحد الحدثين، بمخالفة عقيدة أهل عقيدة السلف؛ لتأويله الأسماء والصفات[٦٥]. "إعراب القرآن" من خلال مواقفه من آيات الصفات التي يُوهِم ظاهرها مشابهة الله سبحانه وتعالى بخلقه، وهي ما يُعرف في كتب العقيدة بالصفات الخبرية، وكان موقف الشيخ منها تأويل هذه الصفات بما يتناسب مع تنزيه الله سبحانه، وهو مذهب الأشاعرة وإليك الدلالة على ذلك من خلال ماأثبته في كتابه إعراب القرآن العظيم.

ومن ذلك قوله عند الآية: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}[٦٦]، قال الأنصاري {مِنَ اللَّهِ} أي: أمر الله[٦٧]، وهذا التأويل عند أغلب العلماء من

---

[٦١] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تح، فيليب حتّي، د. المكتبة العلمية، بيروت، ط، السورية الأمريكية، ص ٧٣.

[٦٢] سبق ذكره، ص٤١.

[٦٣] بدر الدين العلائي محمد بن قرقماش السيفي العلائي: مؤرخ، (ت٩٤٢هـ)، **الأعلام**، ج٧، ص١٠، وذكره في **كشف الظنون**، ج ١، ص١٩٩، الأنصاري، **بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب**، ج ١، ص١٣، تح، خلف عودة القيسي.

[٦٤] جمع قاسم الرفاعي، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الأسلام للأنصاري***، ص٣٦٩.

[٦٥] مقدمة كتاب: **منحة الباري بشرح صحيح البخاري للأنصاري**، ج١، ص٢٠.

[٦٦] الحشر، ٥٩، ٢.

المفسرين وغيرهم عند قوله: {فَأَتَاهُمْ اللَّه} قال: أَمْره وَعَذَابه[٦٨]، وعند قوله جلّ وعلا: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}[٦٩] قال: {بأعيننا} في محلّ رفع خبر "إن"، كما تقول: إني بمرأى منك[٧٠]، وعند قوله سبحانه وتعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ}[٧١] قال: أي أمر ربّك[٧٢]، وهذا من مفرزات مذهبه في التأويل.

ومن هذه النماذج وأمثالها يتضح أن مذهبه العقدي مذهبُ الإمام أبي الحسن الأشعري وهو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن ُبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وكنيته أبو الحسن رحمه الله تعالى[٧٣].

ومما يدلنا على مذهبه العقدي: التزامه مسلك الصوفية، فقد كان صوفياً يغشى مجالس الذكر وينضمّ إلى حلقاته، ويكثر من مطالعة كتب القوم ورسائلهم. وتعلم على يد كبار مشايخها في عصره[٧٤]، وهذا يدلل على سلوكه طريق التصوف.

---

[٦٧] موسى علي موسى مسعود، **إعراب القرآن العظيم للأنصاري**، ص، ٤٣٠ – دراسة وتحقيق (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، ٢٠٠١.

[٦٨] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ***تفسير الجلالين***، ص٥٤٥، د. الحديث – القاهرة.

[٦٩] الطور، ٥٢، ٤٨.

[٧٠] ، **إعراب القرآن الكريم للأنصاري**، ص٤١٣.

[٧١] الفجر، ٨٩، ٢٢.

[٧٢] **إعراب القرآن الكريم للأنصاري**، ص ٤٨٤.

[٧٣] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، ***رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب***، تح عبد الله شاكر محمد الجنيدي، *ص٦١*، د. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، في المدينة المنورة، ط١ ١٤١٣هـ

[٧٤] الغزي، **الكواكب السائرة**: ج١، ص١٩٨.

مذهبه الفقهي: يُعدّ الشيخ زكريا الأنصاري من الحاملين للواء مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في عصره، وهو أحد أعمدته، وكان لجهوده ومصنفاته أثرٌ واضحٌ في المذهب الشافعي. وله مؤلفات في الفقه الشافعي مشهورة، إضافة إلى الشروح والمختصرات، واحتاج أكثر الناس إلى تلك المصنفات وخصوصا فيما كان بالفقه وتحرير المذهب بخلاف العلماء الآخرين، وقد اعتُبِر مجدّداً للقرن التاسع الهجري[٧٥]، واعتباره أحد أعمدة المذهب الشافعي لجهوده ومصنفاته فيه؛ فلذلك كان من أعلام هذا المذهب وأئمته[٧٦]. وقد بلغ الأنصاري المرتبة الرابعة، وهي مرتبة مجتهد الفتوى والترجيح في المذهب، وهذه المرتبة مهمتها في المذهب الترجيح بين الأقوال والأوجه وتحرير المذهب وقد رجح الأنصاري وحرّر المسائل وقررها وكل ذلك تجده في مصنفاته، وزيادة على ذلك فإنه يدعم أحكام المذهب بالنصوص القرآنيّة والحديثية في مصنفاته الفقهية، فقد تميّز الأنصاري في استدلاله بالمذهب كتخريج الحديث والحكم عليه مع ذكر أقوال العلماء فيه وغير ذلك من الاستدلالات[٧٧]. وحق له أن يكون في هذا المقام وتلك المنزلة في المذهب.

ومن أهم مصنفاته في الفقه الشافعي:

"الغرر البهية شرح البهجة الوردية": وهو شرح لـ "بهجة الحاوي"عكف عليه كبار أئمة المذهب عليه بالشرح والنظم، ومنها هذه الشروح: " شرح ابن الملقن" (ت: ٨٠٤هـ) المسمى: "خلاصة الفتاوى في تسهيل أسرار الحاوي". و "شرح السبكي" (ت: ٧٧٣هـ). فالأنصاري له أسلوب الاستدلال من الروايات وتخريج الحديث ونسبته لمصدره الأصلي، مع بيان قول المحدثين فيه مع التعامل بطريقة أصولية في الاستدلال فلا شك أن معرفة الشيخ الأنصاري الأصولية والحديثية والقرآنية كان لها أصرا واضحا في الشرح. فيقول في سنية السواك بالاستدلال في الحديث قال: (وسن للوضوء السواك أي السواك لخبر: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء" أي أمر إيجاب، وفي رواية: "لفرضت عليهم" رواه ابن خزيمة والحاكم مسندا وصححاه، والبخاري تعليقا بصيغة الجزم)[٧٨]. وهكذا يستدل

---

[٧٥] عبد المتعال الصعيدي، (ت ١٣٧هـ)، **المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشرة**، ص ٢٣٥، **النور السافر**، ص ١٢٤. الأنصاري، **إعراب القرآن الكريم**، ص ٢٥.

[٧٦] الأنصاري، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ص١٠. الأنصاري، **إعراب القرآن الكريم للأنصاري**، ص ٢٥.

[٧٧] طارق يوسف حسن، ***شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وأثره في الفقه الشافعي***، (رسالة ماجستير)، بإشراف: ياسين درادكة، في الجامعة الأردنية، قسم الفقه وأصوله، ص١٢٤، ١٢٥، ٢٠٠٤م.

[٧٨] الأنصار، ***شرح البهجة***، ج١، ص٢٩٥، ٢٩٦. والحديث رواه البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب مواقيت الصلاة، باب السواك يوم الجمعة، برقم ٨٨٧، ج٢، ص٤. طارق يوسف حسن، ***شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وأثره في الفقه الشافعي***، ص٧٦.

الأنصاري بالحديث بنسبته لمصدره ورواياته والأقوال فيه، وهكذا الاستدلال بالقواعد الأصولية والفقهية وليس مكانها هنا دفعا للإسهلب فيها.

تصوّفه: كان الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى محبّاً للتّصوف، سالكاً نهج شيوخ التربية، فقد سلك مسلك القوم منذ شبابه؛ فكان متعبّدا ذاكراً متهجّداً صبوراً، وله أوراد وأدعية يواظب على قراءتها. وكان ممن يعتقد الولاية في ابن العربي وابن الفارض ويتأول كلامهما ويدافع عنهما وعن كلاهما. ويتأوّل كلام أولياء الله سبحانه وتعالى[٧٩].

ويرى الفارق بأنّ ابن العربي في المنزلة دون ابن الفارض في الولاية، وكانت له دعوة مجابة، فأشار عليه بعضهم بالتستر بالفقه وقال له: استر الطريق، فهذا ليس زمانها، وكان رحمه الله تعالى من أصحاب الذوق الرفيع وخاصة في فهم كلام القوم فيشرحه بشكل جميل مفهم، ويجيب عنه ـ إذا أشكل منه شيء ـ بالأجوبة الحسنة، بل كان يتناول كلامهم تأويلات جليّة، وقد ضمّن كتابه "شرح الروض" كثيراً من هذه الاستفسارات[٨٠].

وكان يقول في هذا: (الفقيه إذا لم يكن له معرفة بمصطلح ألفاظ القوم فهو كالخبز الحاف بغير أدم)[٨١]، وله مصنفات مشهورة في التصوف؛ ومنها "الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية"، و"الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة"، وكذلك "إحكام الدلالة على تحرير الرسالة" شرح فيه الرسالة القشيرية.

ومِن الذين أخذ عنهم التصوف محمد الغمري الذي لقنه الذكر، ومكث عنده أربعين يومًا، وقرأ عليه قواعد الصوفية. وأبو العباس أحمد بن علي الأنكاوي، والشيخ أبو الفتح محمد بن أبي أحمد الغزي، والشيخ أبو حفص عمر بن علي النبتي، والشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي التميمي الخليلي، وكلهم كانوا شافعيّة المذهب[٨٢]، وهذا من حبه وإخلاصه لمذهبه فقد اهتم بهذا الجانب اهتماما فقرأ وعمل وألف وجالس علماء هذا الفن من العلم.

ومن أبرز شيوخه في التصوف:

---

[٧٩] عبد الرحمن النادي، ***شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، حياته وتصوفه***، ص٢٩.

[٨٠] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٠١، ٢٠٥. الأنصاري، **بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب**، ج ١، ص١٥.

[٨١] الأنصاري، **بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب**، ج ١، ص١٣.

[٨٢] ذكره الشعراوي في طبقاته، **الطبقات الصغرى** ص٤٣، وينظر الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ج١، ص٢٠١.

أبو عبد الله محمد بن عمر الغمري الواسطي ثم المحلي[٨٣] (ت ٨٦٤هـ) نشأ رحمه الله تعالى بمنية غمر، وحفظ فيها القرآن الكريم، وكان معرضاً عن الدنيا زاهداً فيها متجرّداً للعبادة والأدب مع العلماء.

وأحمد الزاهد الذي ساهم في إنشاء الزوايا وتجديدها، حيث يكثر فيها اجتماع الناس لتلاوة القرآن العظيم والذكر الحكيم. وكانت له تصانيف في التصوف منها: قواعد الصوفية. سافر إليه الأنصاري وأقام معه في المحلّة الكبرى أربعين يوماً، وقرأ عليه في هذه الفترة كتاب قواعد الصوفية بتمامه. وكان ذو هيبة بين أصحابه. وإذا حضر مجلسه الشيخ زكريا فإنه يسأله عن معاني الكلام، فكانوا يفرحون بحضور زكريا الأنصاري معهم[٨٤].

هذا وقد سار سيرة صالحة مع أصحابه الذين كانوا مضرب المثل في الأدب والجدّ والاجتهاد، ودفن في المحلة الكبرى[٨٥]، ومنهم الشهاب أبو العباس أحمد بن علي بن موسى الإتكاوي، أخذ الطريق عن صهره الإتكاوي، وحفظ القرآن الكريم مع أربع قراءات. وكانت له كرامات وأحوال صالحة تُشهد، وهو سيّد من السادات، توفي في القاهرة (٨٤٥ه)[٨٦].

ومنهم السراج عمر بن علي النبتيتي، نشأ بمشتول بالشرقية وحفظ فيها القرآن، وكانت له أحوال وتهجد وصلاح، صبوراً مِضيافاً، ونشأ في خدمة الغمري، ومات بُعَيد التسعين (ت: ٨٦٧هـ)[٨٧].

وكذلك الزين عبد الرحمن الخليلي شقير[٨٨]. وأحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد الغزي[٨٩]. وأحمد بن الفقيه علي بن تميم الدمياطي المعروف بالزلبانـي[٩٠]، ومن أقواله في التصوف قال: (التصوف علم تعرف به أحوال تزكيةِ النفوس، وتصفيةُ الأخلاق وتعميرُ الظّاهر

---

[٨٣] **شذرات الذهب**، ج٧، ص ٢٦٥، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص٢٣٥.

[٨٤] عبد الرحمن النادي، ***شيخ الإسلام الأنصاري حياته وتصوفه***، ص٣٧. وينظر، ***الكواكب الدرية***، ج٣، ص١٠٦.

[٨٥] عبد الوهاب الشعراني، (ت٩٧٣هـ) **اختصار لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المسمى الطبقات الكبرى**، ص١٦٥، اعتنى به مع الاختصار، عثمان أحمد الحسيني وحسن محمد الحمد. وينظر، النادي، **زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ص ٣٦، د. الإحسان. الأنصاري، ***ثبت شيخ الإسلام القاضي زكريا***، ص٦٣.

[٨٦] لابن العماد، **شذرات الذهب**، ج ٧، ص ٢٦٥، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص٢٣٥، النادي، **الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ص٣٦. الأنصاري، **ثبت الأنصاري**، ص٦٣.

[٨٧] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٦، ص١٠٨، النادي، **زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ص ٣٨، د، الإحسان.

[٨٨] السخاوي **الضوء اللامع**، ج٤، ص ٩٥.

[٨٩] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص ١٩٧.

[٩٠] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٣، ص٢٣٥.

والباطن لنيل السَّعادة الأبدية)[٩١]. وهذه حقيقة التزكية وتهذيب النفوس، ويرجع هذا لإصلاح القلوب من الأمراض الخفية والعلل الكامنة.

[٩١] عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف**، ص، ٢١، ط٢٧، ينظرفي هامش الرسالة القشيرية، ص٥.

المبحث الثالث: سيرته العلمية

سيرة الأنصاري العلمية تمتدّ من مرحلة الطلب والتحصيل إلى مرحلة التدريس والتعليم؛ بالإضافة إلى شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، ومن تلقاه منه وتتلمذ عليه من الطلاب والتلامذة، وتناول الباحث هذا المبحث بالمطالب التالية:

المطلب الأول: مرحلة التحصيل

فقد توفرت للقاضي الأنصاري بداية مبكرة فسحت له من الوقت استغلها في التحصيل في تنوع معرفته، ولم يتغافل عن هذه الفرصة بل استثمرها على الوجه الصحيح فوجد ثمارها في حياته باستكمال الأدوات بالتفوق بسائر العلوم الشرعية، فأقبل على حفظ القرآن الكريم في بدء تحصيله العلمي، ثم حفظ عمدة الأحكام وبعضاً من مختصر التبريزي[٩٢].

ثم تحول إلى القاهرة سنة ٨٤١ هـ فأقام في الجامع الأزهر، واشتغل أثناء إقامته فيه وجدّ واجتهد ووزّع أوقاته بين العلم والعبادة؛ فأكمَلَ حفظ المختصر ثم حفظ المنهاج الفرعي وألفية ابن مالك في النحو والشاطبية والرائية، وبعض المنهاج الأصلي ونحو النصف من ألفية الإمام العراقي في الحديث، وبعض التسهيل[٩٣].

وهذا يعطي ميزة للشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى، حيث أنه منذ بدايته في الإقبال على العلم قام بترتيب وقته، فحقّف نتائج عظيمة بزمن قصير. ونستنتج من هذا بأنّ الاهتمام والترتيب والتنظيم للوقت من أهم أسباب النجاح.

وبعد أن أقام في القاهرة فترةً من الزمن رجع إلى بلده ولم يرد في كتب التراجم عن سبب رجوعه ومدة لعودته إلى القاهرة، لكنه رجع وأدام الاشتغال هناك بالعلم وجدّ واجتهد في تحصيله[٩٤].

وكان مِن الذين اجتمع بهم وأخذ عنهم العلم: الإمام البلقيني والشرف السبكي والإمام ابن حجر وآخرين رحمهم الله تعالى. وحضر دروس المناوي، وأخذ عن الكافيجي وعن ابن الهمام وغير هؤلاء؛ ثمّ رجع إلى القاهرة مستمرّاً في طلب العلم وتعليمه مع الطريقة الحسنة وحسن

---

[٩٢] الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص٩.

[٩٣] النادي، **زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ص ٢٤. الأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، ص٦.

[٩٤] النادي، **زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه**، ص ٢٤.

العشرة والأدب والعفة، والإعراض عن أبناء الدنيا مع القناعة وعزّة النفس، متصفاً بمزيد من العقل والفِطنة وسعة الصدر، واحتمال المكاره ومدارة الناس[٩٥].

واستفاد الشيخ من غربته في بداية طلبه للعلم حيث التقى بالعلماء الأجلاء الذين جعلوه يعشق العلم والعمل به وامتزج به حسن عشرتهم وأدبهم والقناعة وعزة النفس الذي دفعه للاستمرار في طلب العلم.

وأذن جمع من شيوخه بالإفتاء والإقراء، ومنهم الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى، وتصدى للتدريس والتعليم في حياة شيوخه، وانتفع به من العلم الطلاب والفضلاء. وشرح عدّة كتب وألّف مصنّفات كثيرةً مشهورة، وقُصِدَ بالفتوى. وكانت رَوِيَّتُهُ أحسن من بديهته، وكتابته أمتن من عبارته. وكان يسارعه بالفتوى، وتلك مِن حسناته.

وكان له باع طويل في كل فنٍّ من العلوم ومنها في التصوف علماً وعملاً. ووُلّيَ التدريس في عدّة مدارس إلى أن تولّى منصب قاضي القضاة، ولكنه امتنع كثيرا منه أوّلاً، ثمّ تولّاه سنة ست وثمانين وثمانمائة (٨٨٦هـ). واستمر قاضياً مدّة ولاية الأشرف قايتباي[٩٦] إلى أن كُفّ بصره ـ سنة ٩٠٦هـ فعُزل بالعمى[٩٧].

ولم يزل ملازماً للتدريس والإفتاء والتصنيف، وانتفع به خلائق لا يحصون، ومنهم ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى حيث قال في معجم مشايخه: وقدِمت شيخَنا زكريا الأنصاري لأنَه من أَجَلِّ من وقع عليه بصري من العلماء العاملين والأئمة الوارثين، وعنه رَوَيْتُ ودَرَيْتُ من الفقهاء الحكماء، فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله تعالى على الأنام، حامل لواء المذهب الشافعي، ومحرّر مشكلاته وكاشف لعويصاته في ابتكار وآصاله، المتفرد في زمانه بعلوّ الإسناد.

ويكاد لا يوجد أحدٌ ممّن تصدّر للعلم في عصره إلّا وقد أخذ عنه. وبذلك يكون قد حصل له جمع غفير من التلامذة والأتباع، وكثرة الآخذين والمتلقين عنه[٩٨]، ومن هنا ندرك بأنه بلغ منزلة عالية في العلم والتمكين حتى بلغ الصدارة، وقد حظي بهذا القدر من المسؤوليات في المناصب وهذا التميّز من المدح والتكريم.

---

[٩٥] لابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٣٤. وينظر الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص ٢٠٠. وينظر، الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص٧.

[٩٦] عبد التواب، قايتباي المحمودي الأشرفي الظاهر، من السلاطين في مصر وهو من ملوك الجراكسة، (ت٩٠١هـ)، ينظر، الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٨٨، وينظر، الأنصاري، **ثبت الأنصاري**، ص٦٣.

[٩٧] الزركلي، **الأعلام**، ج ٣، ص٤٦، ذكر بأنه بصره كف سنة،٩٠١ه.

[٩٨] لابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص ١٣٤. العيدروس، ***النور السافر***، ص ١٧٦

واتّجه رحمة الله تعالى عليه إلى أنواع العلوم التي يحرص الطّلاب إلى تحصيلها وبرع فيها كلّها، فأخذها عن شيوخ عصره[٩٩]، وقرأ القرآن الكريم على جماعة؛ منهم زين الدين أبو النعيم رضوان بن محمد العقبي، ونور الدين عليُّ بن محمّد بن فخر الدين المخزوميّ البلبيسيّ. وقرأ زيادة عن القراءات السبع على زين الدين ظاهر بن محمّد بن عليّ النويري، وقرأ على العقبي الشاطبية والرائيّة.

وتفقّه على ابن حجر العسقلاني رحمة الله تعالى عليه وعلى الشرف موسى بن أحمد السبكيّ وغيرهما. وقرأ على علم الدين صالح بن سراج الدين البلقيني، وعلى شمس الدين محمّد بن علي القاياتي أوّلَ شرح البهجة للعراقي[١٠٠]، وقرأ كتاب "التبيان في آداب حملة القرآن" للإمام النووي رحمه الله تعالى على أبي إسحاق الصالحي.

وأخذ العربية والأدب والأصول عن ابن حجر وعن الكافيجي، والتّقيّ مع الحصكفي وسمع عليه بقراءة الكوراني شرحَ المواقف. وأخذ الشيخ زكريا الحديث عن ابن حجر وقرأ عليه السيرة النبوية لابن سيّد الناس والسنن لابن ماجه، ولكنه مات قبل إتمامه، وسمع كذلك عليه أشياء أخرى.

وقرأ مسند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وصحيح الإمام مسلم والسنن الصغرى للإمام النسائي على أبي النعيم رضوان العقبي، وسمع منه شرح معاني الآثار للطحاوي وغير ذلك.

كما قرأ صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى على أبي إسحاق إبراهيم بن صدقة الحنبلي، وسمعه على الشمس القاياتي.

وأذن له جماعة من المشايخ بالتدريس والإفتاء. وأجاز مِن الطلبة ما يزيد على مئة وخمسين نفساً. ولبس الخرقة الصوفية[١٠١]من الشيخ أبي العباس أحمد بن عليّ الأتكاويّ، والشيخ أبي الفتح محمّد بن أبي أحمد الغزي، فأجازوه بالتلقين. وكذلك أخذ الطريق عن محمّد بن عمر الواسطيّ الغمريّ. وهكذا لبس الخرقة والإذن بذلك يحتاج أن يكون من الشيخ المأذون.

ولما اشتغل بالعلم شرح البهجة[١٠٢]، فلما أتمَّ شرحها غار منه بعض الأقران حسداً، فكتب على بعض نسخ الشرح "كتاب الأعمى والبصير" وقصده من ذلك التعريف بأن الأنصاري لا يقدر أن يشرح البهجة بمفرده، وإنما أعانه عليه رفيقٌ لكنه كان أعمى، ويزعم أن الأنصاري كان يطالع وإياه؛ فاحتسب الشيخ زكريا الأجر عند الله تعالى، ولم يكن يلتفت الشيخ

---

[٩٩] السيوطي، **نظم العقبان في أعيان الأعيان**.

[١٠٠] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٩٧. وينظر العيدروس، ***النور السافر***، ص ١٧٧.

[١٠١] وقد سبق ذكرها.

[١٠٢] وهو كتاب **الغرر البهية في شرح البهجة الوردية**، للشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى.

إلى مثل ذلك. وكان يقول: وخصّصت يومي الإثنين والخميس لتأليف شرح البهجة لكونهما ترفع الأعمال فيهما إلى الله تعالى. كما ورد في الحديث الشريف[١٠٣]، وكان رضي الله تعالى عنه بارعاً في سائر العلوم الشرعية وآلاتها، في التفسير والحديث والفقه والأصول والأدب والمعقول والمنقول، فأقبلت عليه الطلبة من سائر البلاد للتلقي والأخذ عنه.

وعمّر رضي الله تعالى عنه حتى رأى تلامذة تلامذته، وقرّت بهم عينه في مجال العلم ومجالس الأحكام، وقصد بالرحلة إليه من الحجاز والشام، وممن أخذ عنه جمال الدين عبد الله الصافي وغيره[١٠٤].

وذكر زكريا الأنصاري عن فترةِ شبابه التي قضاها بالشغل والدرس دون أن يتعلق قلبه بأحد من الخلق حتى أنه كان يُصاب بالجوع الشديد، فيخرج ليلًا إلى الميضأة، فيغسل ما يجده من قشيراتِ البطيخ، ثم يأكلها، إلى أن هيّأ المولى تبارك وتعالى له شيخًا صالحًا، فكان يأتيه بكل ما يحتاجُه من الطعام والشراب والكساء، ومازال على هذا الحال لعدة سنوات[١٠٥].

وهكذا صبر وثبت حتى نبت الأنصاري في بداية حياته فأكرمه الله تعالى فيما هو خير له وللمسلمين في الدنيا والأخرة.

---

[١٠٣] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٠٠. وينظر العيدروس، ***النور السافر***، ص ١٧٧.

[١٠٤] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٩٨. وينظر العيدروس، ***النور السافر***، ص ١٧٧.

[١٠٥] الأنصاري: ***منحة الباري*** ج١، ص١٠. وينظر العيدروس، ***النور السافر***، ص ١٧٧.

المطلب الثاني: العطاء العلمي (التدريس)

تعدُّ المرحلة العلمية مرحلة عزٍّ ومنبع إلهام من الله تعالى، وفيها تظهر رفعة ومكانة الحياة الاجتماعية؛ إذ إنّها مرحلة أساسية لبناء المجتمع والحضارة التي يطمح إليها المجتمع، لأنها مرحلة الإعطاء والنتائج لما حصله من قبل.

وبعد أن أتمّ الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى الأدوات التي جعلته يُبدع في العلم إلى أن بلغ الصدارة فيه، واستمرّ على الاشتغال بالعلوم المتنوعة، مُتحلّياً بطريقة عالية من التواضع والفطنة وسعة الصدر والصبر والتسامح، فأذن له العديد من شيوخه بالإفتاء والإقراء[١٠٦]، إذ إنّه لما تحلّى بالإخلاص في الطلب وحسن الطلب في ذلك نال القبول عند أشياخه حتى أسندت إليه المهام والوظائف العالية لِما رأوا منه الأهلية والقدرة على التحمل.

قال السخاوي رحمه الله تعالى: كتب له شيخنا وألقى نصّ كتابته على بعض الآذنين له فقال: (وأذنت له أن يُقرئ القرآن الكريم على الوجه الذي تلقّاه، ويقرّر الفقه على الوجه الذي ارتضاه الإمام ونصّ عليه الإمام وارتضاه)[١٠٧]. وأذن له في إقراء شرح النخبة وغيرها من المصنفات، وكان أهلاً للتدريس في حياة عددٍ من شيوخه[١٠٨]، وقام بشرح كتب عديدة ومن ذلك: آداب البحث المسمى "بفتح الوهاب بشرح الآداب"، والفصول لابن الهائم في الفرائض وأسماه "غاية الوصول إلى علم الفصول" ومزج فيه المتن بشرحه، وله شرح آخر ليس فيه مزجٌ أسماه "منهج الوصول إلى تخريج الفصول"، وهو من أبسطها، وكتاب "التحفة القدسية"، بالإضافة إلى ألفية ابن الهائم "المسماة بالكفاية"، ولكنه أسماه "نهاية الهداية في تحرير الكفاية"، ومصنف "بهجة الحاوي" الذي أسماه "الغرر البهية في شرح البهجة الوردية"، وشرح كتاب "تنقيح اللباب" للولي بن العراقي، وشرح مختصر الروضة لابن المقري[١٠٩]، ووضع حاشية على شرح البهجة للولي العراقي ـ ووصل شرح البهجة إلى كثير من البلاد ـ وشرح كتاب "شذور الذهب" في النحو[١١٠].

---

[١٠٦] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٦. وينظر، الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص٦٣.

[١٠٧] السخاوي، ***الذيل على رفع الإصر***، ص١٤٥.

[١٠٨] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٦. الشيخ السخاوي عالم من علوم الحديث والتفسير والأدب وهو من قرى مصر العربية، ومات بالمدينة. ينظر، السخاوي، ***الذيل على رفع الإصر***، ص١٤٥.

[١٠٩] سمي بالروض ***بالضوء اللامع***

[١١٠] السخاوي، ***الذيل على رفع الإصر***، ص١٤٥.

وله "فتح الباقي على ألفية العراقي" في ثلاثة أجزاء إضافة على ألفية الإمام العراقي[١١١]، وفيما يتعلق بالقراءات: شرح "المقدمة الجزرية" للإمام ابن الجزري، وشرح مختصر "قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين" لابن القاصح، وأحكام النون الساكنة والتنوين والقصر والمد.

وفي المنطق: شرح كتاب "إيساغوجي"، وشرح "المنفرجة" شرحاً مطولاً وآخر مختصراً، وأقرأ معظم ذلك.

وقال السخاوي: (كنت أظنّ بأن كتابته أمتن من عبارته، حتى اتضح لي أمره عندما بدأ بشرح ألفية الحديث للعراقي)[١١٢]، وقُصِد الشيخُ بالفتاوى لسعة علمه، حتى فاق كثيراً من شيوخه.

وكان له من التهجد والحال مع الله تعالى جيد. إضافة إلى صبره واحتماله.

وكان مجانباً للقيل والقال. وله أذكار وأوراد، واعتقاد رفيع وتواضع جمٌّ. وكان حسن الرويّة والبديهة، وكتابته عبارتها متينة، ومما يدل على ذلك أنه كان لا يتسرّع في الفتاوى.

وقيل فيه: تكاد لا تعدّ حسناته[١١٣]. فلم يخب سعيه فيما بذل من جهد واهتمام في طلب العلم، فظهرت النتائج الطيّبة له وللمجتمع الذي عاش معه، وانتفع بعلمه مَن جاء بعده في شتّى أنحاء البلاد.

---

[١١١] الزركلي، خير الدين الزركلي، (ت ١٣١٠هـ) ***الأعلام***، ج٨، ص٣١٦.

[١١٢] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٦.

[١١٣] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٦.

المطلب الثالث: شيوخه

للشيخ المعلم دور كبير في بناء وتأسيس حياة أفراد المجتمع، وهو القدوة البنّاءة لطالب العلم الشرعي الذي هو أصل لجميع العلوم وأنفعها. والشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى قرأ في عصره على عدّة علماء أكابر، وقد ذكر شيوخه ومجيزيه جميعاً.

شيوخه في الفقه: كان للأنصاري شيوخ كثر في الفقه وقد اشتهر بفقهه وعلمه ودرايته بالفقه، ومن أشهرهم شيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث الحافظ شِهابُ الدّين أحمد العسقلاني، الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر الكِناني العسقلاني، المِصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، وكان مولده في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة"٧٧٣"، وتوفي والده رحمه الله تعالى وهو صغير السن فكفِله الزكي الخروبي إلى أن شبّ وقوي، وحفظ القرآن الكريم والعمدة وألفية ابن العراقي والحاوي الصغير في سنٍ مبكر وهو ابن تسع سنين، وتولّع بالنظم، ثم حَبَّبَ الله تعالى إليه طلب الحديث فأقبل عليه، واجتمع بالكثير من العلماء سمع بالقاهرة مِن السراج البلقيني وغيره من العلماء، وسمع من صدر الدين الإبشيطي، وفي غزَّة سمع من أحمد بن محمد الخليل والرملة والخليل وببيت المقدس وبدمشق وبمنى، وانتقل إلى اليمن وانتقى وحَصَّل. وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتان وخمسين وثمانمائة "٨٥٢ هـ"[١١٤].

وكان من شيوخه في الفقه: موسى بن أحمد السبكي الشافعي القاهري، قرأ القرآن الكريم وحفظ العمدة وغيرها من العلوم، وكان إماما ثبتاً حجة في الفقه والعربية توفي في مرض السل، (ت٨٤٠هـ)[١١٥]. وكذلك شهاب الدين أبو العباس أحمد بن رجب القاهري الشافعي المتوفّى سنة ٨٥٠هـ[١١٦]، وعلم الدين صالح بن سراج الدين البلقيني[١١٧] (ت٨٦٨ هـ).

وحضر دروس يحيى بن سعد المناوي[١١٨] (ت ٨٥٣ هـــ). وابن الهمام[١١٩] محمد ابن عبد الواحد السيواســـي الإسكندري (ت ٨٦١هـ)، والإمام الشيخ الشروانـــي[١٢٠]، وهذا من أسباب تميزه في العلوم التي أخذها من مشايخه وخصوصا في الفقه.

---

[١١٤] لابـن العمـاد، ***شـذرات الـذهب،*** ج٩، ص ٣٩٥. ينظـر، ***منحـة البـاري للأنصـاري،*** ج١، ص١٢.***الكواكـب السائرة،*** ج١، ص ١٩٧، ***والضوء اللامع،*** ج١، ص ٣٦/ ٤٠.

[١١٥] الغزي، ***الكواكـب السـائرة،*** ج١، ص١٩٧.***منحـة البـاري للأنصـاري،*** ج١، ص١٣، ***شـذرات الـذهب،*** ح٩، ص٤١٣.

[١١٦] لابن العماد، ***شذرات الذهب،*** ج ٧، ص٢٦٨ – ***هدية العارفين،*** ج، ص، ٧٥٥، نشر، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول، ١٩٥١، وقامت بإعادة الطبع د. إحياء التراث العربي في بيروت، عدد الأجزاء:٤.، ج١، ص ١٢٨، *منحة الباري* للأنصاري، ج١، ص١٣.

[١١٧] لابن العماد، ***شذرات الذهب،*** ج ٧، ص٣٠٧، الأنصاري، ***منحة الباري،*** ج١، ص١٣.

[١١٨] الزركلي، خير الدين الزركلي، (ت ١٣١٠هـ) ***الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،*** ج ٨، ١٦٧، ***لابن العماد، شذرات الذهب،*** ج٧، ص٢٧٨.

شيوخه في الحديث الشريف: كما أن الأنصاري قرأ الحديث الشريف عن علماء أجلاء منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن صدقة الحنبلي[١٢١]. والزين الزركشي[١٢٢]. والعز المقدســـــي (ت: ٨٤٦هـ) [١٢٣]. وابن جماعة[١٢٤] (ت: ٨٥٥هـ). وأبو الفتح المرغي[١٢٥] الفقيه المحدث (ت: ٨٥٩هـ).

وشيوخه في القراءات: نور الدين على بن محمد فخر الدين البلبيسي[١٢٦] (ت ٨٨٨هـ). وزين الدين أبو النعيم رضوان بن محمد العقبي المصري (ت ٨٥٢هـ)[١٢٧]. ومحمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري، فقيه مالكي[١٢٨] (ت ٨٥٧هـ). وزين الدين عياش المكي[١٢٩]، وهذا كان له الدور البارز في نبوغه في هذا الفن من العلوم.

وفي النحو والمنطق: تلقى النحو عن محمد بن أحمد الكيلاني[١٣٠] الأزهري الشافعي(ت٨٥٠هـ)، وغيره.

وتلقى علم العروض عن سراج الوروري[١٣١] محمد بن عيسى القاهري الأزهري (ت٨٦١ هـ).

وأما علم الحرف فأخذه عن محمد قرقماش الحنفي[١٣٢]. وكان شيخه في المنطق: جعفر العجمي الحنفي[١٣٣]، وكان شيخه في التربية والأدب والأصول والمعقولات: التقي أحمد بن يوسف الحصكفي[١٣٤] (ت ٨٤٩ هـ).

---

[١١٩] لابن العماد، ***شذرات الذهب***، ج٣، ص٢٣٤.
[١٢٠] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص١١٩.
[١٢١] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص ١٩٨.
[١٢٢] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج ٣، ص٢٣٥.
[١٢٣] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٥، الزركلي، ***الأعلام***، ج٤، ص ٢٣.
[١٢٤] الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ٢٣٥، ج ١١، ص ٥٢.
[١٢٥] الشوكاني، ***البدر الطالع***، ١٨٣/٤، السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٥.
[١٢٦] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج ٣، ص٢٣٤وج٥، ص٣٠٠.
[١٢٧] لابن العماد، ***شذرات الذهب***، ج ٧، ص٢٧٤.
[١٢٨] لابن العماد، ***شذرات الذهب***، ج ٥، ص ١١٢.
[١٢٨] الزركلي، ***الأعلام***، ج ٧، ص٤٧.
[١٢٩] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٣٥.
[١٣٠] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص١٢٩.
[١٣١] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٥، ص١١٢.
[١٣٢] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٥، ص١١٢.
[١٣٣] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص٢٣٥.
[١٣٤] السخاوي، ***الضوء اللامع***، و***الأعلام***، ج ١، ص٢٧٥.

وأما شيوخه في علم التصوف فكان من أبرزهم: أبو عبد الله محمد بن عمر الغمري الواسطي ثم المحلي[١٣٥] (ت ٨٦٤هـ) نشأ رحمه الله تعالى بمنية غمر وحفظ فيها القرآن الكريم وكان معرضاً عن الدنيا زاهداً فيها ملازاً التجرد والعبادة والأدب مع العلماء، ولازم وسلك طريق الشيخ أحمد الزاهد، وكان له الباع في إنشاء الزوايا وتجديد الزوايا التي يكثر فيها اجتماع الناس لتلاوة القرآن العظيم والذكر الحكيم.

وله تصانيف في التصوف منها: قواعد الصوفية، سافر إليه الأنصاري وأقام معه في المحلة الكبرى أربعين يوماً، وقرأ عليه في هذه الفترة كتاب قواعد الصوفية بتمامه، وكان ذا هيبة يهابه أصحابه وكان الشيخ زكريا يسأله في معاني الكلام لذ كانوا يفرحون بحضور زكريا الأنصاري معهم، وقد سار في الطريق سيرة صالحة مع أصحابه الذين كانوا مضرب المثل في الأدب و الجدّ والاجتهاد، ودفن في المحلة الكبرى[١٣٦] ، والشهاب أبو العباس أحمد بن علي بن موسى الإتكاوي، أخذ الطريق عن صهره الإتكاوي وحفظ القرآن الكريم مع أربع قراءات، وكان له من الكرامات تذكر ومن الأحوال الصالحة تُشهد لهو سيد من السادات وتوفي في القاهرة سنة (٨٤٥هـ)[١٣٧] ، والسراج عمر بن علي النبتيتي الذي نشأ بمشتول بالشرقية وحفظ القرآن وله من الأحوال والتهجد والصلاح وملازمة الصبر وإكرام الضيفان، ونشأ في خدمة الغمري، ومات بُعَيد التسعين (ت ٨٦٧هـ) [١٣٨]، والزين عبد الرحمن الخليلي شقير[١٣٩]. وأحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد الغزي[١٤٠]. وأحمد بن الفقيه علي بن تميم الدمياطي المعروف بالزلبانـــي[١٤١].

ولقد أُكرم الأنصاري رحمه الله تعالى بعلماء أفاضل، تتلمذ على أيديهم وانتفع من حالهم وعلمهم. ولما كان للعلوم الإسلامية أهمية كبيرة في بناء شخصية المسلم على الصعيد الشخصي والاجتماعي، حيث يزوّده بكيفية السير إلى الله تعالى والمعاملة مع أحكام الله تعالى من الحلال والحرام والمعاملة مع فئات المجتمع، فتنضبط تصرفاته وتصطلح حياته.

---

[١٣٥] ابن العماد ***شذرات الذهب***، ج٧، ص ٢٦٥، السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج ٣، ص٢٣٥.

[١٣٦] الشعراني، ***اختصار لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المسمى الطبقات الكبرى***، ص١٦٥. النـادي، ***زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه***، ص ٣٦. الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص٦٣.

[١٣٧] لابن العماد، ***شذرات الذهب***، ج ٧، ص ٢٦٥، السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج ٣، ص٢٣٥، النـادي، ***شيخ الإسلام زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه***، ص٣٦. الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص٦٣.

[١٣٨] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٦، ص١٠٨، النادي، ***زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه***، ص ٣٨.

[١٣٩] السخاوي ***الضوء اللامع***، ج٤، ص ٩٥.

[١٤٠] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج١، ص ١٩٧.

[١٤١] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٥.

المطلب الرابع: تلامذته

ومن الثمرات والنتائج المثمرة النافعة أن يخلف الشيخ أتباع من بعده يحملون على كاهلهم ما حمله لتستمر الدعوة والسير والمنهج القويم الذي كان عليه من العلم والتعليم.

وكان رحمه الله تعالى أَمْثَلَ أهل زمانه، بل كان رأساً للعلماء من بين أقرانه. ورُزق البركة في عمره وعلمه وعمله، وأُعطي البركة والوفرة في مصنفاته وتلامذته حتى قيل: لم يبق في البلاد بلد إلا وفيها من طلبته أو من طلبة طلبته[١٤٢]، واشـــتهر رحمه الله تعالى وبرع في أنواع العلوم، وكان لذلك أثرٌ أن أصبح طلابه لا يُحصَونَ عدداً. فكان الطلاب يقصدونه من شتى البلاد؛ مِن الشام والحجاز وغيرها.

وعَمَّرَ حتى رأى مِن تلامذة تلامذته مَن يُلقّب بشيخ الإسلام، فقرّت عينه بهم[١٤٣]، ومن هؤلاء التلاميذ:

منهم: الشيخ الشعراني ويقال الشعراوي، الذي اشتغل بخدمته عشرين سنة. والشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد بن الحنفية الشعراني، ولد في مصر سنة (٨٩٨هـ) و (ت ٩٧٣هـ)، فالشيخ الشعراني: من أبرز تلامذة الشيخ الأنصاريزكريا؛ لقنه الشيخ الأنصاري الذّكر، وألبسه خرقة الصوفية، وترجم للشيخ ترجمة وافية [١٤٤].

وشهاب الدين ابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي؛ ولد سنة (٩٠٩هـ) بالغربية بمصر، ونقل إلى القاهرة سنة (٩٢٤هـ)، وأخذ فيها عن الشيخ الأنصاريوغيره من العلماء، وقال في معجم مشايخه: (وقدمتُ شيخنا زكريا لأنه أجل من وقع عليه بصري من العلماء العاملين، والأئمة الوارثين، وعلى من عنه رويت ودريت من الفقهاء والحكماء المسندين؛ فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله على الأنام، حامل لواء مذهب الشافعي على كاهله، ومحرر مشكلاته، وكاشف عويصاته في بكرته وأصائله، ملحق الأحفاد بالأجداد، المنفرد في زمنه بعلو الإسناد؛ كيف ولم يجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة تارة، وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى، وهذا لا نظير له في أحد من أهل عصره، فنعم هذا التميز الذي هو عند

---

[١٤٢] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج ١، ص٢٠١، الأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، ص٩.

[١٤٣] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص١٩٩، الأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، ص٩.

[١٤٤] -هو من علماء التصوف والفقهاء، ولد في قلقشندة بمصر ونشأ بشاقية أبي شعرة، من قرى المنوفية، وإليه نسبته "الشعراني ويقال الشعراوي" وتوفي في القاهرة، وله تصانيف منها: "الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية – أدب القضاء – وهو الذي خص شيخه الأنصاري بترجمة إضافية في كتابه المشهور بالطبقات الكبرى..." الأعلام، ١٨٠/٤هـ. و، الشعراني، عبد الوهاب الشعراني، لطائف المنن والأخلاق، ص٥، ط١، (١٤٢٥هـ)، د، التقوى.

الأئمة أولى وأحرى؛ لأنه حاز به سعة التلاميذ والأتباع، وكثرة الآخذين عنه ودوام الانتفاع)[١٤٥]. وكذلك رضى الدين محمّد بن محمّد الغزي[١٤٦] (ت ٨٣٥ هـ).

وابنه بدر الدين بن محمّد بن محمّد الغزيّ[١٤٧] (ت: ٨٨٤ هـ).

والمحلّي الإمام[١٤٨] وفقيه مصر شهاب الدين الرملي، أحمد بن حسين الرملي (ت: ٨٤٤هـ).

ومحمّد بن أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ).

ومفتي الحجاز وعالمها شهاب الدين ابن حجر الهيتمي[١٤٩] (ت ٩٧٣هـ).

وعلي بن القرافي (ت ٩٨٠هـ). ومحمّد بن أحمد الحصكفي (ت ٩٧١هـ). وجمال الدين يوسف ابن الشيخ زكريا الأنصاري (ت٩٨٧هـ). زكريا الأنصاري، حفيد الشيخ زكريا، أخذ العلم عن جده وعن غيره. يحيى بن الشيخ الأنصاري، ومحمّد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)[١٥٠].

---

[١٤٥] ابن حجر الهيتمي، ***ثبت الأمام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي***، ص٩٢، تح، أمجد رشيد، ط١، ١٤٣٥ ــ ٢٠١٤م، د. الفتح للدراسات والنشر. ينظر، ***ثبت الأنصاري***، ص١١. ينظر، عبد الرحمن النادي، الأنصاري حياته وتصوفه، ص٤٨.

[١٤٦] الزركلي، ***الأعلام***، ج٧، ص٥٦، وقرأ على الشيخ زكريا المنهاج والألفية وسمع إليه أشياء كثيرة.

[١٤٧] الزركلي، ***الأعلام***، ج٧، ص٥٩.

[١٤٨] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج ٨، ص ١٦٧.

[١٤٩] أحمد بن محمد بن محمد علي بن حجر نسبة إلى محلة أبي الهيثم بمصر، أخذ عن علماء مصر، وكان قد أذن له بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين، وممن أخذ عنه شيخ الإسلام القاضي زكريا والشيخ عبد الحق والشمس المشهدي والطبلاوي، ومن مؤلفاته: "شرح المشكاة، وشرح المنهاج، وشرحان على الإرشاد، وشرح الهمزية" (ت: ٩٧٣هـ) ***شذرات الذهب***، ج٨، ص٣٨٠، وفي ***الكواكب السائرة***، ج١، ص١٩٩.

[١٥٠] عبد الرحمن النادي، ***شيخ الإسلام حياته وتصوفه***، ٤٤.

المبحث الرابع: المسلك الوظيفي

لابد لكل مقام من أهل يقومون بقدره ويؤدون حقه ومن خلال وقفات مع هذا العَلَم يتبين لنا مقام الشيخ في أعماله من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: أشهر الأعمال والوظائف التي تقلدها

إن المناصب والوظائف التي تولاها الشيخ زكريا رحمه الله تعالى تشهد بمكانته العلمية المرموقة الكبيرة، ويلاحَظ أنه لم يسعَ إليها بل كان يقدّم غيره إليها، وقد تولى رحمه الله تعالى عدداً من المناصب والمهام:

١ـ تولّى رحمه الله تعالى التدريس في أكثر من مكان، منها[١٥١]:

أ. عمِل في مقام الإمام الشافعي بالتدريس، وهذا يعد من أهم المهام وأرفع المناصب في ذلك الوقت.

ب. وعمل بالتدريس بالمدرسة الصالحية من قِبل (الأشرف قايتباي) بقرب من المسجد الشافعي رحمه الله تعالى، ووكل إليه بنفس الوقت النظر في وقفه ووقف القرافة بأسرها، ممن يؤذن بمزيد من خصوصيته.

ج. وعلّم بالمدرسة الجمالية في القاهرة.

د. وقرره الملك الظاهر في التدريس بتربته التي قام بإنشائها بالصحراء في بداية فتحها. وهذا التدريس كان من قِبَل السلطان وبإشراف أكابر العلماء.

ه. ونصَّبه الظاهر لتدريس الفقه بالمدرسة السابقية سنة (٧٨٠هـ) وخرجت جنازة الشيخ منها.

٢. إمامة المدرسة الزيدية.

٣. وأخذ التدريس في البيمارستان، والأشرفية القديمة.

٤. تولَّى مشيخة التصوف بجامع بركة الرطلي سنة (٨٦١هـ) وكان الشيخ في الخامسة والثلاثين من عمره.

٥ـ وتولى منصب قاضي القضاء، بعد امتناع منه دام وقتاً طويلاً، وكان السلطان الجركسي يلهج بالتحديث بولايته للقضاء مع علمه مكانته الرفيعة وقبوله عند الظاهر خشقدم بعد تصميمه عليه لذلك إلى أن أذعن بعد مجيء الزمان وناظر الخاص ونائب السر وناظر الدولة

---

[١٥١] الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص١٠١. وينظر السخاوي، ***الذيل على رفع الإصر***، ص١٤٥، ١٤٧. وينظر، الأنصاري، ***ثبت شيخ الأنصاري***، ص٦٣، وينظر، الأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، ص٨.

وغيرهم فطلع معهم وما وجد بدّاً من القبول فقبل، وذلك وقت الزوال من يوم الثلاثاء ثالث رجب سنة (ست وثمانين وثمانمائة)، واستمر مدة ولاية المنصب مدة ولاية قايتباي وبعده.

وذكر العيدروس أن سبب عزله إصابته بالعمى، لأن جمهور الفقهاء متفقون بأن يعزل القاضي بفقدان البصر، وذكر الغزي والشوكاني سببا آخر وهو زجر السلطان عن ظلمه، ولم يثبت وقت عزله وفقد بصره لعدم ذكر ذلك في كتب التراجم، ولكنها لا تتعدى سنة (٩٠٤هـ) أما الشوكاني فإنه يجزم أن عزله كان سنة (٩٠٦هـ)، وقد ولي الأنصاري الجهات والمناصب والتدريس مع أن القاضي زكريا كان يعتقد ويعتبر أن توليته في منصب قاضي القضاء، غلطة[١٥٢]، والوعظ والإشراف على الأوقاف ومشيخة الصوفية وغير ذلك من المناصب[١٥٣]. وكان ذلك بسبب الجهود التي بذلها في سبيل العلم والتعلم.

٦ـ ويظهر مما سبق مكانة الأنصاري من المناصب التي تقلدها أنها ذو مكانة رفيعة عالية عظيمة مع توليته في التدريس في عدة مدارس رفيعة.

وانتفع به رحمه الله تعالى خلق كثير ودرس في حياته تلامذته ببركته وبركة الانتساب إليه وأفتوا وتولّوا المناصب ولم يزل ملازما في نشر العلم وكثرة الخير والبر والإحسان إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى رحمه الله تعالى. وبذلك أُغلق سجل حافل بالعلم والعمل.

المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه

من عاجل بشرى الإنسان أن يُذكر على ألسنة الخلق بالخير والثناء عليه، والأكمل من ذلك أن يُذكر على ألسنة الخواص من العلماء والصالحين. وقد تحقّق ذلك بتوفيق من الله تعالى للشيخ زكريا لما كان يتحلّى به من الحرص والاجتهاد، وبما تميّز من الإخلاص لله في هذا الطلب وبذل الجهد في التحصيل؛ فبعد انتقاله من هذه الحياة لا تزال الألسن تلهج بالثناء والدعاء له.

وقد كان للأنصاري سيرة محمودة وأخلاق عالية بين الناس، فقد ألقى الله تعالى محبته في معاصريه فأثنى عليه الشيوخ والتلاميذ والمحبين، لذلك انطلقت ألسنة الخلق من العلماء خاصة تنطق ما في قلوبها من محاسن الأنصاري وشيمه وميزاته الطيبة مثل أقرانه كالسخاوي وبعض تلامذته كابن حجر الهيتمي والشعراني وبدر الدين العلائي وغير ذلك كثير:

---

[١٥٢] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص٢٠١.

[١٥٣] السخاوي، ***الضوء اللامع***، ج٣، ص٢٣٨. ***والعيدروس، النور السَّافر عن أخبار القرن العاشر***، ص، ١٧٦. ***والكواكب السائرة***، ص، ٢٠٢. والنادي، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري حياته وتصوفه، ص،٦١. وموسى علي موسى مسعود، ***إعراب القرآن العظيم***، ص، ٣١ – دراسة وتحقيق (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، ٢٠٠١. الأنصاري، ***ثبت شيخ زكريا الأنصاري***، ص١٠. ***منحة الباري بشرح صحيح البخاري***، ج١، ص١٠.

فابن حجر الهيتمي قدَّم شيخه الأنصاري لأنه رأى وأدرك منزلته من بين العلماء فكان من أئمتهم وأجلهم في نظره وقال: (وقدمتُ شيخنا زكريا لأنه أجل من وقع عليه بصري من العلماء العاملين، والأئمة الوارثين، وعلى من عنه رويت ودريت من الفقهاء والحكماء المسندين؛ فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله على الأنام، حامل لواء مذهب الشافعي على كاهله، ومحرر مشكلاته، وكاشف عويصاته في بكرته وأصائله، ملحق الأحفاد بالأجداد، المنفرد في زمنه بعلو الإسناد؛ كيف ولم يجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة تارة، وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى، وهذا لا نظير له في أحد من أهل عصره، فنعم هذا التميز الذي هو عند الأئمة أولى وأحرى؛ لأنه حاز به سعة التلاميذ والأتباع، وكثرة الآخذين عنه ودوام الانتفاع)[١٥٤]. وقال السخاوي: (وعلى كل حال فهو نهاية العنقود وحامل الراية التي إلى الخير فيما نرجو تعود) ذكره الشعراوي في ثبت الأنصاري[١٥٥].

وقال الشعراني:(شيخ الإسلام، أحد أركان الطريقتين: في الفقه والتصوف، وكان أكبر المفتين بمصر يصير بين يديه كالطفل، وكذلك الأمراء). ويقول كذلك يصف مدة خدمته للشيخ فترة زمنيّة ليست بقليلة بأنّه قام بخدمته عشرين سنة، ولم يره في غفلة ولا يشتغل بشيء لا يعنيه لا في الليل ولا في النهار، وأنه كان وقوراً مهيباً مؤانساً ملاطفاً[١٥٦].

وقال النجم الغَزّي: هو الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، علامة المحققين، وفهامة المدققين، ولسان المتكلمين، وسيد الفقهاء والمحدثين، الحافظ المخصوص بعلو السند، والملحق للأحفاد بالأجداد، العالم، العامل، والولي الكامل، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والسالك إلى الله تعالى أقوم مسالك الطريقة، مولانا وسيدنا قاضي القضاة، أحد سيوف الحق المنتضاة[١٥٧].

وكان الأنصاري مما يعتقد بأنه من المجددين على رأس القرن التاسع لكثرة الانتفاع به وبتصانيفه وكثرت احتياج غالب الناس إليها فيما يتعلق بالفقه وتحرير المذهب[١٥٨]. وهذا من عاجل بشرى المؤمن بالثناء عليه.

---

[١٥٤] ابن حجر الهيتمي، ***ثبت الأمام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي***، ص٩٢، تح، أمجد رشيد، ط١، ١٤٣٥ ــ ٢٠١٤م، د. الفتح للدراسات والنشر. ينظر، الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص١١.

[١٥٥] الشعراوي، ثبت الأنصاري، ص١١.

[١٥٦] الشعراني، ***الطبقات الكبرى***، ج٢، ١٧٤.

[١٥٧] الغزي، الكواكب السائرة، ص١٩٨.

[١٥٨] الأنصاري، ***ثبت الأنصاري***، ص١١، ينظر، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري***، ص١٠.

المطلب الثالث: مصنفاته وآثاره العلمية

المؤلفات التي صنفها متنوعة، وقد كانت في علوم مختلفة؛ ومنها في علوم التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الكلام والمنطق، أصول الفقه وعلوم اللغة وعلم التصوف، ومصنفاته في مواضيع أخرى وغيرها. ورددت بعضها للمصادر ولم أذكر البعض كثرت من ذكر مصنفاته مع من ذكرها في الكتب القديمة والحديثة.

مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن:

حاشية "فتح الجليل ببيان خفي التنزيل" وهوحاشية عظيمة لتفسير"أنوار التنزيل وأسرار التأويل " المعروف بـ "تفسير البيضاوي" للقاضي المفسر الأصولي الحافظ الفقيه ناصر الدين عبد الله البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ). ذكره في منحة الباري،[١٥٩].

"فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري" كتاب جلُّ تفسيره في المتشافه اللفظي، مختر للمتشابه اللفظي، ولم يستوعب تفسيره جميع آيات القرآن الكريم، ولا يخلو الكتاب عن المسائل التفسيري لبعض المفردات من غير المتشابه وعن المسائل النحوية والبلاغية والعقائدية والفقهية وغيرها، وحقق ودرس هذا الكتاب من جوانب.

قدم له وحققه وعلق عليه: عبد السميع محمد أحمد حسنين رحمه الله تعالى، وهو رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، بإشراف عبد الغني الراجحي رحمه الله تعالى.

وقام بتحقيقه أيضا: الشيخ محمد علي الصابوني رحمه الله تعالى، فحقّقه وطبعه وكتب مقدمة له وضّح فيها مكانة الكتاب وقيمته ومكانة الشيخ زكريا الأنصاري العلمية وثناء العلماء عليه، ولم يوضّح منهجه في الكتاب ذكره كثير من المؤلفين منهم[١٦٠].

"الدقائق المحكمة في شرح المقدمة" وضعه في القراءات وهو شرح للمقدمة المشهورة في علم التجويد لـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزرية (٨٣٣هـ).

"تقريب النشر في معرفة القراءات العشر" لخص فيه كتاب " تقريب النشر في القراءات العشر".

"مقدمة في شرح البسملة والحمدلة في التجويد".

"اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم" وهي عبارة عن رسالة.

"مختصر قرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين". لابن القاصح: وهو اختصار لرسالة "قرة العيون" لأبي البقاء المقري المعروف بابن القاصح (٨٠١هـ).

---

[١٥٩] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج١، ص٣٠.

[١٦٠] البغدادي، ***هدية العارفين***، ج٥، ص٢٧٤. والزركلي، ***الأعلام***، ج٣، ص٤٦.

"إعراب القرآن اعظيم" تحقيق ودراسة موسى علي موسى مسعود، (١٤٤١هـ).

مصنفاته في الحديث وعلومه:

"تحفة الباري على صحيح البخاري" فشرح فيه صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وله أيضا شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث واسمه " فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، و"فتح العلام بشرح الاعلام بأحاديث الأحكام".

"شرح على صحيح مسلم بن الحجاج"، و"الإعلام بأحاديث الأحكام"، وله "فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام"، وهو شرح لكتاب "الإعلام بأحاديث الأحكام". و"مختصر الآداب للبيهقي"[١٦١]

"مختصر بذل الماعون" مختصر بذل الماعون للحافظ ابن حجر العسقلاني.

" تحفة الراغبين في أمر الطواعين"، ذكره مازن المبارك[١٦٢].

"شرح الأربعين النووية" ذكره بروكلمان، "تاريخ الأدب العربي"[١٦٣]

مصنفاته في العقيدة والمنطق:

له كتاب "فتح الإله الماجد بإيضاح شرح العقائد" وهو حاشية على شرح العقائد النسفية، لسعد الدين التفتازاني (٧٩١هـ) في علم الكلام. وله "لوامع الأفكار في شرح طوالع الأنوار" شرح فيه طوالع الأنوار للإمام البيضاوي رحمه الله تعالى، وفتح الوهاب بما يجب تعلمه على ذوي الألباب: وهي رسالة ذكر فيها بعضا من العقائد والتصوف والأخلاق. وفي المنطق وضع كتاب المطلع "شرح إيساغوجي: لأثير الدين الأبهري، وفي الحدود: كتاب، "الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة"، في حدود الألفاظ المتداولة في أصول الدين، تحقيق مازن المبارك، نشر: دار الفكر[١٦٤].

مصنفاته في الفقه وأصوله:

تعدّدت مصنفاته في الفقه من ذلك كتاب "الغرر البهية في شرح البهجة الوردية"، وهو الشرح على" منظومة ابن الوردي" (٧٤٩هـ)، ونظم بها كتاب الحاوي الصغير في فروع الشافعية[١٦٥]. وكتاب "منهج الطلاب" وهو مختصر "منهاج الطالبين" للنووي. و"فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب" وهو شرح لكتاب "منهج الطلاب" الذي اختصر فيه "منهاج الطالبين"

---

[١٦١] الغزي، ***الكواكب السائرة***، ج١، ص١٢٤.

[١٦٢] مازن المبارك، ***مقدمة الدقائق المحكمة***، ص٢٥.

[١٦٣] بروكلمان، ج٢، ص١٢٤.

[١٦٤] منحة الباري، ج١، ٣٨.

[١٦٥] **شيخ الإسلام الأنصاري وأثره في الفقه**، ص٦١.

للنووي، وقد طبع في المطبعة الميمنية (عام ١٣٣٢هـ). وكذلك "تحرير تنقيح الباب" وهو مختر لكتاب "تنقيح اللباب" لولي الدين الن العراقي (ت: ٨٢٦هـ)، و"تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب" وهو شرح لـ "تنقيح اللباب"، و"الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام"، و"شرح الأصل". و" خلاصة الفوائد المحمدية في شرح البهجة الوردية"، وهو شرح صغير على "منظومة البهجة الوردية"[١٦٦]. و"الحاوي الصغير في الفروع"أسنى المطالب في شرح روض الطالب"، و"غاية الوصول إلى علم الفصول" وهو " شرح الفصول المهمة في علم ميراث ميراث الأمة" المشهور بـ " الفصول في الفرائض" للشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الهائم (ت: ٨١٥هـ)[١٦٧] . " شرح منهاج إلى علم الأصول" للبيضاوي، [١٦٨]. و "لب الأصول" و "غاية الوصول إلى لب الأصول"، وهو شرح لـ مختصر جمع الجوامع، المسمى بـ لب الأصول، وسماه غاية الوصول إلى لب الأصول[١٦٩]. و"قطعة على مختصر ابن الحاجب" "حاشية على شرح جمع الجوامع" للمحلي، رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق، للطالب عبد الحفيظ هلال. بإشراف مصطفى الخن، بعنوان: "حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي على شرح جمع الجوامع للإمام المحلي الشافعي (من أول الكتاب إلى آخر باب الأمر والنهي)" و "حاشية على التلويح" للسعد التفتازاني[١٧٠].

مصنفاته في العربية والبلاغة:

له مصنف في "بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب" جعله في النحو، الدرر السنية: حاشية على شرح ابن المصنف على ألفية ابن مالك، ملخص تلخيص المفتاح للسّكّاكي، وسماه "أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني".

مصنفاته في التصوف:

إحكام الدلالة على تحرير الرسالة، شرح ممزوج على رسالة القشيري في التصوف، وله فتح الرحمن لشرح رسالة الولى رسلان: وهو شرح للرسالة المختصرة في التوحيد والتصوف لرسلان الدمشقي، والفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية، ورالأضواء البهية في إبراز دقائق المنفرجة، وهو شرح كبير لقصيدة المنفرجة، للإمام التوزري، وفتح مفرج الكرب،

---

[١٦٦] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج١، ص٢٦. وينظر، طارق يوسف، **شيخ الإسلام الأنصاري وأثره في الفقه**، ص٦٢.

[١٦٧] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٣٦. العيدروس، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٠٣، وينظر، طارق يوسف، **شيخ الإسلام الأنصاري وأثره في الفقه**، ص٦٣.

[١٦٨] طارق يوسف، **شيخ الإسلام الأنصاري وأثره في الفقه**، ص٥٤.

[١٦٩] طارق يوسف، **شيخ الإسلام الأنصاري وأثره في الفقه**، ٤٥،

[١٧٠] طارق يوسف، **شيخ الإسلام الأنصاري وأثره في الفقه**،٥٤

وهو الشرح الصغيرله، والزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة، وله رسالة في كرامات الأولياء[١٧١].

مصنفاته في الفرائض:

منهج الوصول إلى تخريج الفصول، وله غاية الوصول إلى علم الفصول، الفتحة الإنسية لغلق التحفة القدسية، نهاية الهداية في تحرير الكفاية، فتح المبدع بشرح وسيلاة ابن الهائم،[١٧٢]

مصنفاته في الحساب:

فتح المبدع في شرح المقنع، شرح مرشد الطالب إلى أسنى المطالب.[١٧٣]

مصنفاته في آداب البحث:

فتح الوهاب بشرح الآداب[١٧٤].

وله مؤلفات أخرى منها: ديوان شعر[١٧٥].

لا يخفى على أنّ مصنفات العلماء تدل على شخصيتهم وجهودهم التي يقدمونها في خدمة ملة الإسلام وأهله، ومرآة لشخصيتهم، ويعد الأنصاري مما سبق من مؤلفاته أنه كان ذو شخصية متميزة، قضى عمره في العلم والتعليم وتأليف التصانيف المفيدة العديدة وهو مفسرٌ، فقيهٌ، محدثٌ، أصوليٌ، منطقيٌ، متكلمٌ، لُغويٌّ، ويظهر ذلك في مؤلفاته.

---

[١٧١] النادي، ***حياته وتصوفه*** للأنصاري، ص٧٦.

[١٧٢] النادي، ***حياته وتصوفه*** للأنصاري، ص٨٣.

[١٧٣] النادي، ***حياته وتصوفه*** للأنصاري، ص٨٣.

[١٧٤] ***الضوء الامع***، ج٣، ص٢٣٦.

[١٧٥] نسبه إليه في ***هدية العارفين***، ج١، ص ٣٧٤، النادي، ***حياته وتصوفه*** للأنصاري، ص٨٧.

الفصل الثاني: جهوده في التفسير ومنهجه فيه

تناول الباحث في هذا الفصل الكلام على جهود الشيخ ومنهجه في التفسير في ثلاثة مباحث؛ الأوّل منهما لبيان الجهود التي بذلها الأنصاري من خلال بعض مصنفاته في التفسير في عدة مطالب.

وأما المبحث الثاني لبيان منهجه الذي سلكه في التفسير؛ وفيه عدة مباحث.

وفي المبحث الثالث ما لوحظ من علوم القرآن في مصنفاته؛ وفي هذا المبحث عدّة مطالب.

المبحث الأول: جهوده وآثاره في التفسير

يظهر أثر الشيخ الجليل في هذا الفن العظيم من خلال كتبه في التفسير التي تشهد بعلو جهوده في علم التفسير إلى جانب جهوده الخلاقة في فنون أخرى من العلم، وهو جانب مخفي من شخصية الشيخ زكريا الأنصاري العلمية.

ومن الجهود التي سنقف معها في هذا المبحث كتاب"فتح الرحمن بكشف مايلتبس في القرآن" وكتاب" فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل" وكتاب" إعراب القرآن العظيم" ورسالة "شرح البسملة والحمدلة" وبعض أقواله في قسم التفسير من كتاب"منحة الباري بشرح صحيح البخاري" وهذه من أهم الجهود التفسيرية للشيخ زكريا الأنصاري.

لابدّ قبل البدء ببيان الجهود من الكتب التي بذلها الشيخ زكريا المتعلّقة بالتفسير من إلقاء نظرة عامّة عن بعض مصنّفاته؛ فإن من أعظم ما يترك الإنسان من بعده هو ترك أثراً علمياً يُستفاد منه وينتفع به من يأتي بعده، فيستمر ثوابه له حتى بعد موته وهذا من توفيق الله تعالى. وذلك مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[١٧٦]. والشيخ زكريا رحمه الله تعالى ترك من بعده أثراً عظيماً بالإضافة إلى مصنفاته، وهم أولاده الذين أصبحوا دعاة إلى الله تبارك وتعالى، وقد كانت مؤلفاته حافلة نافعة سواء في الفقه أو التفسير أو في غيرهما من العلوم[١٧٧]

---

[١٧٦] مسند الإمام أحمد، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت١٣٧٨ هـ) **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**، نشر: د، إحياء التراث العربي، ط: ٢، ج١٩، الصفحة، ٤٤، عدد الأجزاء: ٢٤.

[١٧٧] الغزي، **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٠٢. ومؤلفاته التي صنفها متنوعة، ومن أهمّها: "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" في التفسير، و"فتح الجليل" تعليق على تفسير البيضاوي واسم هذا المصنف: حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، و"الدقائق المحكمة" في القراءات، وله كتاب شرح البسملة والحمدلة، و"تحفة الباري على صحيح البخاري"، "شرح إيساغوجي" في المنطق، و"شرح ألفية العراقي" في مصطلح الحديث،

المتنوعة في علوم الشريعة. وتتعذر الإحاطة بجميع كتبه وضبط أسمائها بسبب كثرتها؛ حيث إننا نجد الكثير من المؤلفين والمترجمين للشيخ زكريا يُشيرون إلى كتاب من كتبه إشارة دون أن يذكروا اسمه.

وقد يتعدّد اسم الكتاب الواحد فيكون له اسمان أو أكثر. وتارة يضع للكتاب الواحد شرحين أو شرحاً وحاشية، فنتج عن هذا أن التبست الإشارات إلى تلك الكتب والمصنفات، فاختلط الأمر على المترجمين لدى ذكرهم لمصنفاته وآثاره.

من مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن: حاشية "فتح الجليل ببيان خفي التنزيل" وهوحاشية عظيمة لتفسير"أنوار التنزيل وأسرار التأويل " المعروف بـ "تفسير البيضاوي" للقاضي المفسر الأصولي الحافظ الفقيه ناصر الدين عبد الله البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ). ذكره في منحة الباري،[١٧٨].

"فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري" كتاب جلُّ تفسيره في المتشافه اللفظي، مختر للمتشابه اللفظي، ولم يستوعب تفسيره جميع آيات القرآن الكريم، ولا يخلو الكتاب عن المسائل التفسيري لبعض المفردات من غير المتشابه وعن المسائل النحوية والبلاغية والعقائدية والفقهية وغيرها، وحقق ودرس هذا الكتاب من جوانب.

قدم له وحققه وعلق عليه: عبد السميع محمد أحمد حسنين رحمه الله تعالى، وهو رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، بإشراف عبد الغني الراجحي رحمه الله تعالى.

وقام بتحقيقه أيضا: الشيخ محمد علي الصابوني رحمه الله تعالى، فحقّقه وطبعه وكتب مقدمة له وضّح فيها مكانة الكتاب وقيمته ومكانة الشيخ زكريا الأنصاري العلمية وثناء العلماء عليه، ولم يوضّح منهجه في الكتاب ذكره كثير من المؤلفين منهم[١٧٩].

"الدقائق المحكمة في شرح المقدمة" وضعه في القراءات وهو شرح للمقدمة المشهورة في علم التجويد لـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزرية (٨٣٣هـ).

و"شرح شذور الذهب" في النحو، و"تحفة نجباء العصر" في التجويد، ,"اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم" رسالة، و"فتح العلام بشرح الاعلام بأحاديث الأحكام"، و"تنقيح تحرير الباب" في الفقه، و"أسنى المطالب في شرح روض الطالب" كذلك في الفقه، وكتاب "الغرر البهية في شرح البهجة الوردية" و "منهج الطلاب" كلاهما في الفقه، و"غاية الوصول" في أصول الفقه، و "لب الأصول" اختصره من جمع الجوامع، و "الزبدة الرائقة" رسالة في شرح البردة.

[١٧٨] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج١، ص٣٠.

[١٧٩] البغدادي، ***هدية العارفين***، ج٥، ص٢٧٤. والزركلي، ***الأعلام***، ج٣، ص٤٦.

"تقريب النشر في معرفة القراءات العشر" لخص فيه كتاب " تقريب النشر في القراءات العشر".

"مقدمة في شرح البسملة والحمدلة في التجويد".

"اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم" وهي عبارة عن رسالة.

"مختصر قرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين". لابن القاصح: وهو اختصار لرسالة "قرة العيون" لأبي البقاء المقري المعروف بابن القاصح (٨٠١هـ).

"إعراب القرآن اعظيم" تحقيق ودراسة موسى علي موسى مسعود، (١٤٤١هـ).

ومن هذه المصنفات: "أحكام الدلالة على تحرير الرسالة" الذي ذُكر في كتاب كشف الظنون[١٨٠]وهو شرح على الرسالة القشيرية للإمام عبد الكريم القشيري[١٨١]، وضعها مع المتن في مجلدين. وكتاب "الأدب في تعريف الأرب". وكذلك كتابه "أدب القاضي على مذهب الشافعي" ورد ذكره في كشف الظنون، وله أيضاً "هدية العارفين". وكتاب "الآداب" وكذلك "آيات القرآن المتشابهات".

قال في كشف الظنون: إن له كتاب "أسئلة حول آيات من القرآن وأجوبتها" لخّصها وزاد عليها، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية.

و"أسنى المطالب في شرح روض الطالب" فقد اختصره الإمام محي الدين أبي زكريا بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـــ).

وكتاب "فتح العزيز في شرح الوجيز" لعبد الكريم بن مجمد الرافعي (ت ٦٢٣ ه) وأسماه " روضة الطالبين وعمدة المتقين". ثم جاء الإمام إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقرئ اليماني الشافعي المشهور بابن المقرئ (ت ٨٣٧هـ) واختصر كتاب "الروضة" للنووي

---

[١٨٠] مصطفى بن عبد الله الشهير ب حاجي خليفة، (ت ١٠٦٨هـ) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، د إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٨٨٢.

[١٨١] هو أبو القاسم عبد الكريم القشيري النيسابوري الشافعي قيل فيه: هو الإمام مطلقا، الفقيه، المتكلم، الأصولي، المفسرالأديب ...ولسان عصره، وسر الله في خلقه، مدار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة، من جمع بين الشريعة والحقيقة (مقدمة كتاب الرسالة القشيرية ص ١٥)، (ت: ٤٦٥ هـ). ينظر، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، التَّصَوُّفُ.. المنشَأ وَالمَصَادر، د. إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١، ج١، ص٣٠، ت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. و أبو القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المهرواني، الهمذاني (ت: ٤٦٨هـ)، ***المهروانيات/ الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب***، تخريج: أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ رحمه الله (ت: ٤٦٣هـ)، تح، سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، د. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ج١، ص٦٩، عدد المجلدات٣، رسالة ماجستير - كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - نوقشت في شعبان ١٤١٨ هـ.

وأسماه "الروض" فقام الشيخ زكريا بشرح كتاب الروض وأسماه " أسنى المطالب في شرح روض الطالب".

وأثنى على هذا الكتاب الإمام السخاوي فقال: وشرح الروض شرحاً بليغاً قاضي الشافعية في وقتنا ومحقق الوقت الزين زكريا، وأتمّ تحقيقه في أوائل سنة (٨٩٢ هـــ).

وقال الشيخ الأنصاري في مقدمة كتابه أسنى المطالب: هذا ما دعت إليه حاجة المتفقّهين للروض في الفقه من شرحٍ يحلّ ألفاظه، مع فوائد لا بدّ منها ودقائق لا يُستغنى عنها، وردت على وجه لطيف، وقد أسميته: "أسنى المطالب في شرح روض الطالب"[١٨٢].

[١٨٢] الأنصاري، ***أسنى المطالب في شرح روض الطالب*** د. الكتاب الإسلامي، ب/ط، ج١، ص٢.

المطلب الأول: تعريف بكتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن

ومما يشهد للشيخ زكريا من علو جهوده هذا الكتاب وهو في تفسير القرآن، وضح فيه مؤلفه ما يلتبس من آيات القرآن وإبراز الفوائد التي احتواها هذا النوع من التفسير، وكذلك أراد أن يكشف من خلاله عن دقائق أسرار القرآن في بيانه المعجز وتعبيره الرفيع.

اعتمد المؤلف الأنصاري رحمه الله تعالى في تأليف كتابه على جملة من المصادر، ومن هذه المصادر التي استفاد منها في تأليفه للكتاب "البرهان" للإمام الكرماني، فقد نقل عنه الكثير، ونقل عن ابن جماعة في مواضع متعدّدة.

وإذا أردنا أن نعرف ما تضمّنه هذا الكتاب فإننا ندرك ذلك ويتضح أمامنا محتوى الكتاب من عنوانه المسمّى "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" إذ يعرض مصنّفه فيه الآيات المتشابهة وآيات أخرى ليست من المتشابه، وإنما يرى أنه من المناسب معرفة تفسيرها؛ حيث أنّ الشيء بالشيء يذكر، وأحياناً يكون حديثه حول موضوع واحد. وهو في عمله هذا يُماثل ويشبه منهج ابن جماعة رحمه الله تعالى.

وفي هذا المطلب بيان لطائفه من الآيات المتشابهة وأنواع التشابه وأسبابه بعد أن جمع مصنفه جملة من آيات القرآن المتشابهة وفصّل فيها وقال في مقدّمة الكتاب: هذا مختصرٌ فيه آيات القرآن المتشابهاتِ المختلفة، بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر، أو غير ذلك؛ مع بيان سبب تكراره، وذكر أنموذج صراحة أو إشارةً. وهذا الكتاب قد أخرجه المؤلف بصورة مختلفة مختصرة[١٨٣]، وهو من الكتب التي أغنت المكتبة الإسلامية.

القيمة العلمية للكتاب والكشف عن محتواه

كتاب "فتح الرحمن" وتخصيصه للمتشابه والملتبس يجمع متفرقاته ويؤلف بين مفرداته، فلذلك كانت له أهمية ومكانة رفيعة، باعتبار أن هذه الدراسة من أهم الدراسات المتصلة بالقرآن الكريم، وهي لجام للملحدين الطاعنين في بلاغة القرآن، وما يشيعونه حوله من الافتراءات والأباطيل المزيفة، التي تصوّر للناس وتوهمهم أنّ هذا القرآن من كلام النبي صلى الله عليه وسلّم، وليس بوحي من عند الله تعالى.

لكن الفضل يرجع للشيخ زكريا رحمه الله تعالى في أنه جمع شتات هذا الفن من بطون الكتب التي ألفها السابقون فهذب مافيها ورتب ماورد عنهم وزاد عليه ماغاب من علمهم، كما أن

---

١٨٣ الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، المقدمة، ص١٣.

تخصيص كتاب للمتشابه والملتبس يجمع متفرقاته، ويؤلف بين مفرداته، من الأهمية بمكان، باعتبار أن هذه من أهم الدراسات المتصلة بالقرآن، لأن الرد الحقيقي على الملحدين الذين يطعنون في بلاغته، ويشيعون حوله من الافتراءات والأباطيل وتصوره للناس على أنه من عمل النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هو بوحي يوحى من عند الله تعالى.

ويزيد من قيمة هذا الكتاب أنه جاء بعبارة سهلة واضحة المعاني بعيدة عن التكلّف خالية من التعقيد، فكان صالح للمشتغلين والمهتمين بالقرآن الكريم، حفظاً ودراسةً واستنباطاً وعلى جميع المستويات.

ويعدّ من أوفى الكتب وأجمعها للآيــات الملتبسة والمتشابهة، لأن الشيخ رحمه الله تعالى قد اطّلع على الكتب المصنّفة قبله في هذا الموضوع فاستفاد منها، فأورد فيه ما جاء فيها متفرّقاً في كتب التفسير المطولة، وجمع شتاته وربط بين جزئياته، وهو من قبيل التأويل الممدوح، الذي يصدر من قلب صادق لإظهار الحق في صورة مشرقة أمام أعداء الدين القويم، ليعلم الأعداء أن لا سبيل لهم إلى النيل من الكتاب الكريم الذي قال عنه العزيز الكريم سبحانه وتعالى في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[١٨٤].

محتوى الكتاب:

يدور محتوى كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" حول التشابه بين نصوص وكلمات القرآن وتوجيه الآيات المتشابهة وهو يعتبر نوعاً مستقلاً بذاته في علم التفسير، حيث أُفردت لهذا العلم مؤلفات خاصة، كما أفردت مؤلفات أخرى مستقلة تتعلق بجانب من جوانب تفسير القرآن الكريم، مثل تفسير مبهمات القرآن، وتفسير آيات الأحكام وتفسير غريب القرآن، وغير ذلك.

ومن المؤلفات في توجيه الآيات المتشابهات: كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب (ت ٤٢٠هـ).[١٨٥] وكتاب "البرهان في متشابه القرآن" للإمام محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥ هـ)[١٨٦].

---

[١٨٤] الحجر: ١٥/ ٩.

[١٨٥] أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، ***درة التنزيل وغرة التأويل***، تح: محمد مصطفى آيدين، نشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ت/ط: ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م، ج١، ص٧٩

[١٨٦] الإسكافي، ***درة التنزيل وغرة التأويل***، ج١، ص٧٩.

فائدة المتشابه اللفظي:

المتشابه يُظهر روعة القرآن وإعجازه ببلاغته الفريدة، التي عجز عنها أهل البلاغة دالّاً بذلك على صدق نبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الباقلاني: أنّ العرب لم تستطع ـ وهم أهل اللغة والبلاغة ـ أن تأتي بمثل هذا المتشابه، كالمكرر الصحيح المعنى الذي لا يُلاحظ عليه أدنى اعتراض، أو تأتي بجزء منه أو بعضه فلو كانوا يعلمون لأتوا بمثله ولكنهم وقفوا عاجزين أمام هذا الكتاب المعجز، ولذلك فإن دراسة علم المتشابه تعتبر ضرباً مهماً من التفسير لكلام الله تعالى، وهو باب عظيم من أبواب التأمل في معنى آيات الله تعالى.

فالقارئ المتأمل لكتاب الله تعالى، يظهر له ما فيه مِن الوجوه البلاغية والمقاصد العلية العظيمة[١٨٧]. وليس كل قارئ يدرك ذلك المعنى إلا من آتاه الله علماً وفهماً وتوفيقا للأسرار الموجودة في كتاب الله.

المتشابه اللفظي في الكتاب:

إنَّ من أهم الجهود للأنصاري في هذا الكتاب أنه عمل جاهدا بإظهار حل مشكلة المتشابه بين ألفاظ النصوص القرآنية فيقف عند الآيات التمشابهات مع غيرها ظاهرا ويحللها دراسة وبين النوع والمعنى الحقيقي لها مع ذكر السبب أو التعليل أو الحكمة فيها، وفي هذا الكتاب يتبن أهمية جهود الشيخ في توضيح واستخراج هذه المتشابهات، لأن ظاهرهذه الآيات التي يُورث اختلافاً فيما بينها ويشبه بعضها بعضاً من حيث المبنى، وهذا ما يُدعى بالمتشابه اللفظي.

ومن خلال التتبّع لمحتويات كتاب الشيخ زكريا الأنصاري يلاحظ أنواعاً كثيرة للمتشابه بين نصوص القرآن، وهي من الجهود التي بينها وفصلها وأوضح غامضها، فمنها التقديم والتأخير، وذكر أن هناك أسباب متعددة للتقديم والتأخير.

أولاً: التشابه بالتقديم والتأخير: التقديم والتأخير أسلوب من أساليب العرب الدالة على الفصاحة والبلاغة والتفنّن في الكلام والنظم المتّزن البديع، واستعماله كثير في القرآن العظيم؛ وهذه الأساليب تولّد في وجدان القارئ متعة أثناء تلاوة القرآن، لأنها تعطينا معانٍ جديدة.

وقد اعتنى المفسرون بها وبيّنوا أنه لا يتقدّم اللفظ ولا يتأخّر إلَّا لغرضٍ ما؛ ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[١٨٨] قال هو مقدّم ومؤخر؛ فإنَّهم إذا رأوا الله فقد رأوه، وإنما قالوا جهرةً أرنا الله[١٨٩]، يعني سؤالهم كان جهرة.

---

[١٨٧] فهد الشتوي، ***دلالة السياق وآثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى***، ج١، ص١٣٩.

[١٨٨] النساء: ٤/ ١٥٣.

وروي عن مجاهد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً﴾[١٩٠]، اعتبر هذا مِن التقديم والتأخير، فيصير المعنى: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً[١٩١].

قال الشيخ زكريا الأنصاري في قول الله تبارك وتعالى: {وَلَمْ يَجْعَلْ لَه عِوَجاً. قَيّماً.}[١٩٢] فإن قلتَ ما فائدة ذكر {قَيِّمًا} بعد قوله {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} فإنَّ نفي العِوَج يستلزم الإقامة! قلت: فائدة ذلك التأكيد في وصف كتاب الله تعالى، أو أن معنى {قَيِّمًا} أنّ هذا الكتاب قائمٌ على جميع الكتب السماوية قبله ومصدِّقٌ لها، وكذلك هو ناسخ لبعض شرائعها[١٩٣].

ولقد كشف العلماء النقاب في أسلوب التقديم والتأخير وبيّنوا حقيقته والغاية منه، كما بينوا أغراضه وأنواعه.

وقد ذكر الإمام الجرجاني إمام البلاغة ورائدها بأنه أسلوب من أساليب القرآن، وهو بابٌ كثير الفوائد والمحاسن، وغايته بعيدة، وهو من البديع الذي يُفْضي إلى لطيفة، فيَلْطُف موقعُهُ. ثم تنظر فتجد السببَ في ذلك أنه قُدِّم فيه شيء وحُوِّل اللَّفظ عن مكانٍ إلى مكان[١٩٤]، وقد وصف الشيخ زكريا رحمه الله تعالى في مقدمة كتاب "فتح الرحمن" التقديم والتأخير على أنّه من الملتبس المتشابه بتقديم وتأخير[١٩٥] ولنستعرض بعض الجهود التي قدمها الأنصاري في هذا المطلب من كتابه رحمه تعالى.

التقديم والتأخير في كلمات القرآن مراعاة للخصوصيَّة والمبالغة: وذلك كتقديم "الرَّحمن" في قـوله تعالى من سورة الفاتحة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١٩٦]مع أنَّ الرحمن أبلغ من الرَّحيم، ومن عادة العرب في صفات المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ كقول القائل: فلانٌ عالمٌ نِحرير، فلم يتجدد بذكر الأدنى فائدة بعد ذكر الأعلى، بخلاف عكسه! إنَّ ذكر صفة الأعلى أولاً ثم الأدنى ثانيا لا إشكال فيه إن كانتا بمعنى واحد ـ كما قال الجوهري وغيره ـ أو بأنَّ الرحمن أبلغ من الرحيم، لأن لفظ الرحمن عام ويدل على السَّعة

---

[١٨٩] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت ٤٥٠هـ)، ***تفسير الماوردي النكت والعيون***، تح، ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نش: د، الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ج١، ص٥٤١، عدد الأجزاء،٦.

[١٩٠] الكهف: ١٨/ ١-٢. ينظر، القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، تح، أمحد البردوني وإبراهيم أطفيش، د. الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م، ج١، ص٤٠٤.

[١٩١] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ص٢٣٧.

[١٩٢] الكهف، ١/١٨.

[١٩٣] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ص ١٨٣.

[١٩٤] عبد القادر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، ***دلائل الإعجاز***، تعليق محمود شاكر، ص١٠٦.

[١٩٥] الأنصاري، ***فتح الرَّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ص١٣.

[١٩٦] الفاتحة:١/ ١.

والكثرة والامتلاء، بخلاف الرحيم فلا تفيد المبالغة، فالمبالغة إنّما هي في الأول وليست في الثاني، فتكون في الرَّحمن أعم، ورحمته تعالى تشمل في الدنيا المؤمن والكافر، بخلاف الرَّحيم فإنَّها خاصة بالمؤمنين يوم القيامة؛ لذلك قالوا كما ورد في الأثر: (رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا). فقدمه لأنه اسمٌ خاص بالله سبحانه وتعالى، وهذا أبلغ.[١٩٧] قدم رحمة الدنيا للترقي، لأن النعيم الدنيوي مقارنة بالنعيم الأخروي لا يقاس أصلاً.

التقديم والتأخير مراعاة للرتبة والزمن والمعنيين معاً: راعى القرآن الكريم حالة التقديم والتأخير بين النصارى والصابئين، فقدم وأخر على حسب الحاجة التي يمتاز كل واحد منهم بها فالنصارى يمتازون على الصابئين بأنهم أهل كتاب، والصابئين لهم ميزة الأقدمية، فيكون التقديم لأجل الرتبة ويكون من أجل للزمن، فقدم النَّصارى على الصابئين بسبب الرتبة عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّصارى والصَّابِئِينَ﴾[١٩٨]بسبب أنهم أهل كتاب، فقُدّموا في سورة البقرة لكونها قبل سورة الحج. وأمَّا كون الصابئين مقدَّمين على النصارى في الزمن عند قوله في سورة الحج:﴿ والصابئين والنَّصارى ﴾[١٩٩]فقدمهم في الحج، وروعي المعنيان في "المائدة"، فقُدِّموا في اللفظ وأُخروا في المعنى، إذ التقديرُ: والصابئون هم كذلك[٢٠٠] وعند الإمام الكرماني رحمه الله تعالى التقديم بالرتبة والزمن والجمع بينهما، لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة فقدمهم في البقرة، وأما الصابئون فهم مقدمون على النصارى في الزمان ـ لأنهم كانوا قبلهم ـ فقدمهم في سورة الحج، وراعى في المائدة المعنيين فقدّمهم في اللفظ وأخّرهم في التقدير، لأن تقديره: والصابئون هم كذلك[٢٠١]، وهذا أسلوب من أساليب التعبير القرآني.

التقديم والتأخير في كلمات القرآن مراعاة للفواصل: ورد التقديم والتأخير مراعاة للفاصلة وهو سبب تقديم هارون على موسى عليهما السلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ

---

[١٩٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٥، وينظر: السيد الشريف أبي الحسن الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ***الحاشية على الكشاف للزمخشري***، ص١٦٥، وينظر: الحلّي، محمد علي حسن، (ت ١٩٩١م)، ***المتشابه من القرآن تفسير الآيات الغامضة***، د. الكتب العلمية، بيروت ص ١٧. الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل***، تح، محمد فاضل جيلاني الحسيني التايلاني، ج١، ص٥١.

[١٩٨] البقرة: ٢/ ٦٢.

[١٩٩] الحج: ٢٢/ ١٧.

[٢٠٠] الأنصاري، فتح الرحمن، ص٢٧.

[٢٠١] الأنصاري، فتح الرحمن، ص٣٠.، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت٥٠٥هـ)، ***أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان***، تح: عبد القادر أحمد عطا وأحمد عبد التواب عوض، د. الفضيلة، ص٧٥.

وَمُوسَى﴾[٢٠٢]، فقد ذكر الشيخ الأنصاري: بأنه أخَّر موسى عن هارون في الآية مع أنَّ هارون كان وزيراً له، لموافقة الفواصل. وقد ذكر ذلك الإمام السيوطي ناقلاً عن ابن الصنائع[٢٠٣].

التقديم والتأخير في كلمات القرآن مراعاة لمكان المخاطبين: يوضح الأنصاري المتشابه بالتقديم والتأخير بقوله: كتقديم الأرض على السماء في مواضع وتأخيرها في مواضع أخرى مراعاة للمخاطبين، مع أن السماء أكثر في العوالم وأكبر من الأرض. وذكر الأنصاري رحمه الله تعالى تقديم الأرض على السماء في قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}[٢٠٤] وفي سورة يونس[٢٠٥] وفي سورة إبراهيم[٢٠٦] وسورة طه[٢٠٧] والعنكبوت[٢٠٨]، وعكس الغالب في آيات أخرى لأن المخاطبين في المواضع الخمس كائنون في الأرض فقط، بخلافهم في غيرها[٢٠٩]. وهذا من لفاتات علماء المتشابه التي تحتاج للتأمل في إظهارها من علما التتفسير.

التقديم والتأخير في كلمات القرآن مراعاة لما حقّه التقديم: كالأهمية التي اكتسبتها العبادة كونها بمعنى الإيمان، فكان حق التقديم على غيره، إذ لولا وجود الإيمان فلا نفع من العبادة بدونه، فقدَّمها المولى تبارك وتعالى في الفاتحة بقوله:﴿إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعينُ﴾[٢١٠] فقدَّم العبادة على الاستعانة مع أنَّ الاستعانة مقدمة على العبادة؛ لأنَّ العبد يستعين بربه تبارك وتعالى ليُعينه على العبادة، وقدم العبادة هنا لأنَّ المراد بها التوحيد ـ وهو الإيمان ـ فيكون مقدماً على الاستعانة وعلى سائر العبادات، أو أنَّ الواو في الآية لا تقتضي الترتيب فلا إشكال فيها، وفي الحاشية أن التخصيص بالعبادة في الآية مأخوذ من تقديم المفعول في قوله تبارك وتعالى: {إِيّاكَ نعبدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فيكون المعنى ، أي يا رب نجعلك منفردا بالعبادة والاستعانة ، وهكذا يكون الاستعما ل العربي [٢١١]. وهذا من الإعجاز القرآني الذي أورده الأنصاري لتوضيح سبب تقديم ماهو من حقه التقديم.

---

[٢٠٢] سورة طه: ٢٠/ ٧٠.

[٢٠٣] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٩٦. وينظر، الشريف، ***إعجاز القرآن الكريم بين السيوطي والعلماء***، ص ٥٧٧.

[٢٠٤] آل عمران: ٧/٣.

[٢٠٥] يونس:١٠/ ٦١.

[٢٠٦] إبراهيم: ٣٨/١٤.

[٢٠٧] طه: ٢٠/ ٤.

[٢٠٨] العنكبوت: ٢٩/ ٢٢.

[٢٠٩] الأنصاري، **فتح الرحمن**، ص ٥١.

[٢١٠] الفاتحة: ٥/٢.

[٢١١] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص٦٧.

وسبب تكرار {إِيَّاكَ} هنا أنه لو حذفه في الثانـي لفاتت الفائدة من التقديم، والفائدة هي: قطع الاشتراك بين العاملين، لأنه لو لم يذكر الثانية، لم يظهر المعنى المقصود، إذ التقدير: {إِيّـاكَ نعبدُ وَإِيَّـاكَ نَسْتَـعِـنُ} أو إياك نعبدُ ونستـعينك[٢١٢]، وهذا من فنون التعبير البلاغي.

التقديم والتأخير في كلمات القرآن لأهمية الطلب: إنّ اهتمامه سبحانه وتعالى بطلب القسط بمعنى العدل ولضرورته واحتياج الخلق له، ولفت الأنظار إليه، وكون المخاطبين في الآية هم الـولاة أخَّر {للهِ} عن قوله {بِالْقِسْطِ} هنا بقوله: ﴿يا أَيُّـها الَّذينَ ءامَنُوا كُونُوا قَوَّامين بالقسْطِ شُهَدَآءَ للهِ﴾[٢١٣] وعكس في سورة المائدة[٢١٤] لأن لفظ لله في سورة المائدة متعلق بـ {قَوَّامين} لكون الآية في حق الولاة بـدليـل قـوله: ﴿ولا يَـجْـرِمَنَّكـمْ شَنْـآنُ قَـوْمٍ أَلَّا تَعْـدِلُـواْ﴾[٢١٥]، والمعنى يا أيـها الـولاةُ كـونوا قـوّامين فـي أحكامكم لله تعـالى لا لمنافعكم والمصلحة. وقيل: أن الآية إنما نزلت بالشهادة بالحق، وهي عامة[٢١٦]، وكذلك هذا من كماليات النص القرآني المتميز في تعدد أساليبه وتعابيره.

التقديم والتأخير في كلمات القرآن موافقة لما قبله: مثاله في قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ اللهُ﴾[٢١٧]، وذكر الأنصاري أن التقديم هنا للنَّفع على الضُّر، مع أن الأصل تقديم الضرّ على النفع لأنه رود في أكثر الآيات بذلك، ولأن العبد يعبد ربه خوفاً من عقابه ثم طمعاً في ثوابه، وفي قوله تعالى من سورة يونس: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}[٢١٨]، بمعنى أن الإنسان لا يقدر على جلب النفع لنفسه ولا دفع الضر عنها، فكيف بوسعه على أن يملك ذلك لغيره. ثم ذكر الأنصاري سبب التقديم بقوله: وقدم الضرّ هنا على النفع لأن السياق ورد لإظهار العجز، وقدَّم الضرَّ في سورة "يونس"[٢١٩] فجاءت على الأصل وهو أنَّ أكثر ما جاء به القرآن الكريم من لفظي الضُرّ والنَّفع معاً، جاء بتقديم الضُّر على النَّفع ولو بغير لفظهما، كالطَّوْع والكُره في الوعد، لأن العابد يعبد معبوده تعالى خوفاً من عقابه أولاً، ثمَّ طمعاً في ثوابه ثانياً،

---

[٢١٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٦.

[٢١٣] النساء:١٣٥/٤.

[٢١٤] المائدة :٨/٥.

[٢١٥] المائدة، ٥/ ٨.

[٢١٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٧٥. ينظر، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المـالكي (ت: ٥٤٣هـ)، ***أحكام القرآن***، تح، محمد عبد القادر عطا، ج ١، ص ٦٣٥، ط٣، د، الكتب العلمية بيروت.

[٢١٧] الأعراف: ١٨/٧.

[٢١٨] يونس: ١٠،٤٩.

[٢١٩] إشارة إلى قوله تعالى: {**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَالَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ**} يونس: ١٠/ ١٨.

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهَمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[٢٢٠]. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَوْفًا مِنَ النَّارِ وَطَمَعًا فِي الْجَنَّةِ.[٢٢١] وحيث تقدَّم النَّفع على الضُّرّ فقد تقدَّمه لفظٌ تضمَّنَ نفعاً، وذلك في ثمانية مواضع: هنا في السجدة وفي سورة الرَّعد[٢٢٢]، وسورتي سبأ[٢٢٣] والأنعام[٢٢٤]، وفي آخر سورة يونس[٢٢٥]، وفي الأنبياء[٢٢٦] والفرقان[٢٢٧] والشعراء[٢٢٨]. فقدَّم هنا النفع لموافقة قوله قبله بقوله: {مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ اَلْمُهْتَدِ}[٢٢٩]، وقوله بعده ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ اَلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ اَلْسُوءُ﴾[٢٣٠]. فالهداية والخير من جنس النفع. وقدَّم الضُرَّ في آخر سورة "يونس" على الأصل ولموافقة قوله قبله في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا لَا يَضُرُّ هُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[٢٣١].

---

[٢٢٠] السَّجدَة: ٣٢/ ١٦.

٢٢١ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠ هـ)، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)***، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ت/ط: ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م، ج٦، ص٣٠٦.

[٢٢٢] في قوله تعالى: {**قُلْ أَفَا تَّخَذْتُم مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً**} الرعد:١٣/ ١٦.

[٢٢٣] في قوله تعالى: {**فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً**} سبأ: ٣٤/ ٤٢.

[٢٢٤] في قوله تعالى: {**قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا**} الأنعام: ٦/ ٧١.

[٢٢٥] في قوله تعالى: {**ولاتَدع مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِنَ**} يونس: ١٠٦/١٠.

[٢٢٦] في قوله تعالى: {**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مَن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ**} الأنبياء: ٢١/ ٦٦.

[٢٢٧] في قوله تعالى: {**وَيَعبُدون مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرا**} الفرقان: ٥٥.

[٢٢٨] في قوله تعالى: {**قَالَ هلْ يَسمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوَ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**} الشعراء: ٧٣،٧٢.

[٢٢٩] الأعراف:٧/ ١٧٨.

[٢٣٠] الأعراف: ١٨٨/٧

[٢٣١] يونس: ١٨٨،٧. الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١١٩.وينظر، أحمد بن محمد الشرقاوي سالم، ***موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات***، (بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥هـ)، ص ٧٩.

التقديم والتأخير في كلمات القرآن بالضمير: قدم الضمير {به} في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾[٢٣٢]، وفي سورة المائدة أخّره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أهلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾[٢٣٣]، وكذلك في سورتي الأنعام[٢٣٤] والنحل[٢٣٥]. والسبب في تقديم الضمير هنا وتأخيره في المواضع الثلاث، أن سياق الكلام في آية البقرة كان بالمأكول وحِلّه وحرمته، والباء هنا للتعدية ـ كالهمزة والتشديد ـ فهي كالجزء من الفعل، فكان الأهمّ والأولى تقديم ضميره فيه، وأخَّر في بقية المواضع نظراً للمقصود فيها من ذكر الأمر المستنكر، وهو ما كانوا يفعلونه من الذبح لغير الله سبحانه وتعالى، ومن وراء هذا القصد إيراد القصة الواحدة في صور شتّى وفواصل مختلفة، وتأتي في موضع واحد أحيانًا مقدّماً وفي موضع آخر مؤخّراً[٢٣٦]، وهذا أسلوب متميز في القرآن.

ويتضح مما سبق جهود الأنصاري أن للتقديم والتأخير أسبا ب وعلل كثيرة كامنة في كتاب الله تعالى بين منها الأنصاري، مايكون مراعاة للخصوصيَّة والمبالغة، وللرتبة والزمن، والاهتمام بالفواصل فيكون التقديم والتأخير مراعاة لذلك، ومراعاة للمخاطبين، وهناك أشياء من حقها أن تكون في المقدمة لتقدمها على غيرها، وما يكون التقديم لأهمية الطلب فيكون من المناسب تقديم الكلمة للأهمية، وما يكون لموافقة ماقبلها من المعنى، وما يحتاجه لسياق الكلام لتقديم الضمير وتأخره، وهذا من الجهود التي تظهر إعجاز القرآن الكريم.

ثانياً: المتشابه بالإبدال: المتشابه في كلمات القرآن الكريم بإبدال حرف بآخر، مثاله في قوله جلّ جلاله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾[٢٣٧]، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِن حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[٢٣٨]. في سورة البقرة عطف بالواو وهي دالَّة على الجمع، وقوله {اسكن} في سورة البقرة معناها: استقِـرَّ؛ واسكنوا هي من السكنى ـ أي المقام مع طول اللبث ـ وبسبب أنَّ آدم عليه السلام وحواء كانا في الجنة حينها، والأكل يُجامع الاستقرار في الغالب. والمعنـى: اجمعا بين الاستقرار والأكل؛ فالأكل غير متعلّق بدخولهم فلذلك عطف بالواو، فالمراد منه إذًا هو الاستقرار وعرفنا أن الأكل لا يتعلق بالاستقرار فلذا عطف بالواو[٢٣٩].

---

[٢٣٢] البقرة: ١٧٣/٢.

[٢٣٣] المائدة: ٣/٥.

[٢٣٤] الأنعام: ٦/ ١٤٥.

[٢٣٥] النحل: ١٦/ ١١٥.

[٢٣٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٧. وينظر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ***الإتقان في علوم القرآن***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٣٩٠، نشر: د. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت/ط: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ م.

[٢٣٧] البقرة:٢/ ٣٥.

[٢٣٨] الأعراف: ١٩/٧.

[٢٣٩] الأنصاري: ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص٢٨٤. ***وفتح الرحمن***، ص٢٢.

وأبـــدله في سورة الأعراف بفاءٍ بقوله: {فَكُلَا} فقد عطف كلوا على ادخلوا بـــالفاء الدالة على التعقيب، لأنَّ المعنى في سورة الأعراف: ادخلْ، لكونهما كانا خارجين عنها، فكان الأكل متعلقاً بدخول الجنة، والأكل لا يكون مع الدخول عادة بل يكون عَقِبَه، فكأنه قال: إن دخلتموها أكلتم منها[٢٤٠] وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ السكنى من السكون لأنها استقرار ولبث، وأَنْتَ تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه، وإنما لم يخاطبهما أولاً تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له. والجنة دار الثواب، لأن اللام للعهد ولا معهود غيرها[٢٤١].

المتشابه في كلمات القرآن بإبدال كلمة بأخرى للمناسبة: كالإبدال في البقرة عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[٢٤٢]وفي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْـهُ اثْنَتَـــا عَشْـــرَةَ عَيْـــنـاً﴾[٢٤٣]،فالمتشابه بين الانفجار والانبجاس، فالانفجار يكون بقوة مع الكثرة، والانبجاس يكون بضعف وقلة وهو رشح الماء، فلما أسند الاستســقاء إلى موسى عليه السلام في سورة البقرة ناسب الانفجار الذي هو خروج الماء بكثرة، فيكون أبلغ لانصبابه بكثرة ولغزارته، وفي الأعراف أسند إلى قوم موسى فناسب ذكر الانبجاس الذي هو ظهور الماء رشحاً، هنا الجمع قبله بين الأكل والشرب الذي هو أبلغ من الاقتصار على الأكل[٢٤٤]، وهذا من التصوير الفني البليغ في القرآن.

ثالثاً: المتشابه بالإثبات والحذف: المتشابه في كلمات القرآن بإثبات حرف وحذفه للموافقة: قال الله جلّ وعلا: {وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يُضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[٢٤٥]فقد حذف الباء مع وجود المضارع موافقة لقوله: {اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}[٢٤٦]. حذفت الباء من اسم الموصول، مع أن الأصل إثباتها ولكن لموافقتها مع آية أخرى في السورة وجيء بالمضارع خشية التوهم من الإضافة.

وقال في سورة "النحل" ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن يُضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢٤٧]، إشارة إلى قوله تعالى. وفي سورة النجم إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن يُضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ

---

[٢٤٠] الأنصاري، **فتح الرحمن**، ص ٢٢، وينظر الأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، (ت: ٩٢٦ه)، ص٣٣٢، اعتنى به قاسم الرفاعي، د. التقوى، ط. الأولى.

٢٤١ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، ت/ط: ١٤١٨ هـ، ص٧٢.

[٢٤٢]البقرة: ٢/ ٦٠.

[٢٤٣] الأعراف:٧، ٦٠.

[٢٤٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٥، والأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، ص ٣٣٠.

[٢٤٥] الأنعام: ٦/ ١١٧.

[٢٤٦] الأنعام: ٦/ ١٢٤.

[٢٤٧] النحل: ١٦/ ١٢٥.

اهْتَدَى﴾[٢٤٨]، وفي سورة "ن" قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن يُضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾[٢٤٩] بزيادة الباء مع الماضي، عملاً بزيادة الباء في مفعول {أَعْلَمُ} تقويةً له لضعفه، كما في قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ وعملاً في الماضي بكثرة الاستعمال في قولهم: أعلمُ من دبَّ ودَرَجَ، وأفضلُ من حجَّ واعتمر، وأحسنُ من قام وقعد. وحيثُ حُذِفتِ الباءُ أُضمِرَ فعلٌ من مادة الفعل (عَلِمَ) يعملُ في المفعول، لضعف أَعْلَمُ عن العمل بلا تقوية، وتقديره: يعلم من يَضِلُّ[٢٥٠]، فيأتي الإثبات لتقوية الضعيف، لأن المعنى لا يعمل في المفعول به فقوّي بالباء، وحيث أضمر فعل يعمل فيما بعده.

المتشابه في كلمات القرآن بإثبات كلمة وحذفها: مثل كلمة {كُلُّهُ} تركت في سورة البقرة وأثبتت في سورة الأنفال كقوله سبحانه وتعالى في البقرة: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ للهِ﴾[٢٥١]وفي الأنفال قوله: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ﴾[٢٥٢]؛ فذكر الأنصاري رحمة الله تعالى عليه أنَّه عندما كان الخطاب للقتال بخصوص أهل ملَّة واحدة تركها في سورة البقرة، ولما تحول الخطاب للقتال لجميع الكفار في سورة الأنفال ناسب ذكرها[٢٥٣]. وهذا من لفتات الأنصاري يكشف التحاليل المناسبة لمواضع الحذف والإثبات.

التشابه في كلمات القرآن بإثبات أكثر من كلمة وحذفها للمبالغة: كالإثبات للمبالغة في الذم في قوله من سورة لقمان: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾[٢٥٤]نزل النص في "النضر بن الحارث" عندما عَدَلَ عن سماع القرآن الكريم إلى سماع الغناء واللهو؛ فأراد الله تعالى المبالغة في ذمّه في سورة لقمان، فكان من المناسب زيادة فيه: ﴿كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ وحذفت عند عدم إرادة المبالغة في الذَّمِّ للنضر بن حارث في سورة الجاثية بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٥٥]، ولم يرد المبالغة هنا فليس من المناسبة ذكرها[٢٥٦]. فالمتأمل في كتب العلماء يجد أن لهم إشارات ووقفات مع كتاب الله تعالى، فبينوا أسرار ذكر الحرف أو الكلمة في آية، وحذف الحرف أو الكلمة في آية أخرىمشابهة، ويعد هذا مما انفرد به علماء عن غيرهم، وهو من الجهود العالية

---

[٢٤٨] النجم: ٥٣/ ٣٨.

[٢٤٩] القلم: ٦٨، ٧.

[٢٥٠] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٩٩. وصالح عبد الله بن محمد بنالشثري، ***المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية***، (رسالة دكتوراه) إشراف محمحد محمد أبو موسى، المملكة العربية السعودية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة، ت، ١٤٢٢هـ، ص٣٠٢.

[٢٥١] البقرة: ٢/ ١٩٣.

[٢٥٢] الأنفال: ٨/ ٣٩.

[٢٥٣] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٤٠.

[٢٥٤] لقمان: ٣١/ ٧.

[٢٥٥] الجاثية: ٤٥/ ٣.

[٢٥٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٤١.

الدقيقة التي لها أسبابها العميقة، أما للمناسبة أو الموافقة أو لبيان الخصوصية ولمخافة التوهم أو للمبالغة في الذم وغيره، وتأتي المبالغة في الذم وفي غيره إن الحال يناسب وألا فلا حاجة لها.

رابعاً: المتشابه بالجمع والإفراد: إنّ الجمع والإفراد المتشابه في كلمات القرآن قد يكون بسبب القلّة وقد يكون للكثرة؛ مثال الإفراد عند قوله الله عزّ وجلّ في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[٢٥٧]، استعمل الإفراد بقوله: {يَسْتَمِعُ} هنا لأن المقصود بالخطاب هنا في قومٍ قليلين، وهم أبو سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة وأميَّة وأبيّ بن خلف، فنُزِّلوا منزلة الواحد بالإفراد، فأعيد الضمير على لفظ "من".

ومثال الجمع عند قوله تبارك وتعالى في سورة يونس: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[٢٥٨]، استعمل لفظة الجمع هاهنا لأنَّ المقصود بالخطاب جميع الكفار لا أشخاصاً منهم، فناسب الجمع، فلذلك أعيد الضميرُ على معنى "من". ولم يجمع في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾[٢٥٩]، لأنَّ الناظرين إلى المعجزات بالنسبة للمستمعين للقرآن الكريم قليل[٢٦٠]. فناسب في الأولى الجمع وفي الثانية الإفراد.

المتشابه في كلمة جمع الشافع وإفراد الصَّديق: ذكر الأنصاري رحمه الله تعالى أنه عادة يكثُرُ الشفعاء بين الناس مع قلة وندرة الأصدقاء، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٢٦١]، وأورد ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في مثل هذا المقام:

ما في زمـانكَ من تَـرْجُـو مودَّتَهُ... ولا صَديقٍ إذا جار الـزَّمـانُ وَفَــى

فـعـشْ فَريداً ولا ترْكَنْ إلى أحَدٍ ... هَا قَدْ نَـصَـحْـتُكَ فيـما قلْتُـهُ وكَـفَـى[٢٦٢]

المتشابه بالجمع والإفراد في كلمات القرآن للضمير: مثاله في جمع الضمير كما ذكر الأنصاري رحمه الله تعالى عند قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾[٢٦٣]، ومثاله بالإفراد في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ مع أنَّ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلَّم. وسبب الجمع هنا يدل على معنيين أو أحدهما؛ فالأول ليدلّ على أنَّ الأمَّةَ داخلون مع النبيِّ عليه الصلاة والسلام في الخطاب الَّذي خُوطب به من قبل، والثاني: لتعظيم

---

[٢٥٧] الأنعام: ٦/ ٢٥.
[٢٥٨] يونس: ٤٣.
[٢٥٩] يونس: ٤٣/١٠.
[٢٦٠] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٩٣.
[٢٦١] الشُّـــعَراء: ٢٦/ ١٠٠، ١٠١.
[٢٦٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٢٣.
[٢٦٣] يونس: ١٠/ ٦١.

النبيّ صلى الله عليه وسلَّم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّـــهَا الرُّسُـلُ كُلُواْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُواْ صَالِحاً﴾[٢٦٤]-[٢٦٥].

المتشابه في الجمع والتثنية في كلمات القرآن: وقع التشابه بلفظ اليد مرة بالجمع ومرة بالتثنية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢٦٦]، جاءت بجمع اليد بقوله: {أَيْدِيكُمْ}، لأنَّه نزل الخطاب هنا في قوم قد سبق أن ذُكروا، بأنهم قتلوا الأنبياء وارتكبوا المعاصي.

وقد عبر بالأيدي عن الأنفس لأن أكثر أعمال النفس تكون في الأيدي، وفي قوله تعالى في سورة الحج جاءت بتثنية اليدين عند قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فالخطاب لرجل واحد، والرجل الواحد ليس له إلَّا يدان اثنان كما هو معروف، وقد نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث أو في أبـــي جهل[٢٦٧]، وهم من هم في عداوة الحق ودعاته.

خامساً: المتشابه بالتذكير والتأنيث: المتشابه بالتذكير والتأنيث في كلمات القرآن لمراعات الفواصل: مثاله في قوله سبحانه وتعالى في سورة القمر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٢٦٨]، ذكَّر وصف النخل بـــقوله: {مُّنْقَعِرٍ} وأنثه في سورة الحاقة بـــقوله: {خَاوِيَةٍ}ذكرهما رعاية للفواصل فيهما.

وهذا كثيراً ما استعمله المفسرون بتقيدهم برعاية الفواصل، ارجع إلى تفاسيرهم إن أرت الفائدة. ويجوز كذلك فيه الوجهان للنظر إلى اللفظ وإلى المعنى، فإن نظرنا إلى لفظ النخل فإنَّه يُذكَّر، وإلى معناه فإنَّه يُؤنَّث[٢٦٩]، وأما المتشابه بالتذكير والتأنيث بالفعل مع جواز الوجهين: مثاله بقوله سبحانه: ﴿**قَدْ** كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[٢٧٠]، يجوز تذكير الفعل "كانت" وتأنيثه، إلَّا أنَّه أنثه هنا مع الفاصل لقربه، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢٧١]جاء بتذكيره مع الفاصل لكثرته، وإن كان التأنيث جائز.

---

[٢٦٤] المؤمنون: ٢٣/ ٥١.
[٢٦٥] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٣٨.
[٢٦٦] آل عمران: ٣/ ١٨٤.
[٢٦٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٦٣، وينظر، الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ص ١٦٢، ج،٢.
[٢٦٨] القمر: ٥٤/ ٢٠.
[٢٦٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٠٠.
[٢٧٠] الممتحنة: ٦٠/ ٤.
[٢٧١] الممتحنة: ٦٠/ ٦.

والتكرار هنا بين الفعلين، لأن الأول في القول والثاني في الفعل، أو كان الأول في إبراهيم والثاني في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[٢٧٢].

المتشابه بالتعريف والتنكير: المتشابه بالتعريف والتنكير بوجود قرينة وعدمها: كما في قوله تبارك وتعالى:﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢٧٣]عرفهم هنا بوجود قرينة دالّةٍ على أن المقصود في هذه الآية هم قوم صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وهي قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾[٢٧٤]فعرفهم تعريف عهدٍ، ونكّر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٧٥]لعدم وجود قرينة تقتضي تعريفه، وهو قوله تعالى: ﴿قُرُوناً ءَاخَرِينَ﴾[٢٧٦]، وموافقة لتنكير ما قبله[٢٧٧]، وأما المتشابه بالتعريف والتنكير في كلمات القرآن للخطاب: مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾[٢٧٨]، جاء ذكر النار بالتعريف، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[٢٧٩]، جاء ذكرها بالتنكير.

جاءت الأولى بالتعريف بلام الاستغراق أو العهد الذهني، خطاباً مع المنافقين الذين هم في أسفل النار التي تحيط بهم، وتدل على هول أمرها وعظيم شأنها كأنه يقول: ناراً عظيمة متأجّجة ملتهبة لا طاقة للبشر على تحمل سعيرها وعذابها، والثانية بالتنكير والخطاب فيها للمؤمنين، ناسب هنا التنكير لقلة ما يعذب فيها، والذي يُعذب من عصاتهم بالنَّار يوضع في جزءٍ من أعلاها[٢٨٠]، وأما المتشابه بالإظهار والإضمار: المتشابه في كلمات القرآن بالإضمار: مثال الإضمار في قوله سبحانه وتعالى في الأنبياء: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٨١] ممتنع عليهم الرجوع؛ والمعنى: أنهم لا يرجعون بعد إهلاكهم عن الكفر إلى الإيمان، أو لا يرجعون إلى الدنيا بعد أن أهلكهم الله تعالى وأماتهم بسبب تكذيبهم وكفرهم مرة أخرى[٢٨٢]، والقول فيه إضمار: كما قال الزجاج[٢٨٣] وأبو علي الفارس[٢٨٤]: إن في الكلام إضماراً؛ وحرام

---

[٢٧٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣١٤.
[٢٧٣] المؤمنون: ٢٣/ ٤١.
[٢٧٤] المؤمنون: ٢٣/ ٤١
[٢٧٥] المؤمنون: ٢٣/ ٤١.
[٢٧٦] المؤمنون: ٢٣/ ٤٢.
[٢٧٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٠٩.
[٢٧٨] البقرة: ٢/ ٢٤.
[٢٧٩] التحريم: ٦٦/ ٦.
[٢٨٠] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢١.
[٢٨١] الأنبياء: ٢١/ ٩٥.
[٢٨٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٠٢.
[٢٨٣] إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، (ت ٣١١هـ) ***معاني القرآن وإعرابه***، ج٣، ص٤٠٤، ٤٠٥.

على قرية حكمنا باستئصالها، أو بالختم على قلوب أهلها أن يتقبل منهم عمل؛ لأنهم لا يرجعون؛ أي لا يتوبون[٢٨٥] ، وأما الإظهار: فمثاله قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى﴾[٢٨٦]قاله بالإظهار وكذلك في سورة الأنفال بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهَمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرُسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٨٧]، أظهرها لانضمام الرسول إلى الله في العطف، فالواو تُصيرهما في حطم شيءٍ واحد[٢٨٨].

سادساً: المتشابه باختلاف الصيغة الصرفية: المتشابه في كلمات القرآن بالإدغام والفك أي الإظهار: مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى﴾[٢٨٩] قاله هنا بالإظهار وكذلك في الأنفال بقوله:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهَمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرُسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٩٠]، وقال في سورة الحشر بالإدغام بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهَمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرُسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٩١]، لأن "ال" في اسم "الله" لازمة، بخلافها في "الرَّسول"، لأن حركة الحرف الثاني في {ذلك} وإن كانت لالتقاء الساكنَيْن كاللازمة لمجاورتـها اللازم، فلزم الإدغام في الآية التي في "الحشر" دون غيرها؛ وإنما أظهر في الأنفال مع وجود لفظ "الله" في الأنفال لانضمام الرسول إليه في العطف، لأن التقدير فيه أن الحرف الثاني اتَّصَل بالمتعاطفيْن، إذ الواو تُصيِّرهما في حكم شيء واحد[٢٩٢].

سابعاً: المتشابه في كلمات القرآن بالتضعيف وعدمه: مثاله قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ﴾[٢٩٣]تأتي التفرقة تارة بالتضعيف وتارة أخرى بعدمه لأسباب: منها ـ وربما من أهمها ـ وهو للاحتراز من كثرة التكرار. ولمناسبته لـــــــ" مُصَدِّقاً" خصّ المشدَّد.

---

[٢٨٤] الإمام أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، المتوفى، ٢٨٨-٣٨٨هـ، ***"الحجة في علل القراءات"*** لأبي علي الفارس: ج٥، ص/٢٦١.

[٢٨٥] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت ١٢٥٠ه) ***فتح القدير***، د: ابن كثير، ج ٣، ص٥٨٢.

[٢٨٦] النساء: ٤/ ١١٥.

[٢٨٧] الأنفال: ٨/ ١٣.

[٢٨٨]الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٧٤.

[٢٨٩] النساء:٤/ ١١٥.

[٢٩٠] الأنفال: ٨/ ١٣.

[٢٩١] الحشر: ٥٩/ ٤.

[٢٩٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٧٤.

[٢٩٣] آل عمران: ٣/ ٣.

ومنها: لأن القرآن نزل منجَّماً والتوراة والإنجيل نزلا جملة، كقوله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ﴾[٢٩٤]فالأولى بالتضعيف. وأريد به القرآن، وفي قوله تعالى في الآية السابقة ذاتها: "وَأَنْزَلَ" بعدم التضعيف أريد به الثاني، أي التوراة والإنجيل.

وردَّ هذا القول، ومن رده استدلّ بأدلة؛ منها جاء بقول الله تعالى: ﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَان جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[٢٩٥]، وبقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[٢٩٦]من غير تشديد، إن أريد به القرآن الكريم[٢٩٧]، وذكر الواحدي بأن التنزيل للتكثير وأنه نزل منجماً شيئاً فشيئاً،

وأمَّا التوراة والإنجيل فكلاهما نزلا دفعة واحدة[٢٩٨]، عند تفسره لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ﴾[٢٩٩]. وهذه الردود تدل على سعة الفهم في القرآن.

---

[٢٩٤] آل عمران: ٣/٣.

[٢٩٥] الفرقان: ٢٥/ ٣٢.

[٢٩٦] آل عمران: ٣/ ٤.

[٢٩٧] الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص ٥١.

[٢٩٨] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ***الوسيط في تفسير القرآن المجيد***، ج١، ص٤١٢، تح وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, الشيخ علي محمد معوض, أحمد محمد صيرة, أحمد عبد الغني الجمل, عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، د. الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤ وينظر، محمد بن عبد الرحمن الشايع، ***نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم***، ج١، ص، ١٠٩، (رسالة دكتوراه) في كلية أصول الدين، د. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، عدد الأجزاء: ١

[٢٩٩] آل عمران: ٣/٣.

ثامناً: المتشابه في كلمات القرآن بالماضي والحاضر: مثاله في الفعل المضارع كما في الأعراف وفي الروم بقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُـــرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدِيْ رَحْمَتِـــــــهِ﴾[٣٠٠]وبقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُـــثِـــيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَآءِ كَيْفَ يَـــــشَآءُ﴾[٣٠١]، وبلفظ الفعل الماضي، قاله في سورة الفرقان وفاطر: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[٣٠٢]وقوله: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُـــثِـــيرُ سَحَاباً﴾[٣٠٣]. ففي الأعراف تقدمه ذكر خوف وطمع كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[٣٠٤]والخوف والطمع للمستقبل، وأما في سورة الروم تقدَّمه التعبير بالفعل المضارع مرَّات كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِرَاتٍ﴾[٣٠٥]، فكان من المناسب فيهما ذكر المضارع؛ وأمَّا في الفرقان تقدمه التعبير بالماضي وتأخر كذلك بالماضي، فناسب ذكر الماضي فيهما، تقدمَّ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّـلَّ﴾[٣٠٦] وتأخَّر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾[٣٠٧]. وأمَّا في سورة فاطر فكان التقديم فيها بمعنى الماضي، فناسب ذكر الماضي فيها، وتقدَّمه في أوّلها "فَاطِرِ" و "جَاعِلٌ". وهذا من بلاغة القرآن الكريم في فصاحته، وتفننه في التعبير الجميل المناسب.[٣٠٨]

تاسعاً: المتشابه في كلمات القرآن في وجه مطابقة الجواب: مثاله في قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٣٠٩]، كان وجه المطابقة فيه: كانوا يستعجلون العذاب الذي توعَّدهم به نبيهم الذي أرسل إليهم، بقرينة قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ فكان جواب نبيّهم لهم بأنَّه لا يعلم الوقت الذي سيعذبون فيه، بلِ الله تعالى هو وحده الذي يعلم ذلك موعد ذلك

---

[٣٠٠] الأعراف:٧/ ٥٧.
[٣٠١] الروم: ٤٨/٣٠.
[٣٠٢] الفرقان:٢٥/ ٤٨.
[٣٠٣] فاطر:٣٥/ ٩.
[٣٠٤] الأعراف:٧/ ٥٦.
[٣٠٥] الرُّوم:٣٠/ ٤٦.
[٣٠٦] الفرقان:٢٥/ ٤٥.
[٣٠٧] الفرقان:٢٥/ ٥٣.
[٣٠٨] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٠٩.
[٣٠٩] الأحقاف:٤٦/٢٢، ٢٣.

العذاب[٣١٠]. والأفك في الأصل: الصرف؛ كأنهم قالوا: أجئتنا يا هود لتصرفنا عمَّ نحن فيه من عبادة آلهتنا[٣١١].

عاشراً: المتشابه المتكرر في كلمات القرآن للترغيب: ومما كان له اهتمام وجهود من ظاهرة التكرار عند الأنصاري من تكرار اللفظي والمعنى، بينه وبين نوعه وسببه، ومن ذلك في قول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[٣١٢]. كرَّرَه طلباً للرغبة في إيمان المذكورين، لأن التقدير: انظر كيف نصرف الآيات ولكنهم يصدفون عنها، بل تكرارها لهم لعلهم يفهمون. والتقدير بقوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[٣١٣]، فالإعراض عن الشيء أقبح من عدم فهمه، فوصفهم في الأولى بقوله: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ تبعاً لما وُصفوا به قبلها من القسوة في قلوبهم ولنسيانهم ما ذكِّروا به، وأما في الثانية فهذا غير موجود، فقال في حقهم: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾، وهذا ترغيبا للمسارعة في فهم آيات الله تبارك وتعالى[٣١٤].

المتشابه المتكرر في كلمات القرآن الكريم للتنبيه: بين الأنصاري رحمه الله تعالى لمن وبسبب من تكررت الآية فمرة تنبيها للنصارى ومرة لليهود والنصارى، فمثال ماجاء للنصارى في قوله تعالى في سورة المائدة:﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[٣١٥]، في هذه الآية كرِّرت مع ما بعدها وختمها بقوله تعالى: ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ لأنَّها يعني الأولى نزلت بحق النَّصارى لكفرهم حين قالوا: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْــنُ مَرْيَمَ﴾ فجاءهم ردٌّ من الله تبارك وتعالى عليهم بقوله: ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تنبيهاً لهم بأنَّ الله تبارك وتعالى هو المالك للكون ومن فيه ولعيسى ولغيره، وعلى أنَّه تعالى قادرٌ على إهلاكه وإهلاك غيره معه.

وبقوله تعالى:﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[٣١٦]، وفي الثانية: كرِّرت الآية وأنَّها قد نزلت في اليهود والنَّصارى حين قالوا مدَّعين بقولهم:﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُاْ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾فردَّ الله تعالى عليهم مبيِّنًا كذبهم بقوله:﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾مبيناً ومنبهاً لهم على أنَّ الجميع مملوكون لله تعالى

---

[٣١٠] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٨٦.

[٣١١] محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (ت: ٣٣٣هـ)، ***تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة***، ج٩، ص٢٥٢، تح، مجدي باسلوم، نشر: د، الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.

[٣١٢] الأنعام: ٦/ ٤٦.

[٣١٣] الأنعام:٦/ ٦٥.

[٣١٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٩٦.

[٣١٥] المائدة: ٥/ ١٧.

[٣١٦] المائدة: ٥/ ١٨.

ومصيرهم ومردهم إليه، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، سبحان الله وتعالى عمَّا يشركون[٣١٧]، والحمد لله على أن كان أمرنا بيده فهو الرحمن الرحيم.

المتشابه في كلمات القرآن بالتكرار للتأكيد: مثاله كما بينه الأنصاري رحمه الله تعالى في سورة الطارق في قوله تبارك وتعالى:﴿فَمَهِّلِ الْكِفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾[٣١٨]، وفي نفس الآية كُرِرتْ كلمة "فَمَهِّلِ" للتأكيد ولِلخفَّة فخُولف بين لفظيهما.[٣١٩] ومعنى قوله تعالى:﴿ فَمَهِّلِ الْكِفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾كما قال الإمام الواحدي في تفسيره: أمهلهم قليلًا حتى أهلكهم، ففعل الله تعالى ذلك وقعة ببدر، ونسخ الإمهال للكافرين بآية السيف، ومعنى أمهلهم ومهلهم أي: أنظرهم ولا تعجل[٣٢٠]، وهذا من أساليب التهديد والوعيد.

المتشابه في كلمات القرآن بتكرار الكلام الواحد في مواضع عدّة من قصص الأنبياء: كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣٢١]، ذكر الأنصاري عن سبب التكرار والحمة منه أما السبب: قاله حكاية عن السَّحرة الَّذين آمنوا وعن فرعون في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ .... إلى قوله تعالى ... وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٣٢٢]، ثم كرَّر الكلام عنهم في مواضع أُخر في سورتي "طه" و"الشعراء" مع اختلاف الألفاظ بزيادة ونقصان، مع أنَّ القصة واحدة وأما العبارات فمختلفة، وهذا يكون جرياً على عادة العرب بأساليب متعددة متساوية المعنى، وزيادة من البلاغة والتفنن في الكلام، والحذف في محلٍّ إحالةً عن ذكره في محلٍّ آخر، تسليةً للسَّامع وخشية من الملل إذا تمحَّضَ تكرارُه، وإظهاراً لروعة البيان والجمال.

الحكمة من تكرار قصة موسى عليه السلام: ويذكر الأنصاري وغيره من العلماء سبب تكرار القص في القرآن الكريم وخصوصا قصة موسى عليه السلام، بأن لا تخلو الحكمة في ذلك التكرار في قصة موسى عليه السلام وفي غيرها، من تأكيد التحدِّي وإظهار الإعجاز، ولهذا سمَّى الله تبارك وتعالى القرآن بـــ "مثَانِي" قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيْمَ﴾[٣٢٣] لأنَّ القرآن الكريم تُثَنَّى فيه الأخبار والقصص، أويفيد الغائب الذي غاب عند ذكرالقصة بالمرة الأولى، كما كان يحصل مع أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، عندما يحضر بعضهم ويغيب البعض الآخر في الغزوات

---

[٣١٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٨٠.

[٣١٨] الطارق: ٨٦/ ١٧.

[٣١٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٥٠.

[٣٢٠] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، ***الوسيط في تفسير القرآن المجيد***، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م ج٤، ص٤٦٧.

[٣٢١] الأعراف: ١٠٦/٧.

[٣٢٢] الأعراف: ١٢٦/٧.

[٣٢٣] الحجر: ١٥/ ٨٧.

وغيرها من الأعمال الدينية والدنيوية، فمن كرم الله سبحانه وتعالى وتشريفه لهم بأنه يُكرمهم بإعادة الوحي[٣٢٤]، وهذه من خصوصيات هذه الأمة.

رد الاعتراضات على شبهة التكرار في القرآن

وردت عدة انتقادات حول إعجاز القرآن الكريم، ولكنها لا قيمة لها إذا ما وضعت في ميزان العلم، فالإعجاز في القرآن موجود ومستقر بوجوه متعددة؛ ولكن ليس كل ما هو مستقر وموجود ظاهر للأجيال كافة؛ بل إنها تظهر تباعاً، شيئاً فشيئاً.

فمن تلك الانتقادات التي وجهت لكتاب الله عز وجل ما يقوله بعض المستشرقين وذيولهم وأتباعهم من جهلة المسلمين؛ يقولون: إن القرآن فيه ثغرة من الثغرات المعيبة؛ إذ فيه تكرار بدون موجب، كأن ترد الكلمات والجمل والموضوعات متكررة بدون موجب أو سبب؛ كقصة نوح عليه السلام التي وردت في عدة سور، وكقصة فرعون مع موسى عليه السلام، وهناك تكرار لبعض الموضوعات والأخبار والتاريخ، وبعض الأنباء المستقبلية.

والجواب عن هذه الانتقادات من جانبين:

الجانب الأول: ما يتعلق بتكرار الكلمات والجمل التي نلاحظها في القرآن! وذلك مظهر من مظاهر البلاغة، ومظهر من مظاهر تفرد القرآن بعلو البنيان وسمو التعبير. وقد دُرس التكرار وأهميته في علم البلاغة. وتكمن الأهمية بالنسبة للتكرار إذا ما دعت الحاجة إليه، وأما إذا كان هذا التكرار بدون موجب فلا شكّ أنه أمر معيب.

فقد تتكرر الكلمة لسببين اثنين؛ إما لأن الكلمة غريبة لم تطرق الأسماع بعد! فالبلاغة تقتضي أن تتكرر الكلمة مرة واثنتين وربما ثلاث مرات لِلفت الأنظار إليها ولتصقل الآذان.

مثل كلمة {الحآقّة} وهي اسم من أسماء يوم القيامة، فهذه الكلمة جديدة على أسماع العرب، واقتضت البلاغة أن تتكرر بالنحو الذي ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى: {الحآقة، ما الحآقة، وما أدراك ما الحآقة، كذبت ثمود وعاد بالقارعة} نظراً إلى أن الكلمة غريبة بدأت السورة بها ووقفت عندها لتجعل السامعين وقد ذهلوا بغرابة هذ الكلمة، فتفاعلت معهم الآية ثانية {ما الحآقة} واستنهضت هممهم وتطلعاتهم لمعرفة المعنى {وما أدراك ما الحآقة}. إذاً فهذه الكلمة اقتضت البلاغة أن تتكرر نظراً لغرابة معناها.

---

[٣٢٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١١٤.وينظر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، ***الانتصار للقرآن***، تح، محمد عصام القضاة، د. الفتح ـ عَمَّان، د. ابن حزم ـ بيروت، ط١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج٢، ص٣٠٣، عدد الأجزاء: ٢.

ومثل ذلك أيضا كلمة {سقر}، يقول الله سبحانه وتعالى: {سأصليه سقر} ثم يقول: {ومآ أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر}، وفي الحقيقة كان الأولى أن يقول: سأصليه سقر وما أدراك ما هي؟ ولكن البلاغة هنا تقتضي أن يُنَزَّل اللفظ الظاهر مكان الضمير، لأن كلمة (سقر) غريبة عن الأسماع {سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر} هل عرفتم ما هي سقر! سأحدثكم عنها. وهكذا القرآن الكريم يكرر ألفاظ الكلمات لغرابتها، وربما اقتضت البلاغة العربية أن تتكرر الكلمة للاستئناس بها، والتشوق إليها، وهذا معروف في العربية.

فلا غرابة إذا رأينا المستشرقين الأعاجم - على جهلهم بالبلاغة العربية وقواعدها - أن يتخذوا من عُجمتهم ومن جهلهم بقواعد البلاغة العربية دليلُ اتهامٍ وانتقاصٍ للقرآن الكر يم.

والغرابة أن ترى عربياً يعلم العربية الفصحى، ولكنه يحكم على نفسه بأنه ذيلٌ من ذيول هؤلاء الأعاجم المستشرقين، وأن يكون من ورائهم إمَّعة، بأن يذهب مذهبهم في اتهام القرآن وإلحاق النقيصة به!. وتظهر حماقته بصفته عربي وينطق بالعربية الفصحية.

وتجد هذه الظاهرة ذاتها منتشرة في الشعر العربي ونثره، كما تجدها ذاتها عندما تتأمل فيما سما القرآن إلى بيانه. فماذا يقول هذا القاصر عن تكرار مالك بن الريب لكلمة (الغضى)؟.

يقول مالك بن الريب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه عندما كان قافلاً من غزوٍ مع ثلّةٍ من أصحابه، فنزل به المرض، وكاد الموت يدنو منه، فرثى نفسه بقصيدة، قال فيها - وهو يتشوّق إلى وطنه ومسقط رأسه - معبراً عنه بكلمة (الغضى) وكان بعيداً عن أهله ووطنه.

قال: فليت الغضى لم يقطع الركبُ عرضه وليت الغضى ماشى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى مزار، ولكن الغضى ليس دانيا

ففي هذين البيتين كرّر الشاعر كلمة (الغضى) خمس مرات.

فهل زاد ذلك شعره إلا جمالاً! وهل عبّر هذا التكرار إلا عن مزيدٍ من الشجو الذي يعتلج في قلب الشاعر والحنين إلى وطنه و أهله؟.

ولكن من لا يدرك مَعين هذا الفنّ الرائع في القرآن الكريم محجوبٌ عن معين هذا الفن، بل هو المحجوب عن سواقيه وفروعه التي تجلت في التراث العربي فيما بعد. سواء كان المحجوبون من الأعاجم المستشرقين أو من ذيولهم المستغربين.

هذا المعنى يدركه العربيُّ الأصيل، أمَّا المستشرق الذي شمَّ اللغة العربية عن بُعد ولم يتعرف عليها! فمن الطبيعي أن يجهل قيمة هذا التكرار. فالتكرار في القرآن الكريم إمَّا أن يأتي لأن الكلمة غريبة، فمقتضى البلاغة أن تتكرر لتُصقل هذه الكلمة في الآذان ولتستأنس الأذن بوقعها، وإما من أجل التشوق أو لغير ذلك.

وأما بالنسبة للجمل التي تكررت في كتاب الله تعالى، فشأنها شأن اللازمة التي تتكرر في كثير من النثر العربي وفي القصائد لتأكيد شأنها وتعلق المعاني بها. وهي كذلك من الصور البلاغية التي تبعث على شدة التأثير بالكلام والانجذاب إليه... ولهذا التكرار ضوابطه وشروطه.

من ذلك قوله تعالى: {ويلٌ يومئذ للمكذبين}[٣٢٥]. إنها جملة تتكرر في سورة المرسلات بين آياتها القصيرة، والحكمة البلاغية من هذا التكرار، أن تعرض من أولها إلى آخرها، دلائل سلطان الله وقدرته ودوران هذا الكون بحكمته وتدبيره، وهي دلائل بينة واضحة مقروءة للجاهل والعالم والأمي والقارئ، فما أطول المتعامين عنها المكذبين بها. ألا ترى أن منطق النعي لهؤلاء الجاحدين، أثناء توالي هذه الدلالة القاطعة عليهم وقرعها لأسماعهم، يستدعي توالي النعي معها عليهم و التهديد لهم ؟

وإليك هذا النموذج منها: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (٢٥) أَحْياءً وَأَمْواتاً (٢٦) وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ مَاءً فُراتاً (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩)

انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)}[٣٢٦].

الجانب الثاني: ما يتعلق بتكرار المعنى كقصة من القصص التي يكررها بيان الله تعالى، أو كحدث من أحداث التاريخ يكرر؛ والواقع أنه لا يوجد تكرار بالمعنى الدقيق، فإذا كان عنوان القصة يتكرر! فإن المضمون في كلِّ مرة يتغيَّر. مثال ذلك: ما قصّه البيان الإلهي علينا كقصة نوح مع قومه؛ فقد ذكرها مرة ثم أعادها مرة ثانية وأعادها مرة ثالثة. فهي بالنسبة للعنوان فالتكرر موجود؛ ولكنك عندما تقرأ القصة في المرة الأولى ثم في الثانية ثم الثالثة! تجد أنها صيغَت في كل مرة مستقلة عن المرة الثانية فالثالثة. وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز

الذي ذكره العلماء الأقدمون، وبحث فيه علماء البلاغة وغيرهم، كالجرجاني صاحب كتاب "دلائل الإعجاز"[٣٢٧]. وكمثال على ذلك أن تصغي إلى قصة نوح عليه السلام التي ذكرت في سورة هود، وذكرت للمرة الثانية في سورة نوح، والثالثة في سورة القمر؛ فهذه القصة يذكرها البيان الإلهي للمرة الثالثة. فأي عاقل يزعم أن أحداث تلك القصة كُررت ثلاث مرات متطابقة! فالعنوان في هذه القصة يتكرر، وأما المضمون ففي كل مرة تلاحظ معنى إضافياً بالنسبة للمعنى

---

[٣٢٥] المرسلات، ٧٧/ ١٥.

[٣٢٦] المرسلات، ٧٧/ من ٢٠ إلى ٣٤.

[٣٢٧] عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت :٤٧١ أو ٤٧٤ هـ).

الذي سبقه. وهذا مظهر من مظاهر تميُّز القرآن، ومن مظاهر إعجازه؛ كما قال العلماء الأقدمون.

ولا يستطيع أن يأتي كاتبٌ وأن يصوغ قصة واحدة ثم لا يصوغها مرة ثانية ثم يكتبها للمرة الثالثة بحيث لا يشابه ما ذكره في المرتين الأولى والثانية. وبهذا يتضِّح لنا إعجاز القرآن الكريم. هذا هو الاعتراض على شبهة التكرار والرد عليه[٣٢٨].

وقد طرح ابن عاشور رحمه الله تعالى سؤالاً قد يخطر لأهل اليقين فضلاً عن المشكّكين مفاده: لماذا لم يُستغنى بالقصة الواحدة في حصول المقصود؟ وما هي فائدة التكرار للقصة في أكثر من سورة؟ فأجاب بما يكشف للمتحيرين حيرتهم على اختلافهم وتفاوت مداركهم ونواياهم فقال: فوائد القصص في القرآن تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة معه، فلا يعدّ ذكرها مع غرضها تكريرا؛ كما لا يقال للخطيب في قوم دعته مناسبة أخرى إلى أن يقف خطيبا في مثل مقامه الأول، فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة؛ فأعاد معانيها ولم يعد الألفاظ خطبته ذاتها، فيحصل من ذكرها المقصد الخطابي، ومعه تحصل مقاصد أخرى[٣٢٩].

فالمتشابه له أنواع كثيرة في القرآن وقد بينت جهود الأنصاري كثيرا من هذه المتشابهات التي سبق ذكرها.

المطلب الثاني: تعريف بكتابه إعراب القرآن العظيم

أولاً ـ قيمة الكتاب ومحتواه

إن لكل كتاب من الكتب أهمية كبيرة في المجتمع ولا يخلو كتاب من فائدة، وهو وسيلة بل أساس للعلم والتعليم فقد أهتم العلماء بالكتب العلمية اهتماما كبيرا، كما هو سجل للتاريخ فتعرف به الأحداث القديمة والحديثة وتزداد به ثقافة الأنسان، وتحتوي الكتب إلى علوم كثيرة، والعلوم تقوم على مختلف المجالات من جوانب متعددة لدراسات كتاب الله تعالى؛ لتكشف لنا عن ذخائره، وتثبت أن هذا الكتاب هو كتاب الله المعجز وكلامه الذي منه بدأ وإليه ينتهي، ولم يستطع أحد بأن يأتي بمثله ولو اجتمعت على ذلك الإنس والجن.

وهذا كتاب من بين الكتب العلمية العظيمة كتاب عظيم يختص بكتاب الله تعالى من الناحية التفسيرية الإعرابية، وكتاب مختصر خاليا من التطويل ويركز على إعراب بعض

---

[٣٢٨] محمد سعيد رمضان البوطي، من كتابه " لا يأتيه الباطل" كشف لأباطيل يختلقها ويلصقها بعضهم بكتاب الله عزَّ وجلَّ، ص:٣١.

[٣٢٩] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، ***التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"***، د. التونسية للنشر ــ تونس، ت/ن: ١٤٠٥ ه ١٩٨٤ م، ج١ ص٦٨.

الآيات ويذكر الوجه المختار من الوجوه، ولا يكرر الإعراب إن سبق ذلك إعرابه ، وينقل من بعض العلماء في المسائل الإعرابية، ولا يخلو الكتاب من معاني وتفسيرات وبعض النكت البلاغية في المتشابه بطريقة شيقة على طريق السؤال والجواب فيعد قيمة علمية كبيرة، تضاف إلى المكتبة الإسلامية، فقد كان مخطوطا وقام بتحقيقه "موسى علي موسى مسعود" للعلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ)، ويعد الأنصاري من العلماء الموسوعيين، وله جهوده المعروفة المشهودة في شتّى أنواع العلوم مع المكانة الراسخة في الدراسات اللغوية المتميزة، واسمه "إعراب القرآن العظيم".

ويذكر الباحث هنا بعض الجهود التي نقلها الأنصاري من بعض المصادر الأخرى في مسائل متعددة منها:

فقد نقل عن ابن جني[٣٣٠]: ومما نقله الأنصاري من ابن جني، من الخصائص عند إعراب بعض الآيات منها في قوله تعالى: {وَلَنْ يَنفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}[٣٣١]، قال الأنصاري في إعراب هذه الآية: {أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} هي فاعل " ينفعكم "، ولفظة (اليوم) هي ظرف لقوله تعالى: (يَنْفَعَكُمُ) و (إذ) تكون بدلا من " اليوم ".

ويورد الأنصاري سؤالاً فيقول: فإن قيل: كيف يصح أن يكون "إذ" بدلا من "اليوم" وهما وقتان مختلفان؟ قيل: لأن الماضي والمستقبل عند الله سِيَان؛ فصح لذلك أن يكون أحدهما بدلا من الآخر[٣٣٢]. فالوقتان إذًا على تباعدهما وافتراقهما صارا كالوقتين الممتزجين كأنه وقت واحد.

قال: قال أبو الفتح[٣٣٣]: سألت أبا علي في "إذ" هنا، بعد بحث طويل استقر بيننا آخر القول بأن الدنيا والأخرى متصلتان وهما سواء في حكم الله وعلمه[٣٣٤]. وهذا هو النقل من الخصائص لابن جني رحمه الله تعالى.

---

[٣٣٠] هو: عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي. كان أبوه مملوكًا روميًا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. كان إمامًا في النحو والأدب. تتلمذ على أبي علي الفارسي مدة أربعين سنة، وبعد موت أستاذه أبي علي؛ تولى مكانه في بغداد. له من المؤلفات الكثيرة، منها: "الخصائص"، و"شرح المقصور والممدود"، و"المذكر والمؤنث". (ت: ٣٩٢هـ)، وله من العمر خمس وستون سنة تقريبًا، ينظر، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ***مقاصد الشريعة الإسلامية***، تح، محمد الحبيب ابن الخوجة، د. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج٢، ص٦٦٧، عدد الأجزاء: ٣.

[٣٣١] الزخرف، ٣٩/٤٣:

[٣٣٢] الأنصاري، ***إعراب القرآن العظيم***، ص٤٨٤.

[٣٣٣] عثمان بن جني، أبو الفتح، من علماء الأدب والنحو والتصريف، ويتميز علم بالتريف عن النحو، وقد أخذ العلم عن أبي الفارس، كما تصدرى في مكان أبي الفتح بعد وفاته.

[٣٣٤] أبي الفتح عثمان بن جني، ***الخصائص***، ج٣، ص٢٢٥، تح، محمد علي النجار، د، المكتبة المصرية، الكتب العلمية.

ومما نقله الأنصاري عن الأخفش[٣٣٥] عند قوله تعالى: قوله: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) قال الأنصاري عن إضافة العباد للرحمن: هذه من إضافة التفضيل والتكريم والتخصيص، وفي إعراب (عباد) هي مبتدأ، وخبره هو قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ يُجزَوْنَ الْغُرْفَةَ}، وما بين الإضافة وهذه الآية هي صفاتهم.

وأمّا التقدير فيكون: وعباد الرحمن الماشون على الأرض، والقائلون سلامًا عندما مخاطبتهم للجهال إياهم، مع ما بقي من الأوصاف الأخر أولئك يجزون الغرفة؛ أي بصبرهم على أذى المشركين. وقيل: الخبر: هو (الَّذِينَ يَمشونَ). وقال أبو الحسن: هو مبتدأ وليس له خبر إلا في المعنى[٣٣٦]؛ يزعم أنه محذوف، و (هَوْنًا) مصدر في موضع الحال، بمعنى: يمشون على الأرض هينين، يعني: متواضعين[٣٣٧].

ويتضمن بعض الآيات في التفسير: ففي قوله تعالى: ﴿استَوْقَدَ﴾[٣٣٨]، قال الأنصاري: بمعنى: أوقد، مثل استجاب بمعنى: أجاب. وكما قال كعب بن سعد الغنوي:

وَدَاعَ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[٣٣٩]

ومثل: استقر بمعنى: أقرّ. وذكر فيها قولاً بصيغة التضعيف فقال: وقيل استوقد لا يكون بمعنى أوقد كما لا يكون استعلم بمعنى أعلم[٣٤٠]. فلم يخلو إعراب القرآن من نصيبه من التفسير.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣٤١]فإنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ الْحَقَّ﴾: يعني لا تخلطوا، ويقال فيها: لَبَس بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، ولَبِستُ الثوب ألبَسُه بالكسر في الماضي والفتح في المضارع. قال: والمراد بلبسهم الحقَّ بالباطل كتابتُهم في التوراة ما ليس منها[٣٤٢]. واللبس هو الخلط، وقد يلزمه جعل الشيء مشتبهاً بغيره، فالمعنى يكون: لا تخلطوا الحق المنزل عليكم من ربكم بالباطل الذي تخترعونه من عند أنفسكم وتكتمونه حتى لا يميز بينهما، أو ولا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل

---

[٣٣٥] أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، وله كتابه المعروف "معاني القرآن للأخفش".

[٣٣٦] أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، ***معاني القرآن للأخفش***، ج ٢، ص ٤٦، تح، هدى محمود قراعة، د. في مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

[٣٣٧] الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ص٤١٨.

[٣٣٨] البقرة: ١٧/٢.

[٣٣٩] أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، (ت:٢١٦هـ)، ***الأصمعيات***، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ص،٩٧.

[٣٤٠] [٣٤٠] الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ص١٦١.

[٣٤١] البقرة: ٢/ ٤٢.

[٣٤٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٣.

الذي تكتبونه في خلاله، أو تذكرونه في تأويله[٣٤٣]، وهذا الأسلوب من الأساليب التعبيرية التي يستعملها في التعبير القرآني.

تفسير الآيات في المتشابه فكان موقف الأنصاري من هذه الآيات هو التأويل: كقوله الله تعالى ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ﴾[٣٤٤]، قال الأنصاري: أي أتاهم أمر الله تعالى[٣٤٥] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ﴾[٣٤٦]، قال الأنصاري: أي أتاهم عذابه، وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء، وقيل: الضمير للمؤمنين؛ أي فأتاهم نصر الله تعالى، وقرئ "فآتاهم"؛ أي: النصر أو العذاب[٣٤٧]. وهذا يكشف عن مذهب الأنصاري العقدي.

التفسير برد الكلمة إلى أصلها: وذلك بأن يردّ الكلمة إلى أصلها، مبيّناً كيف كانت وكيف صارت، مع ذكر سبب هذه التغيرات فيها. كما عند قوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾[٣٤٨]ذكر الأنصاري السبب الذي حذف لأجله الألف هنا وإثباتها في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٣٤٩]. قال الأنصاري رحمه الله تعالى: قيل: حذفت الألف لكثرة الاستعمال، وقال أيضاً: أضيف الاسم إلى الله تعالى مع أن الله هو الاسم، فقال: قيل الاسم لازم للمسمى، والتسمية غير الاسم. وقيل: في الكلام حذف مضاف، تقديره باسم الله. قال: والأصل في "الله": الإله، فألقيتْ حركة الهمزة على اللام المعرَّفة، ثم سكنت وأدغمت في اللام الثانية، ثم فُخِّمَتْ حيث لم يكن قبلها كسرة، ورقّقت إذا كانت كسرة قبلها، والتفخيم في هذا الاسم خاصّ به للتعظيم. فكلمة {اسم} في القرآن الكريم في قوله {بسم الله} تكتب من غير ألف، وهي ألف وصلٍ، أي: تنطقها حين تقرأها لكن الحرف يسقط عند الكتابة، ولا تسقط عندما نكتب الآية الأولى من سورة العلق: {اقرأ باسم رَبِّكَ الذي خَلَقَ}[٣٥٠].

وقوله تبارك تعالى:﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ ﴾[٣٥١]قال الشيخ رحمه الله تعالى حول هذه الكلمة: إن أصلها تَرْأَيينَ؛ كـــترعيين، ووزنها تَفْعَلين؛ فالرَّاء فيها فاء الفاعل، والياء الأولى منها لامه فألقيت حركة الهمزة على الرَّاء وحذفت الهمزة تخفيفاً فبقيت: تَرَيين، ثم أبدل لام الفعل ألفاً

---

[٣٤٣] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج ١، ص ٣٠٢.
[٣٤٤] الحشر: ٥٩/ ٢.
[٣٤٥] الأنصاري، ***إعراب القرآن الكريم***، ص ٤٣٠.
[٣٤٦] الحشر: ٥٩/ ٢.
[٣٤٧] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج ٥، ص ٣١٠.
[٣٤٨] الفاتحة: ١/١.
[٣٤٩] العلق: ١/٩٦.
[٣٥٠] محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، ***تفسير الشعراوي "الخواطر"***، د. مطابع أخبار اليوم، ت/ن: ١٩٩٧ م، ج٩، ص٥٦٣٣.
[٣٥١] مريم: ١٩/ ٢٦.

لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف لسكونها ولسكون الياء ـ وهي ضمير ـ بعدها، فبقي تَرَيْن على وزن تَفَيْن، ولما دخلت إنّ الشرطية على (ما) دخلت على فعلها نونُ التوكيد الثقيلة، لأن زيادة "ما" تؤكد شدة التأكيد، فحذفت النون التي هي علامة الرفع للبناء؛ والفعل يصير معها مبنيّاً، وكسرت ياءُ "يرى" بسبب التقاء الساكنين، وهي النون الأولى من النونين فبقيت "ترين" كما تقول: احيينَّ. وموضعها جزمٌ بالشرط، والأصل "فإما تريي"، فزيدت النون للتوكيد، وصلح ذلك في الخبر لدخول "ما". وقال سيبويه: لو نطق بها بغير نون لكان "فإما ترى"، فلما زيدت النون ردّته إلى أصله، وكذلك كسرت الياء لالتقاء الساكنين، والكسرة أَولى للتفريق بين المذكر والمؤنث، وخُفّفت الهمزة، فألقيت حركتها على الراء، وحذفت فصارت "ترين"[٣٥٢]، وكذلك قال أبو جعفر النحاس: {فَإِمَّا تَرَيِنَّ} أنها في موضع جزم بالشرط؛ والأصل فيها فإمّا تريي، فزيدت النون للتوكيد لدخول (ما)[٣٥٣].

قال الأنصاري في مطلع سورة يونس: سورة يونس عليه السلام قول الله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ)[٣٥٤] الإشارة في "تلك" إلى ما تضمنته{الر}[٣٥٥] من الآيات على قول من جعلها اسماً للسورة.

وقوله تعالى: {الْحَكِيمِ} أي: بمعنى الحكم. وقيل بمعنى: الحاكم. وقوله تبارك وتعالى: {أَنْ أَوْحَيْنَا} اسم كان[٣٥٦]، وقوله سبحانه وتعالى: {أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ}[٣٥٧] يحتمل أن تكون تفسيرية ويحتمل كونها مصدرية مخفّفة من الثقيلة. قوله جلّ وعلا: {أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ}[٣٥٨] تصلح أن تكون على المذهبين[٣٥٩].

ثانياً: نموذجا من جهوده في الإعراب في بعض الآيات مع ذكر الوجوه فيها

لم يكن مسلك الشيخ زكريا الأنصاري يتتبّع كلمات القرآن وآياته، آية آية ولا كلمة كلمة؛ وإنّما كان جهوده أن انتقى من كلّ سورة ـ من الفاتحة وحتى سورة الناس ـ ففي الإعراب ذكر الوجوه وسلك مسلك الانتقاء فيما يراه مهمّاً ذا فائدة للكشف والبيان عمّا يريد تحقيقه من البيان

---

[٣٥٢] الأنصاري، ***إعراب القرآن***، ص، ٢٧٥.

[٣٥٣] أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، ***إعراب القرآن***، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، محمد علي بيضون، د. الكتب العلمية ــ بيروت، ط١، ت/ط: ١٤٢١ هـ، ج٣، ص١٠.

[٣٥٤] يونس: ١٠ /١.

[٣٥٥] يونس: ١٠/١.

[٣٥٦] يونس: ١٠/٢.

[٣٥٧] يونس: ١٠/٢.

[٣٥٨] يونس: ١٠/٢.

[٣٥٩] زكريا الأنصاري، **إعراب القرآن العظيم**، ص٣١٥.

والإعراب، أو بيان المعنى والوجوه فيه، وأحياناً يضمّ الآيات المتشابهات إلى بعضها زيادة في الإيضاح. والأمثلة التي اختيرت من الكتاب كافية في عرض جهوده وأسلوبه ومنهجه الذي انتهجه في الكتاب.

المثال الأول: قول الله تبارك وتعالى: ﴿الم () اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم. ﴾[٣٦٠]

بين الشيخ زكريا: أن موضع حرف "اللام" الجرّ على القسم، وحرف القسم محذوف وبقي عمله بعد حذفه لأنه المقصود، وهو كالملفوظ به كما يقال: "**لَتَفْعَلَنَّ**" في لغة مَن جرَّ.

والوجوه الواردة في إعرابها:

الوجه الأول: قيل إن موضعها النصب على حذف القسم، كما يقول: اللهَ لأفْعَلَنَّ، أو يكون الناصب فعل محذوف تقديره: التزمت اللهَ، أي اليمين بالله.

الوجه الثاني: قيل على أنه مفعول به وتقديره "اتلُ ألم"[٣٦١]إذا لقيها حرف الساكن ليفصلوا بينها وبين غيرها.

وقالوا مِنَ الرجل، ففتحوا النون لاجتماع الساكنين. ويقولون: "هلِ الرجل" فليس بينه وبين "منِ الرجل" فرق، ففتحوا "مِنَ الرجل " لكيلا تجتمع كسرتان[٣٦٢].

والحروف المقطعة الموجدة في أوائل السور لها أسرارها ومعانيها فقد قيل فيها أقاويل متعددة من العلماء بخصوص إعرابها وعدمه والتوقف فيها من الناحية الإعرابية.

"ألم": إن قيل إن الحروفَ المقطَّعة الموجودة في أوائل بعض السور أسماءُ حروف التهجِّي، يعني بأن الميم منها اسْمٌ لـمَـهْ، والعين اسمٌ لعَهْ، وفائدتها إعلامهم بأنَّ هذا القرآن العظيم منتظمٌ مِنْ جنس ما تَنْظِمُون منه كلامَكم ولكنكم عَجَزْتُمْ عنه، فلا محل لها عندئذٍ من الإعراب، وإنما جيء بها لهذه الفائدة، فأُلقيت كأسماء الأعداد نحو: واحد واثنان وهكذا، فلا محل لها من الإعراب، وهذا من أصح الأقوال.

وفيها قول آخر: إنها معربة، يعني أنها صالحة للإعراب، وإنَّما فات شرط وهو التركيب، وإليه مال الزمخشري[٣٦٣]. جعلها معربة.

وكذلك ورد فيها قول ثالث: بأنَّـها موقوفة لا معربة ولا مبنيةٌ.

---

[٣٦٠] آل عمران: ١/٣.

[٣٦١] الأخفش، ***معاني القرآن للأخفش***، ج١، ص٢٢.

[٣٦٣] في كتابه المسمّى (**بالكشاف**).

وإن قيل: إنـهـا أسماء السور المفتتحة بها، أو أنـهـا بعض أسماء الله تعالى حُذف بعضُها، وبقي منها الحروف الدالة عليها، وهذا رأي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، كقوله: الميم من عليم، والصاد من صادق، فلها حينئذ محلٌّ إعراب. ويحتمل الرفع والنصب والجرُّ، فالرفع يكون على أحد وجهين: إمَّا أن تكون مبتدأ، وإمَّا أن تكون خبراً. ويكون النصب كذلك على أحد وجهين: إمّا بإضمار فعلٍ لائقٍ تقديره: اقرؤوا ألم، وإمَّا بإسقاط حرف القسم كما قال الشاعر:

إذا مـا الخبـزُ تَـأْدِمُـــه بلَحْمٍ ... فَذاك أمَـانـةَ اللهِ الثـريدُ[٣٦٤]

يريد: وأمانة الله.[٣٦٥]

المثال الثاني: وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٣٦٦]، قال بأعيننا: في محل رفع خبر "إن"، كما تقول: إني بمرأى منك.[٣٦٧] وفي قوله جلّ وعلا: وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[٣٦٨]قال: أي أمر ربك[٣٦٩].

المثال الثالث: سورة القصص في قوله تعالى: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى} [٣٧٠] أي شيئًا.

وقوله سبحانه: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ} [٣٧١] حكاية حال ماضية، والواو في "ونريد" للعطف، عطف جملة على جملة.

وقوله جل وعلا: {أن أرْضِعِيهِ} [٣٧٢] ظاهره يجوز كون "أن" مصدرية وتجوز تفسيرية. وكذلك قال غيره من المفسرين.

كما ذهب إلى ذلك أبو حفص النعماني فقال: قوله {أَنْ أَرْضِعِيهِ} يجوز أن تكون المفسّرة والمصدريّة[٣٧٣].

---

[٣٦٤] عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، ***الكتاب***، تح، عبد السلام محمد هارون، د. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج٣، ص٦١، عدد الأجزاء: ٤. يقال هذا البيت من وضع النحويين ولم أهتدِ إلى قائله.

[٣٦٥] أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت ٧٥٦هـ)، ***الدُّر المصُون في علوم الكتاب المكنون***، تح، أحمد محمد الخرَّاط، ج٧٩/١، ٨٠.

[٣٦٦] الطور: ٥٢ ٤٨.

[٣٦٧] الأنصاري، ***إعراب القرآن الكريم***، ٤١٣.

[٣٦٨] الفجر: ٨٩/ ٢٢.

[٣٦٩] الأنصاري، ***إعراب القرآن الكريم للأنصاري***، ص ٤٨٤.

[٣٧٠] القصص: ٣/٢٨.

[٣٧١] القصص،٢:/٥.

[٣٧٢] القصص: ٧/٢٨.

[٣٧٣] سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥ هـ)، ***اللباب في علوم الكتاب***، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، د. الكتب العلمية ــ بيروت لبنان، ط١، ت/ط: ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨م، ج١٥، ص٢١٥.

وقوله تعالى: {لِيكُونَ لَهُمْ عَدُوًا}[٣٧٤] هذه لام العاقبة، وليست للتعليل.

وقوله سبحانه: {قُرَّتُ عَيْنٍ} أي: هذا الصبي قرّة عين.

وقوله سبحانه وتعالى: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[٣٧٥] في موضع الحال. قوله جلّ وعلا {قُصِّيهِ} أي: قُصّي أثره[٣٧٦] أي تتبّعي. وقوله تعالى: {فَبَصُرَتْ بِهِ}[٣٧٧] أي علمت بمكانه، يقال بَصرَ بالشيء يَبْصُرُ بصارة إذا علم. وقوله تعالى: {عَنْ جُنُبٍ}[٣٧٨] أي: بعيدًا، وهو مصدر جنبت فلانا وجانبته إذا باعدته. قوله سبحانه: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[٣٧٩] في محل نصب حال. قوله تعالى: {الْمَرَاضِعَ} جمع مرضعٍ، المرأة التي ترضع؛ ففي الكلام حذف مضاف، أي لبن المراضع، ويجوز أن يكون جمع مَرضَع وهو مصدر كالمطلع؛ وإنما جُمع لاختلاف أنواعه. قوله تعالى: {وَلَا تَحْزَنَ} معطوف على قوله {تَقَرَّ عَيْنُهَا}. وقوله تعالى: {عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ} أي: مختلسًا، فهو حال. قوله تعالى: {يَقْتَتِلَانِ} صفة لـقوله {رَجُلَيْنِ} وكذلك قوله تعالى: {هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} صفة أيضاً. قوله تعالى: {بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} قيل: الباء للقسم، وجواب القسم محذوف[٣٨٠].

فالأصل بأنه كتاب مختصر كما قال المحققون مع وجود الفائدة الكبيرة فيه من الإعراب والتفسير والنكت البلاغية وغيرها وهذه بعض من الجهود والأمثلة من كتاب "إعراب القرآن العظيم" للأنصاري لتعطي لمحة بسيطة عن الكتاب وعن الجهود التي بذلها والمنهج الذي اتبعه المصنف فيه. فلا حاجة للإطالة في الشرح والتوضيح، لأن الغاية والمراد هو بيان الجهود المنهج الإجمالي.

---

[٣٧٤] القصص:٨/٢٨.

[٣٧٥] القصص: ٩/٢٨.

[٣٧٦] الأنصاري، ***إعراب القرآن الكريم للأنصاري***، ص٤٢٧.

[٣٧٧] القصص: ١١/٢٨.

[٣٧٨] القصص: ١١/٢٨.

[٣٧٩] القصص: ١١/٢٨.

[٣٨٠] الأنصاري، ***إعراب القرآن الكريم***، ص٤٢٨.

المطلب الثالث: تعريف بحاشيته فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل

هذه الحاشية وضعها الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى على تفسير القاضي البيضاوي، تشهد له على علو جهوده، فكان من جهد الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى في الكتاب هو الشرح في أماكن الغموض والإتمام في أماكن النقص والرد على ماأشكل فيها وبيان الصواب فيه؛ كما قال واصفاً جهوده ومنهجه الذي سار عليه في مقدمة الحاشية: (فهذا تعليق وضعته على تفسير القرآن العظيم المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للإمام المحقّق والحبر المدقّق ناصر الملّة والدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي ـ طيّب الله ثراه وجعل الجنة مأواه ـ آمين، يفتح منه مُقفلَه ويُوضّح مُجم لَه، مع بيان ما يرد عليه والجواب عنه ـ إن أمكن ـ مصحوباً بقواعد محرّرة وفرائد مخمّرة.

وقد أتعرّض فيه للقرآن لإيضاحٍ أو غيره، وسمّيته "فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل". والله تعالى ولي المعونة والتوفيق، ومنه الهِداية إلى سواء الطريق، وهو تعالى حسبي ونعم الوكيل)[٣٨١]، وهذه نهاية كلامه في المقدمة.

يتبيّن لنا من خلال هذه المقدّمة ـ بعد الاطلاع على محتوياتها ـ أنّه قام بوضع تعليقات على تفسير القاضي البيضاوي. ولما كان البيضاوي رحمه الله تعالى يتكلّم كثيراً في الوجوه الإعرابية والنواحي البلاغية، فلذلك كان من الطبيعي أن يسير الشيخ الأنصاري على خُطاه، فتعرّض في تعليقاته لهذه الوجوه بشيءٍ مِن التوسّع مع البيان والتوجيه. ومن ذلك في قوله تبارك وتعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}[٣٨٢] بعد أن ذكر القاضي البيضاوي الناحية البلاغية في الآية، علّق الشيخ زكريا عليها فقال: فيها قصرُ قلبٍ، أي: هم مقصورون على الإفساد. قال: وقد قرّره المصنّف بقوله: [ردّ لما ادّعوه أبلغ ردٍّ للاستئناف به.].

وخلاصته: أنه استدلّ على أبلغيّة الرّدّ بالاستئناف وما عُطف عليه من التصدير بحرفي التأكيد وتوسط الفصل والاستدراك؛ والعدول إليه عن العطف يُقصد به تمكّن الحكم في ذهن السامع، لحصوله بعد السؤال والطلب. وفي التصدير بحرفي التأكيد (ألا وإنّ)، وفي تعريف الخبر وتوسّط الفصل دلالتهما على ردّ ما ادّعوه ورد التعريض للمؤمنين المفاد من الآية، وفي الاستدراك دلالة على كونهم مفسدين، فظهر ظهور المحسوس؛ ولكنهم بلا إحساس قابلٍ للإدراك[٣٨٣].

---

[٣٨١] مقدمة ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص٢٣.

[٣٨٢] البقرة، ١٢/٢

[٣٨٣] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص١٤٠.

ومما نبه عليه الأنصاري في حاشيته عندما ذكر المصنف الكلام حول الربّ والعالم وأن للعالم ثلاثة أوجه وكان الكلام في تفسير سورة الفاتحة عند قوله تعالى {رَبِّ الْعَالَمِينَ}ذكر أن {رَبَّ} فالرب مشتق من التربية، و هو في الأصل مصدر، والمراد به المربِّي، (وقيل) ليس بمصدر بل (هو نعت) بمعنى المالك، (من باب ربَّه يربُّه) فهو ربٌّ يعني الربُّ يطلق على المربِّي والمالك وعلى السّيد والثابت والخالق والمصْلح والمعبود، وتحتمل الآية كل ذلك، فإن فسّره بمعنى المالك أو الثابت أو السّيد فهذا من صفات الذات، أو فسره بالبقية بأنه مدبر لخلقه ومربيهم فيكون من صفات الفعل، وذكر أنه لا يطلق الرب مفردا في الشرع إلا على الله تبارك وتعالى فلا يطلق على غيره، وإطلاق الربِّ مجموعاً على غير الله تعالى فهذا جائز مطلقا، ويقال: ربُّ الأرباب[٣٨٤]، وفي قوله جلّ جلاله: {ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ}[٣٨٥]. بين الأنصاري معنى الرّب من ناحية المصدر والمعنى التفسيري لها وجواز إطلاقها عل الله تعالى مفردة حصرا مع الجواز على غيره بالجمع.

وعند كلمة العالم، الذي هو جمع عالَم ولا واحد من لفظه، أنها بفتح اللام مع أنها مشتقة من العلْم، واختلف في العالم على أقوال ثلاث أولها: ما يعقل من الملائكة والإنس والجن. وثانيها: أنه الدنيا وما فيها. وثالثها: أنه العالم هو كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة. وهذه الوجوه الثلاثة نبه الأنصاري بأن المصنف ذكر ثلاثة أوجه للعالم وقد اختلف في الوجه الأول على كمية العالم على أقوال: أحدها: على أنه ألف عالم، ستٌّ مئة منها في البحر، وأربع مئة منها في البرّ. والثاني: أنه ثمانيةَ عشرَ ألفاً، وعالم الدنيا يكون واحد منها. والثالث: أربعون ألفاً، وعالم الدنيا واحد منها. والرابع: ثمانون ألفا، نصفها في البرّ والنصف الآخر في البحر. ولا يحصي عدد العالم إلا الله تبارك وتعالى فكان [٣٨٦]. الأنصاري يتمم ويوضح ما كان غامضا ويزيد الفوائد بما يتناسب مع النص الذي جاء به المؤلف.

ومن النماذج من جهود الأنصاري الشرح لكلام الإمام البيضاوي مع بيان الأنسب عند قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}[٣٨٧]، ذكر البيضاوي أن هذا تهديد لهم على تكذيبهم، وتخويف بأن ينزل بهم مثل مانزل بالمكذبين من قبلهم، ثم بيّن عن سبب التعبير بـ (المجرمين) في الآية بقوله: (ليكون لطفا بالمؤمنين في ترك الجرائم). قام بشرح هذا

---

[٣٨٤] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص٥٩، وينظر، أبي الحسن علي بن محمد بن حبتيبا الماوردي البصري، (ت: ٣٦٤ ـ ٤٥٠ه)، ***النكت والعيون***، تعليق، السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج١، ص٥٤، نشر، ط، د. الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

[٣٨٥] يوسف، ٣٩/١٢.

[٣٨٦] والماوردي، ***النكت والعيون***، ج١، ص٥٥. الأنصاريّ، **حاشية فتح الجليل**، ج١، ص٦١.

[٣٨٧] النمل، ٦٩/٢٧.

تعليق عليه البيضاوي بقوله: "اللطف": بضم اللام وسكون الطاء هو التوفيق والعصمة، وبفتحهما الرفق وهو الأنسب هنا.

ومن ذلك عند قوله: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٣٨٨] ، بعد أن بيّن البيضاوي الكلام حول الآية وعند قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} قال البيضاوي: (لدلالتها على الأمور الثلاثة) بينها الأنصاري بأنها التوحيد والبعث ووالبعثة[٣٨٩].

ومما يرى الكثير من الجهود في الحاشية بيان المفهوم من التقييد وغيره، وبيان العطف على ما عُطِفَ وإن كانت منقطعة ومضى عليها بعض الجمل أو الكلمات، فمن هذه النماذج عند قوله تعالى: { وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً}[٣٩٠] ذكر البيضاوي بأنهم أي هؤلاء الناس أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسي، وتخصيصهم؛ لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار، والمنافع فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً؛ مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة، فهو لتعداد أنواع النعمة؛ والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم، وعلية معايشهم منوطة بها؛ ولذلك قدم سقيها على سقيهم،كما قدم عليها إحياء الأرض؛ فإنه سبب لحياتها وتعيشها، وقرئ «نسفيه» بالفتح وسقى وأسقى لغتان، وقيل أسقاه جعل له سقياً «وَأَنَاسِيَّ» بحذف ياء وهو جمع إنسي أو إنسان كظرابي في ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء. فكان جهود الأنصاري حول هذا الشرح عند قوله: (وسائر الحيوانات)؛ أي باقيها المفهوم من التقييد بالأنعام كالطير والوحش، فبين المفهوم من التقييد. وبين مافي بعض النسخ عند قوله: (وعامة منافعهم وعليه مقامتهم منوطة) قال: وفي نسخة "منوط" و (بها) أي الأنعام... وبيان العطف ورده إلى المعطوف كقوله: {وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً}[٣٩١]، فالبيضاوي بيّن الصرف بقوله: صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما، وعن ابن عباس رضي الله عنه: «ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية» أو في الأنهار والمنافع. فلم يقف الأنصاري عند هذا الشرح إلا عند قوله: (أو في الأنهار) فقال الأنصاري: عطف على "في البلدان"[٣٩٢]

---

[٣٨٨] النمل ٨٦/٢٧.

[٣٨٩] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج٤، ص٣٣٠، ٣٣٤.

[٣٩٠] الفرقان، ٤٩/٢٥.

[٣٩١] الفرقان ٢٥/ ٥٠.

[٣٩٢] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج٤، ص٢٥٠.

وذكر القراءات في كلمة (ربَّ العالمينَ) أنه قرئ بالنصب، وقرئ بالرفع كذلك. ويذكر أوجه القراءات ويبن التعليل إن وجد فعند قوله في (الرحمن الرحيم) أنهما قرئا بالنصب والرفع، وعند قوله تعالى {مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ} اختار المصنف قراءة (مَلِكِ) هذه القراءة، فاعترض عليه بأن لا يليق أن يحكم عليها بأنها المختارة من القراءات، وكلا القراءتان متواترتان، فلا ينبغي أن يختار إحداهما أنها المختارة.

وذكرت بعدَّة قراءات: قرئ (مَلْك) بالتحفيف، يعني بالإسكان، وقرئ بلفظ الفعل (مَلَكَ) فتكون جملة خبرية ومحلها النصب، وقرئ (مَالكاً) بالنصب على الحال أو المدح أو على النّداء[٣٩٣].

فيقوم بذكر القراءات مع بيان الترجيح والاعتراض إن كان الاعتراض لازما مناسباً.

فالحاشية ثمينة ممتلئة بالعلوم المتنوعة، وهذه النماذج القليلة المختصرة السابقة فهي جزء بسيط من جهود الشيخ زكريا رحمه الله تعالى من التعلّق والشرح والتوضيح والإضافة والاستدراك وغير ذلك.

المطلب الرابع: تعريف برسالته شرح البسملة والحمدلة

هو كتاب من بين كتب الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى المختصة بالتفسير وعلوم القرآن، ولا يخلو هذا الكتاب من مسائل علميّة جمّة لغويّة أو شرعيّة، تدل على جهوده، والكلام فقط عام عن هذه الرسالة بخصود الجهود الأساسية بدون تفصيلات ونماذج وغير ذلك. ويدور الكلام حول البسملة من جهات أربع وحول الحمدلة من جانبين، وسمّى هذه الرسالة "شرح البسملة والحمدلة".

ركّز فيها الشيخ الأنصاري حول شرح البسملة على أربعة محاور:

المحور الأول: في حرف (الباء) من بسم الله الرحمن الرحيم، وجعل فيه أربعة مسائل؛ المسألة الأولى في متعلقات الباء مع مدخولها، والمسألة الثانية في معنى الباء، والمسألة الثالثة في الحكمة مِن كسرها، والمسألة الرابعة في سبب تطويلها.

المحور الثاني: في لفظة (اسم) من بسم الله الرحمن الرحيم، وجعل فيه خمس مسائل؛ المسألة الأولى في معنى (اسم).

والمسألة الثانية في الابتداء به في البسملة.

والمسألة الثالثة في اشتقاق الاسم.

والمسألة الرابعة في لغات الاسم، والمسألة الخامسة حول حذف ألف اسم خطاً.

---

[٣٩٣] الأنصاريّ، **حاشية فتح الجليل ببيان**، ج١، ص٦٢، ٦٣. عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، البغوي، ***مختصر تفسير البغوي معالم التنزيل***، ج١، ص٥٠، د. السلام، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

المحور الثالث: في لفظ الجلالة (الله) وجعل فيه أربعة مسائل؛ المسألة الأولى في علميّته ومسمّاه، والمسألة الثانية في أصله، والمسألة الثالثة في كونه عربياً أو معرباً، والمسألة الرابعة في الخلاف في كونه الاسم الأعظم أو غيره.

المحور الرابع: في (الرحمن الرحيم) وفيهما مسألتان؛

المسألة الأولى في لفظهما من جهة المعنى والاشتقاق. والمسالة الثانية في سبب تقديم لفظ الجلالة (الله) عليهما، وتقديم (الرحمن) على (الرحيم).

وقد أضاف المصنف جانبان؛ الأول في طائفة من المفاهيم الأصولية ذوات الدلالة اللغوية. والثاني في طائفة من الأصول العقدية[٣٩٤].

المطلب الخامس: نموذجا من أقواله في التفسيرفي منحة الباري بشرح صحيح البخاري

من ميزات العالم أنك ترى في آثاره مصنفات أو شروح أو مختصرات أو غير ذلك من الآثار التي يتركها خلفه زيادة في الخير الجاري المستمر بعد حياته، وهذا من الكتب التي ورّثها الأنصاري وهو شرح من شروحاته فإنَّ كتاب "منحة الباري بشرح صحيح البخاري" هو عمل يخدم السنة النبوية الشريفة فهي تُعدَّ من أفضل القربات والطاعات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه تبارك وتعالى، وشرح نفيس وسفر عظيم جمُّ الفوائد للشيخ زكريا الأنصاري. وقال المؤلف الأنصاري رحمه الله تعالى بشأن عمله في هذا الكتاب: (فقد سَنَحَ لي أَنْ أضع عَلَى صحيحِ الإمامِ الحافظِ العالمِ العلامةِ مُحمد بْنِ إسماعيل البخاريّ، طيَّبَ الله ثراه، وجَعَلَ الجنَّةَ مأْواه شرحًا يحلُّ صِعَابَهُ ويكشفُ عن وَجْهِ معانيه نِقَابَهُ، ويبرزُ عن مبانيه إعرابَهُ، ويغني عن غيرهِ طلابَهُ، ضامًّا إليه من الفوائد المستجدات، والقواعدِ المحَّرراتِ ما تَقَرُّ به أعينُ أُولي الرَّغباتِ، راجيًا بذلك جزيلَ الأجرِ والثوابِ من فَيْضِ مولانا الأكرمِ الوهَّابِ، وسميتُه: "مِنْحةُ الباريّ بِشَرْحِ صَحيح البُخاريّ"، واللهَ أسألُ أن يجعله خالصًا لوجههِ الكريمِ، ووسيلةً للفوزِ بجنَّاتِ النعيم)[٣٩٥].

وهذا الكتاب له أبواب كثيرة في شتى العلوم ومنها ما يختصُّ في التفسير، وهو كتاب التفسير عند الإمام البخاري. ومن الأمثلة على ما في هذا المصنف من التفسير:

---

[٣٩٤] الأنصاري، ***شرح البسملة والحمدلة***، ص٥٥، تح، ودراسة، عبد الملك سالم عثمان الجبوري وعبد السلام مرعي جاسم المولى، جامعة الموصل ـ كلية التربية ــ قسم علوم القرآن.

[٣٩٥] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج١، ص٤١.

قوله "كتاب التفسير": التفسير يعني تفسير لألفاظ القرآن الكريم، والتفسير لغة: البيان، واصطلاحاً: هو علم يعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغير ذلك، والفائدة من هذا العلم: الاطلاع على عجائب كلام الله تعالى، والدلالة والترغيب على امتثال أوامره.[٣٩٦]

أقواله فيما يتعلّق بسورة الفاتحة: قوله تعالى (الرحمن الرحيم): هما اسمان من الرحمة، مشتقان من الرحمة. والرحمة لغة: هي رقة في القلب تقتضي التفضيل، والتفضيل غاية الرحمة؛ فأسماء الله تعالى الحسنى إنما تؤخذ من الغاية ـ وهي الإنعام ـ دون المبدأ، والرحمن أبلغ من الرحيم؛ وذلك لأن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى، كمثل قَطَعَ وَقَطَّعَ. وبسط الكلام في هذا أوضحه في كتابه "شرح البهجة". و(الرحيم) هو فعيل بمعنى فاعل، ورحيم في أصل المعنى بمعنى راحم، وفعيل أبلغ من فاعل[٣٩٧].

ومثل هذا الكلام ورد كثيراً عند المصنفين في كتب التفسير وغيرها. قال الإمام البخاري: وسميت الفاتحة بأم الكتاب على أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة. والدين: هو الجزاء في الخير والشر، وكما تدين تدان. وقال مجاهد: {الدين} الحساب، و{مدينين} محاسبين.

وقد أوضح الأنصاري بأنها أم الكتاب وأم القرآن، كما قرن بينهما الإمام الترمذي في رواية صححها. ولأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة.

واعترض على هذا بأنه إنما يناسب فاتحة الكتاب لأم القرآن لا أم الكتاب، قلت: بل يناسبه أيضا لأن المعنى: إن الفاتحة مبدأ ما ذكر، كما أن الأم مبدأ الولد؛ والفاتحة تؤمّ غيرها كالرجل عندما يؤم غيره فيتقدّم عليه. ولفاتحة الكتاب أربعة وعشرون اسما، ذكر منها البيضاوي أربعة عشرة، وزاد غيره عليها عشرة، وقد بين ذلك الأنصاري في حاشيتيه على تفسير البيضاوي.

و{الدين}) في قوله تعالى: {مالك يوم الدين} معناه: الجزاء في كلٍّ من الخير والشر. و(كما تدين تُدان) أي: ما تفعله تُجازى به {بالدين} كما في قوله تعالى: {كلا بل تكذبون بالدين}[٣٩٨] يعني (بالحساب) أي يوم القيامة. وقوله تعالى {مدينين} هو كقوله تعالى: {فَلَوْلَآ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ}[٣٩٩] أي: محاسبين: أي في يوم الحساب.

---

[٣٩٦] الأنصاري، ***منحة الباري،*** ج١، ص٥٩.

[٣٩٧] الأنصاري، ***منحة الباري،*** ج١، ص٥٩. **الأنصاري، *الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، ج١*** ، ص٣، في المقدمة، د. ط، الميمنية، ت/ ط *لا يوجد*، عدد الأجزاء:٥، وبعده ***حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي*** (ت:٩٩٢ه)، وبعده ***حاشية العلامة الشربيني.***

[٣٩٨] الانفطار،٩/٨٢.

[٣٩٩] الواقعة، ٨٦/٥٦.

وعند قوله سبحانه وتعالى: {غير المغضوب عليهم ولا الضآلين} قال: المغضوب عليهم هم اليهود، وقد خص اليهود بالغضب لأنهم علموا وتركوا، بخلاف النصارى. والضّالين هم النصارى، لعدم اهتدائهم إلى الطريق؛ فهم لم يأتوا الأمر من بابه[٤٠٠].

ومن أقواله في سورة البقرة ما ذكره عند قوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها}[٤٠١] يعني: أن الله تعالى خلق في آدم علماً ضرورياً، أو أنه علمه بأن ألقى في روعه.

وأورد المصنف باباً فقال: باب قوله {ما ننسخ من آية أو ننسها}[٤٠٢]. ذكر الأنصاري عند هذه الآية حركات الكلمة والمعنى لهذه الآية ووجّه القراءات فيها.

وهي باب قوله: {ما ننسخ من آية} هي بفتح أوله وثالثه، يعني نُنزِل حكمها، وفي قراءة: بضمّ أوّله وكسر ثالثه (نُنسِخ) أي: نأمرك أو نأمر جبريل بنسخها. {أو ننسها} بفتح أوله وثالثه وبالهمز أي: نؤخّر نسخها ونُنزِل بدلها، وجاءت بقراءة أخرى من دون همز، وفي قراءة بضمّ أوّله وكسر ثالثة؛ من النسيان. فهما بمعنى الترك أو المحو، يعني ننسها: نتركها، أي: نمحها من قلبك. قال: وبسط الكلام في ذلك تجده في كتب التفسير[٤٠٣].

وفي قوله سبحانه وتعالى: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}[٤٠٤]، يبين سبب النزول فقال: نزلت في النفقة. فإن الله لما أعز دينه وكثر ناصروه قالت الأنصار فيما بينهم: لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها، فنزلت الآية[٤٠٥].

ذكر الأنصاري هنا تعدد الأقوال في نسخ مختلفة، كمثل اسم السورة فقال: في نسخة جاءت اسم السورة: سورة قل أعوذ برب الفلق. وفي نسخة آخرى ذكرت باسم: سورة الفلق.

وقال في {بسم الله الرحمن الرحيم} في هذه السورة ساقط من النسخة.

و(الليل) أي: شديد الظلام، و(إذا وقب) من الوقوب

قال مجاهد: "الفلق: الصبح، و {غاسق} [الفلق: ٣]: الليل، {إذا وقب} [الفلق: ٣]: غروب الشمس، يقال: أبين من فرق وفلق الصبح، {وقب} إذا دخل في كل شيء وأظلم".

(سورة: {قل أعوذ برب الفلق}) في نسخة: "قل أعوذ برب الفلق" وفي أخرى: "سورة الفلق". (بسم الله الرحمن الرحيم) ساقطة من نسخة. ({غاسق}) أي: (الليل) شديد الظلام (إذا وقب) من الوقوب و (إذا دخل في كل شيء وأظلم) أي: لغروب الشمس أو القمر[٤٠٦].

---

[٤٠٠] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج٧، ص٤٠٥،٤٠٤.

[٤٠١] البقرة، ٣١/٢.

[٤٠٢] البقرة، ١٠٦/٢.

[٤٠٣] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج٧، ص ٥١٥.

[٤٠٤] البقرة، ١٩٥/٢.

[٤٠٥] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج٧، ص٤٥٠.

وهكذا يوضح الأنصاري ويبين معنى الكلمات وما سقط من النسخ والأقوال الساقطة من النسخ التي لابد من ذكرها ولا يكون هذا إلا من صاحب العلم والخبرة بذلك. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[٤٠٦] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج٨، ص٢٧٠.

المطلب السادس: المصادر التي اعتمد عليها في التفسير

عُرف الأنصاري بالإكثار من التأليف في مختلف العلوم؛ ولكنه لم يبيّن جميع المصادر التي اعتمد عليها، وإنما نصّ في بعض مصنفاته أنه صنف هذا الكتاب واختصره مِن كتب العلماء المحققين الذين سبقوه.

وبعد التأمل فيما صنّفه نلحظ أنه قد تأثر بجملة من المصادر فاستفاد منها وجعلها مرجعاً له، وقد يقتبس من بعضها، ومن هذه المصادر:

كتاب "مشكل القرآن" لابن قتيبة المتوفى (٢٢٦هـ). وهو من أقدم الكتب في هذا الموضوع، لما يتميّز به مؤلّفه من قوة في الحجة وغزارة في العلم، ومن خلال المطالعة في الكتاب يتبين أن كتاب ابن قتيبة يُعدّ أحد المصادر التي اعتمد عليها الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى.

ومنها كتاب "البرهان" للإمام الكرماني، حيث نقل نصوصاً منه. يقول الكرماني في البرهان: في قوله سبحانه وتعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والذين هادُوا والنَّصارَى والصَّابِئِينَ}[٤٠٧] وقال في سورة الحج {والصَّابِئِينَ والنَّصَارَى}[٤٠٨]، وأمّا في سورة المائدة فقد قال {والصَّابِئُونَ والنصارى}[٤٠٩]، وذلك لأنّ النصارى مقدّمون على الصابئين في الرتبة لأنهم كانوا قبلهم فقدّمهم في الحج، وراعى في سورة المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ وأخّرهم في التقدير؛ لأن تقديره في المائدة: والصابئون كذلك. ومثل ذلك قال الشاعر:

فإن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب [٤١٠]

أما الشيخ الأنصاري فإنه يقول عن ذلك: فإن قلت لم قدَّم النَّصارى على الصابئين هنا، وعكس في سورتي المائدة والحج؟ قلت: لأن النصارى مقدَّمون على الصابئين في الرتبة، وذلك لأنهم أهل كتاب فقدموا في البقرة لكونها أولاً، والصابئون مقدمون على النَّصارى في الزمن فقُدموا في سورة الحج، وروعي في المائدة المعنيين فقدِّموا في اللفظ وأُخّروا في المعنى، إذ التقدير: والصابئون كذلك، كما في قول الشاعر:

فَمنْ يَكُ أَمْسَى في المدينةِ رَحْلُه فإني وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ[٤١١]

---

[٤٠٧] البقرة: ٢/ ٦٣.

[٤٠٨] الحج: ٢٢/ ١٧.

[٤٠٩] الحج: ٢٢/ ٦٩.

[٤١٠] محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: ٥٠٥هـ)، ***أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان***، تح: عبد القادر أحمد عطا وأحمد عبد التواب عوض، د. الفضيلة، ص٧٥.

[٤١١] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ص٣٠.

إذ التقدير: فإني لغريبٌ بها وقيَّار كذلك[٤١٢]. ومنها:

كتاب "كشف المعاني" لابن جماعة؛ وأما أثر ابن جماعة في "فتح الرحمن" فهو موافق لتوجيه الأنصاري؛ وكتاب "فتح الرحمن" يدين بالفضل لكتاب البرهان للكرماني؛ والموافقة بينهما توجيه ابن جماعة لتقديم المغفرة على العذاب في آية البقرة {فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ}[٤١٣]، وفي سورة المائدة قدّم العذاب على المغفرة {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ}[٤١٤]، يقول ابن جماعة: إن آية البقرة وغيرها جاءت ترغيباً في المسارعة إلى طلب المغفرة، وإشارة إلى سعة مغفرة الله تعالى ورحمته، وأما آية المائدة فقد جاءت عقب ذكر السارق والسارقة، فناسب ذكر العذاب، لأنه لهم في الدنيا والآخرة[٤١٥].

أما شيخ الإسلام الأنصاري فإنه يقول عن هذا الاختلاف: قدم المغفرة في هذه السورة وغيرها فأمّا في سورة المائدة فإنه قدم العذاب، لأنها في سورة المائدة نزلت بحق السارق والسارقة، وعذابهما إنما يقع في الدنيا فلذلك قدم العذاب، فناسب تقديم العذاب على المغفرة، وفي غيرها قُدّمت المغفرة رحمة من الله تعالى للعباد وترغيباً لهم إلى المسارعة إلى موجباتها.[٤١٦] فيكون توجيه الشيخ الأنصاري موافقاً لتوجيه ابن جماعة، ويكون بنص الكرماني الذي يقول: {يغفر} مقدم في هذه السورة وفي غيرها، إلا في سورة المائدة فإنها وضِعت {يعذّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ}[٤١٧] وذلك لأنها نزلت في حق السارق والسارقة وعذابها يقع في الدنيا؛ فقدم لفظ العذاب، وأمّا في غيرها فقد قدّم لفظ المغفرة رحمة منه سبحانه وترغيباً للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة[٤١٨]. وهذه المصادر التي لوحظت في كتابه فتح الرحمن تظهر لمن شابهت المصنفات السابقة لهذا المصنف.

ويظهر في حاشيته على البيضاوي من خلال ماجاء به محقق الكتاب ورد الشروح والتعريفات إلى مصادرها فيكون رجوع الأنصاري إلى المصادر على حسب مايقتضيه الحا ل يرجع إلى كتب الحديث إذا مرت بحديث يذكر سنده من كتب الحديث إما صحيح البخاري أو مسلم أو سنن الترمذي وغيرهم[٤١٩]، وفي اللغة يرجع إلى المعاجم كالقاموس المحيط والمحكم والمحيط في اللغة الصحاح وغيرها من كتب اللغة في توضيح الكلمة لغويا نحو قوله في (من

---

[٤١٢] المصدر السابق نفسه، ص ٢٧.
[٤١٣] البقرة: ٢/ ٢٨٤.
[٤١٤] المائدة: ٥/ ٤٠.
[٤١٥] ابن جماعة، ***كشف المعاني***، ص ١٢٣.
[٤١٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٤٩.
[٤١٧] المائدة: ٥/٤٠.
[٤١٨] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٤٩.
[٤١٩] الأنصاري، ***فتح الجليل***، ج١، ص٦٢٢.

أفنان النعيم) قال: أي: أنواعها، والأفنان جمع فنن جمع فنٍّ[٤٢٠]. وإلى كتب التفسيرللرازي واللدر المصون للسمين الحلبي والكشاف للزمخشري والطبري والبيضاوي والواحدي وغيرهم، وفي التاريخ كشذور الذهب لابن هشام، إلى الدواوين كديوان زهير بن أبي سلمى[٤٢١].

سبق في هذا المبحث الكلام حول جهود شيخ الإسلام الأنصاري التفسيرية والآثار التي ورثها للأمة في التفسير، من خلال ذكر مصنفاته التفسيرية والوقوف مع بعضها للتعرف على الجهود فيها، وقد تبين من خلال التحليل والنظر في بعض الكتب السابقة أنه سلك مسلك السابقين واستفاد من جهودهم مع جهوده فجاء في حلة جديدة قدمها بين يديه يجد أثرها الطيب عند الله تعالى، وترك للأمة أثرا عظيما وجهودا كبيرة يستفاد منه مدى العصور.

[٤٢٠] الأنصاري، ***فتح الجليل***، ج١، ص٢٣٢.
[٤٢١] الأنصاري، ***فتح الجليل***، ج١، ص٢٣٠.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير

لم يكن المفسرون لكتاب الله تعالى لا من الصحابة -رضي الله عنهم- ولا من الناس من بعدهم أيضًا على درجة واحدة في فهم القرآن الكريم، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، فقد كان يشكل المعنى على بعضهم ما لا يشكل على بعضهم الآخر.

ويرجع ذلك إلى تفاوتهم في معرفة اللغة ومعرفة ما يحيط بنزول الآية من أحداث وملابسات كأسباب النزول وغيره، زد على ذلك تفاوتهم في القدرة العقلية وهذا من شأن البشر كلهم.

حتى لو تساوت الأذهان عندهم في إدراك معاني القرآن لبطل التنافس وخمدت الهمم لزوال ما يحملهما على القدح وإعمال الذهن والتفكير والتدبر، لكن الله جلت حكمته جعل ألفاظ القرآن تحتمل أحيانًا معاني كثيرة وأمر الناس بالتدبر والتفكر فيها وحث على ذلك فتنافس الصحابة وسائر المسلمين من المفسرين من بعدهم في تفسيرها لينالوا الأجر العظيم والثواب الجزيل[٤٢٢].

مصادر ومناهج التفسير:

إنَّ المناهج في التفسير التي يعتمد عليها المفسرون في التفسير، تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من مصادر التفسير، وإنَّ المصادر للتفسير للقرآن أربعة مصادر:

أولها: تفسيرالقرآن بالقرآن.

ثانيها: التفسير بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: التفسير بالمأثور من أقوال الصحابة الكرام، وتلاميذهم الذين اتبعوهم بإحسان، ونقلوا تفسيرهم؛ كمجاهد الذي نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما.

الرابع: الأخذ بمطلق اللغة؛ إذ هي في ذاتها أداة التعبير، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، ولا يمكن الاستغناء عنها في أيِّ منهاج من مناهجه، فهي لا تعد مصدرًا مستقلًّا؛ إذ هي تدخل في كل المصادر.

الخامس: الرأي، وهو يعتمد ابتداءً على اللغة، وعلى مصادر الشريعة ومواردها ومراميها، وغاياتها، وأسرار القرآن.

ولا شكَّ أنَّ اللغة هي الأساس الأول لكل هذه المصادر، ولا نقصد باللغة ما تومئ إليه المعاجم فقط، فإنَّ تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن أن يكون مخالفًا للعربية ومعانيها؛ لأنه العربي الذي ينطق بجوامع الكلم، وليس في الكلام العربي ما يكون أصدق مصدر للاستعمال العربي الصحيح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم[٤٢٣].

---

[٤٢٢] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، د. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص١٥٠.

[٤٢٣] الذهبي، ***التفسير والمفسرون***، ج١، ص ١٨٠. وينظر، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، ***المعجزة الكبرى القرآن***، د. الفكر العربي، ص، ٣٩٧.

فبيان المنهج له أهمية من حيث أنه يُعطي صورة مجملة عن العمل الذي سار وفقاً لمنهج ما؛ فالمنهجية مهمّة لأيّ عمل كي تتجسّد النتائج والفوائد وتتضح مميّزتها، وخاصة إن كان هذا العمل متعلقٌ بكلام الله تعالى.

وفي هذا المبحث توضيحٌ لمنهج الشيخ الأنصاري في تفسيره بصورة عامّة، ولتوضيح هذا المبحث وبيان منهج الشيخ زكريا الأنصاري في التفسير توزّع هذا المبحث على عدّة مطالب.

يفسِّر الشيخ رحمه الله تعالى الآية بأسلوب شيّقٍ بطريقة السؤال والجواب؛ فقد اتبع طريقة السؤال والجواب بصيغة: إن قلتَ قلتُ.

وقد أكثر منها الأنصاري في كتبه، وهي طريقة جميلة لترسيخ المعنى في الذهن والتشويق للتعليم، وقد سلك هذه الطريقة مَن سبقه مِن العلماء كالإمام الزمخشري في الكشاف والإمام الرازي في كتاب المسائل وأجوبتها.

ومن خلال الأمثلة يظهر لنا الطريق الذي سلكه الشيخ ببعض مصنفاته وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

يقول الرازي: فإن قيل كيف قال {وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}[٤٢٤]، فاعترفوا بنبوّته ـ إذ الذكر القرآن الذي نزل عليه ـ ثم وصفوه بالجنون؟ قلنا: إنما قالوا ذلك استهزاءً وسخرية لا تصديقاً واعترافاً كما قال قوم شعيب عليه السلام: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}[٤٢٥]، ونظائر ذلك كثير. وفيه إضمار تقديره: يا أيها الذي تدّعى أنك نزل عليك الذكر، ولم يبتعد الأنصاري عن تفسير الرازي وأسلوبه شيئاً كما في قوله تعالى: {وَقَالُواْ يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}[٤٢٦] قال: إن قلت كيف وصفوه بالجنون مع قولهم {نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ} لاعترافهم بنبوته؟ فالجواب من الأنصاري قلت: إنما قالوا ذلك استهزاءً وسخرية لا اعترافاً، كما قال فرعون لقوم: {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ}[٤٢٧] أو فيه حذفٌ؛ أي يا أيها الذي يرى أنك نزّل عليك القرآن[٤٢٨]. مثل قول فرعون لقومه: {**إِنَّ** رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ}[٤٢٩].

---

[٤٢٤] الحجر:٦/١٥.
[٤٢٥] هود:١١/ ٨٧.
[٤٢٦] الحجر،٦/١٥.
[٤٢٧] الشعراء، ٢٧/٤٤.
[٤٢٨] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ***مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي القرآن***، تح، مصطفى البابي الحلبي، د. بيروت، ص، ١٦٧، دلولة قادري، **الفكر اللغوي عند الشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري في**

فيلاحظ أن نصّ الرازي ونصّ الأنصاري مشتركان في المغزى والمرمى متفقان في الألفاظ مع الطريقة الجميلة التي اعتمدوها كليهما طريقة السؤال والجواب، ومن خلال هذا التحليل والمقارنة بين النصين يتضح منهج الأنصاري الجميل المفيد من بين المناهج السابقة من قبله.

قال الرازي رحمه الله تعالى في سورة "ق": فإن قيل كيف قال الله تعالى {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}[٤٣٠] والخطاب للواحد وهو مالك خازن النار؟ وللجواب عن ذلك وجوه كما يلي:

أحدها: ما قاله المبرد إنّ تثنية الفاعل أُقيمَت مقام تثنية الفعل لتأكيد اتّحادهما حكماً، فكأنه قال: ألق. ألق. ونظيره قول امرئ القيس: قفا نبكِ أي: قف. قف.

الوجه الثاني: أن العرب كثيراً ما يرافق الرجل منهم اثنين، فكثر على ألسنتهم خطاب الاثنين؛ فقالوا خليليَّ وصاحبيَّ وقِفا واسمرَا ونحو ذلك.

قال الرازي: وأنشدني بعضهم فقال:

فَقُلْتُ لِصَاحبي لا تَحْبِسَانَا نَبْرَحُ أُصُولَه واجْتَزَّ شِيحَا

فقوله (لا تحبسانا) والخطاب لواحد، بدليل قوله لصاحبي.

وقال امرؤ القيس:

خَلِيليَّ مَرَّا بي عَلى أمِّ جندُبٍ نقضِي لُباناتِ الفؤادِ المعذَّبِ[٤٣١]

الوجه الثالث: أنه أمر الملكين في قوله تعالى: {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}[٤٣٢]. وأسهب الرازي في فيتابع صيغة السؤال، فيقول فإن قيل: كيف يقول الله تعالى {غير بعيد} ولم يقل غير بعيدة مع أنه وصف للجنة، قلنا: غير بعيد لأنه على زنة المصادركالصليل والزبير، وفالمصادرإنما يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث.

وقال الأنصاري عند قوله تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}[٤٣٣] إن قلت كيف ثنّى الفاعل مع أنه واحدٌ وهو خازن النار؟ قلت: بل الفاعل مثنّى، وهما الملكان اللذان مرّ

كتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس قي القرآن، دراسة - (رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر، ٢-١١، ٢-١٢. الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١٦١.

[٤٢٩] الشعراء، ٢٧/٤٤.

[٤٣٠] ق:٢٤،٥٠.

[٤٣١] الرازي، ***مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي القرآن*** ص ٣٢٣.

[٤٣٢] ق: ٢١/٥٠.

[٤٣٣] ق: ٢٤/٥٠.

ذكرهما في قوله: {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}[٤٣٤] أو أن تثنية الفاعل أقيمت مقام تكرار الفعل للتأكيد واتحادهما معا، فكأنه قال: ألق. ألق، كقول امرئ القيس: قفا نبك[٤٣٥].

وفي هذين النصيّن السابقين تجد أنها متحدان في كيفية السؤال والجواب وتعدّد الوجوه المحتملة في تأويل الآية، والفارق بينهما الإسهاب عند الرازي وعدمه عند الأنصاري عليهما من الله الرحمة والرضوان.

واتبع الأنصاري منهجية الزمخشري، وهي منهجية مشوقة ترسخ المعلومات ومشوقة بطرقة السؤال والجواب، فقال الأنصاري: فإن قلتَ: كيف قال تعالى {هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ}[٤٣٦] وهذا إنما فيه تحصيلُ الحاصل، لأن المتقين مهتدون؟ قلتُ ـ أي الأنصاري ـ إنما صاروا متَّقينَ باستفادتهم الهُدَى من الكتاب، أو المراد بالهدى الثباتُ والدوام عليه. أو أراد الفريقين واقتصر على المتقين، لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب، وكذلك للإيجاز كما في قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُون}[٤٣٧]، وقال الزمخشري عند قوله تعالى {هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ}[٤٣٨] فإن قلت: فلم قيل {هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ} والمتقون مهتدون؟ قلت: هو كقولك للعزيز المكرّم: أعزّك الله وأكرمك، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته، كقوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}. وهناك وجه آخر، وهو أنه سمّاهم عند مشارفتهم، لاكتساء لباس التقوى متّقين، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل قتيلاً فلهُ سَلَبُهُ)[٤٣٩]. وبهذا يكون الأنصاري سلك مسلك الزمخشري وأسلوبه في تفسيره المميزة.

وسلك في تفسيره منهج وطريقة الإمام الكرماني في كتاب "البرهان في متشابه القرآن"، وطريقة ابن جماعة في كتاب "كشف المعاني"، متّبعاً أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات.

ويتضح ذلك عند التأمل في تفسير الشيخ زكريا مثل "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" نجد أنه تأثّر بكتاب "البرهان" للكرماني من الناحية المنهجية ومن النماذج على ذلك:

---

[٤٣٤] ق: ٢١/٥٠.
[٤٣٥] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ٢٩٣.
[٤٣٦] البقرة، ٥/٢.
[٤٣٧] النحل: ٨١/١٦. الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص، ١٨.
[٤٣٨] البقرة: ٥/٢.
[٤٣٩] الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ***الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، (ت ٥٣٨ هـ) تح، ودراسة، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، ج،١ ص، ١٤٦.

يقول الكرماني في "البرهان" عند قوله تبارك وتعالى: {إِنَّ الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ}[٤٤٠] وقال في الحج {وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى}[٤٤١] وقال في المائدة {والصابئون والنَّصارَى}[٤٤٢] وذلك لأنّ النَّصارى مقدّمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب فقدمهم في البقرة، وأما الصابئون فمقدّمون على النَّصارى في الزمان لأنهم كانوا قبلهم فقدّمهم في الحج، وراعى في سورة المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير، لأن تقديره في المائدة: والصابئون كذلك، كما قال الشاعر:

فإن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيّار بها لغريب[٤٤٣]

وهكذا الأنصاري رحمه الله تعالى لايزيد على ما قاله الزمخشري في تبيان هذه الآيات فيقول عند قوله تعالى: {إِنَّ الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ}[٤٤٤] فإن قلتَ: لمَ قدَّم النَّصارى على الصَّابئين هنا وخالف في المائدة والحجّ؟

قلتُ: لأن النصارى مقدَّمون على الصَّابِئِين في الرتبة لأنهم أهلُ كتابٍ، فقُدِّموا في "البقرة" لكون البقرة مثبتة أوَّلاً في المصحف.

والصَّابئون مقدَّمون على النَّصارى في الزمن، فقُدّموا في "الحَجِّ"[٤٤٥]، ورُوعي في "المائدة" [٤٤٦]المعنيان، فقُدّموا في اللفظ وأُخِّروا في المعنى، إذِ إنّ التقدير في المائدة هو (والصابئون كذلك)، ومثل ذلك قال الشاعر:

فإن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

إذ التقدير: فإني لغريب بها وقيَّار كذلك غريب[٤٤٧].

مما سبق يتضح منهج الأنصاري في المشابهة لمنهج الرازي والزمخشري الكرماني في أسلوبهم

فقد تعرّض لذكر الآيات المتشابهات المختلفة، بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر أو غير ذلك، مع بيانه لسبب التكرار. وهو نوع من أنواع وجوه الإعجاز في القرآن الكريم[٤٤٨]، وسلك في بعض مصنفاته

---

[٤٤٠] البقرة:٦٢/٢.

[٤٤١] الحج:١٧/٢٢.

[٤٤٢] المائدة: ٦٩/٥.

[٤٤٣] الكرماني، ***أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان***، ص٧٥.

[٤٤٤] البقرة:٦٢/٢.

[٤٤٥] {**وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ**}، الحج:١٧/٢٢.

[٤٤٦] {**والصابئون والنَّصارَى**}، المائدة: ٦٩/٥.

[٤٤٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، تح، الصابوني، ص٢٧.

منهجا خاصا به؛ فمثلا لا يُعدّ كتابه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" تفسيراً بالمعنى التي تدلّ عليه كلمة التفسير، إذ أنه لا يتناول في تفسير الآيات آيةً آية، وإنما يتناول من كل سورة ما فيها من الآيات التي أشكلت على العامة وعلى بعض الخاصة، مبيناً ـ جهد طاقته ـ وجه الصواب فيها لا وجه الشبه بينها وبين ما يناظرها من الآيات الأخرى[٤٤٩]، وهذا منهج فريد سلكه الشيخ في تفسيره.

لقد سبق الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى الكثيرُ من المفسرين الذين اشتغلوا بالملتبسِ المتشابهِ في القرآن الكريم؛ ولكنه جمع شتات هذا الفنّ من بطون كتب الذين سبقوه، فهذّب ورتّب وزاد ما غاب عنهم، وأنه من الرد الحقيقي على الملحدين الطاعنين في بلاغته والرد على المفترين المشيعين فيه من الأباطيل الكاذبة ما يسكتهم، وبعبارات واضحة سهلة بعيدة عن التكلف فيكون صالحاً لكل من يشتغل بالقرآن الكريم حفظا ودراسة وغير ذلك[٤٥٠]، وهذا سبب لإقبال أهل العلم على مطالعة تفسيره.

ويتعرّض لوجوه القراءات وينسبها إلى أصاحبها، مع بيان تفسيرها والترجيح للأقوى منها، إضافة إلى ما يتسنّى له من الشرح والبيان[٤٥١]. وكذلك يخرّج الأحاديث ويبيّن درجتها.[٤٥٢] ويبيّن الشواهد الشعرية منسوبة إلى قائلها[٤٥٣] في حاشيته على البيضاوي، وفي تفسيره يذكر الشواهد بدون ذكر القائل إلا أن المحقق يخرج بعضها[٤٥٤]. وعندما يمرّ بآيات الأحكام يتعرّض للمسائل الفقهية ويُرجّح الأقوى منها مقروناً بالدليل[٤٥٥]، وهذه منهجية تدل على سعة فكره وعلى تنوع الأدلة التي استدل بها وكيفية التعامل مع كل دليل.

ويظهر مِن خلال منهجه في حاشيته "فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل" أنه يتعرض للكثير من المسائل العلمية المختلفة، ويبّين رأيه فيها مرجحاً لأصوبها بالدليل المناسب، مما يُنبئ عن كونه متبحّراً في مختلف أنواع العلوم، ولذلك تبوء هذه المنزلة من العلم.

---

[٤٤٨] وعند ابن عاشور أنّ التقديم والتأخير وصياغتهما في جمل القرآن لون من ألوان الإعجاز، ويفصل القول فيه فيقول: (وإن للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القرآن دقائق عجيبة كثيرة لا يحاط بها). من كتاب: ***منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير***، لنبيل أحمد صقر، د. المصرية القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

[٤٤٩] دلولة قادري، ***الفكر اللغوي عند الأنصاري***، ص ٥٣،٥٥.

[٤٥٠] دلولة قادري، ***الفكر اللغوي عند الأنصاري***، ص٥٨.

[٤٥١] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل***، ج٥، ص٣٤١.

[٤٥٢] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص٢٨٣

[٤٥٣] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص٢٨٠.

[٤٥٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٢٥٠.

[٤٥٥] الأنصاريّ، ***حاشية فتح الجليل***، ج١، ص١٤

المطلب الأول: منهجه في تفسير القرآن بالقرآن

من أول الطرق وأصحها وأهمها في تفسير القرآن الكريم هو أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما كان مختصرا في موضع فقد بُسِطَ في مكان آخر، فإن لم يفِ ذلك بالغرض فعلى المفسّر أن ينظر في السنة، فإنها مفسرة وموضّحة للقرآن الكريم، وفي ذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كلّ ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا} ٤٥٦ فالتفسير بالقرآن الكريم لا يتطرّق إليه الخطأ مطلقاً ولا يكون عليه الاعتراض إن جرى على أصوله وقواعد التفسير، فالغلط يكون من قبل المفسر٤٥٧، وهذه طريقة التفسير بالمأثور ولها مآثرها.

والشيخ زكريا كغيره من المفسرين يضع نصب عينيه أولوية ما يجب على المفسّر بالنظر في تفسير القرآن بالقرآن أوّلاً؛ إذ إنّ هذا الجانب يُعدّ الخطوة الأولى لإدراك المعنى المراد من النصّ. ثم يليه من حيث الأهمّية تفسير القرآن بالسنة النبوية المشرفة.

ومن المنهجية المتبعة لدى الأنصاري في تفسيره، الجمع بين مايتوهم في الكلمات القرآنية أنه مختلف، كخلق آدم من تراب كما ذكر في بعض الآيات، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فقد ذكر هذا للأطوار التي مر بها آدم عليه السلام من مبدأ خلقه حتى نفخ الروح فيه، كقوله تعالى: {خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ}[٤٥٨]، يعني من طينٍ يابس لم يُطبخْ، وله صلصلةٌ أي صوتٌ إذا نقر. وقال في الحِجْر: {من صلصالٍ من حَمَإٍ مسنونٍ} أي من طينٍ أسود متغيّر، وقال في الصافات: {من طينٍ لازبٍ} أي لازم يلصق باليد، وقال في آل عمران: {كمثلِ آدمَ خَلَقَهَ من تراب} بين الأنصار هذا الذي ما يوهم أنه مختلف بأن الآياتُ كلُّها متفقةُ المعنى، لأنه تعالى خلقه من تراب، ثم جعله طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالًا[٤٥٩].

وإن الناظر في القرآن المبين يجد أنه قد اشتمل على الإطناب والإيجاز، فما أُوجِزَ في موضع يُبْسطَ في موضعٍ آخر. وكذلك اشتمل على الإجمال والتفصيل؛ فما أجمل في موضع نجده مبيّناً في موضع آخر. واشتمل أيضاً على العموم والخصوص، فما كان عاماً في آية قد

---

[٤٥٦] النساء: ١٠٥/٤.

[٤٥٧] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، ***مقدمة في أصول التفسير***، د. مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط ١٤٩٠هـ ـ ١٩٨٠م، ينظر، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ) ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، نشر: مكتبة السنة، ج١، ص٨٤.

[٤٥٨] الرحمن، ١٤/٥٥.

[٤٥٩] الأنصاري، فتح الرحمن، ص ٣٠٢.

تخصّصه آيةٌ أُخرى، وما أُجْمِلَ في موضع ـ إن لزم الأمر ـ نجده مبيَّناً في غيره، وما كان مطلقاً في نصٍّ قد يلحقه التقييد في نصٍّ غيره. وهذا ما يُسمّى في كتاب الله تعالى بـ مطلق القرآن ومقيده[٤٦٠].

وبعض الأحكام التشريعية ترد تارة مطلقة في فرد شائع لا يتقيد بصفة أو شرط، وتارة أخرى تأتي مع أمر زائد على حقيقته الشاملة لجنسه ـ من صفة أو شرط ـ وإطلاق اللفظ مرة وتقييده أخرى من البيان العربي[٤٦١]، والعموم والخصوص من أسباب الاختلاف بين المفسرين، فقد يختلفون في عموم لفظ أو خصوصه. مثال ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ}[٤٦٢].

وقد اختلف العلماء من أهل التأويل في هذه الآية على من نزلت، وهل وفي الحكم بها هل نسخ.

قال الإمام الطبري: " اختلف أهل التأويل في هذه الآية: هل نزلت مراد بها كل مشركة، أو مراد بحكمها بعض المشركات دون بعض؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شيء أو لا؟ فقال بعضهم: نزلت مرادًا بها تحريم نكاح كلّ مشركة على كلّ مسلم من أيّ أجناس الشّرك كانت، عابدةَ وثنٍ كانت أو يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من المشركين؛ ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب بقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} إلى قوله: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ}[٤٦٣]،وهذه من الآيات التي اختلف فيها علماء التفسير.

وروى الطبري بسنده عن عكرمة والحسن البصري قالا: " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ، فنُسخ من ذلك نساء أهل الكتاب، أحلّهُن للمسلمين. وكذلك عن الربيع قوله: " ولا تنكحوا المشركات" إلى قوله: " لعلهم يتذكرون"، قال: حرم الله المشركات في هذه الآية، ثم أنزل في "سورة المائدة"، فاستثنى نساء أهل الكتاب فقال: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ}[٤٦٤]، وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية مرادًا بحكمها مشركات العرب، لم ينسخ منها شيء ولم يُستثن، وإنما هي آية عامٌّ ظاهرُها،

---

[٤٦٠] الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٨.

[٤٦١] مناع بن خليل القطان (ت ١٤٢٠هـ)، ***مباحث في علوم القرآن***، د. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ت/ط: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ص٢٥٣.

[٤٦٢] البقرة: ٢٢١/٢.

[٤٦٣] المائدة: ٤/٥، ٥.

[٤٦٤] المائدة: ٥/٥.

خاصٌّ تأويلها ". والأصل بقاء العام على عمومه مالم يرد مخصص[٤٦٥]، ولهذا كان لا بدّ لمن يتصدّر لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن الكريم أولاً، فيجمع ما تكرّر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهبَاً على معرفة ما جاء موجَزاً، وبما جاء مُبيَّناً على فهم ما جاء مُجمْلاً، ويحمل المطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص.

فالذي يريد أن يفسّر قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظالِمُونَ)[٤٦٦] عليه أن ينظر في نصوص القرآن، كما فعل الشيخ زكريا حيث قال: فإن قلتَ كيف يحسب النبي صلى الله عليه وسلم ربّه غافلًا، وهو أعلمُ الخلْقِ باللَّهِ! قلتُ: المرادُ دوام نهيه عن ذلك، وهو كقولهِ سبحانه وتعالى: {ولَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكينَ}[٤٦٧] وكقولِهِ أيضاً: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ} ونظيرُه في الأمر قولُه تبارك وتعالى: {يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ}[٤٦٨] أو أنّ النهي لغيره صلى الله عليه وسلم ممَّن يحسبه تعالى وتنزّه غافلاً، لجهلِهِ بصفاته تعالى[٤٦٩] وهكذا قال غيره من المفسرين، كالإمام النسفي رحمه الله تعالى حيث قال: أن الخطاب تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، فهو لغير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ وهو إن كان خطاباً لرسول الله عليه الصلاة والسلام فإن المراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه بأنه لا يحسب الله غافلاً؛ وذلك كقوله تعالى: {وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٤٧٠]، وكقوله تعالى: {ولا تدع مع الله إلها آخر}[٤٧١]، وقيل المراد به الإيذان بأنه تعالى عالم بما يفعل الظالمون، فلا يخفى عليه من عملهم شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد[٤٧٢].

ومن منهجه المجمل في تفسير القرآن بالقرآن: أن يُحمل المجمَل على المبيَّن لِيُفسَّر به؛ ومنه تفسير قوله سبحانه وتعالى: {وَيُرِيدُ الذين يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً}[٤٧٣]المقصود بالذين {يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ} هم أهل الكتاب، وذلك بالنظر لقوله تعالى: {أَلَمْ

---

[٤٦٥] عبير بنت عبد الله النعيم، ***قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (دراسة تأصيلية تطبيقية)***، أطروحة دكتوراة، تقديم: فهد بن عبد الرحمن الرومي، نشر: الدار التدمرية في الرياض ـ السعودية، ط١، ت/ط: ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م، ص١٣٣-١٣٤-١٣٥.

[٤٦٦] إبراهيم: ٤٢/١٤.

[٤٦٧] القصص: ٨٧/٢٨.

[٤٦٨] النساء: ١٣٦/٤.

[٤٦٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ٢٩٥.

[٤٧٠] إبراهيم (٤٢ -٤٥)

[٤٧١] القصص: ٨٨/٢٨.

[٤٧٢] عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي أبو البركات (ت٧١٠هـ)، ***تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)***، تح: يوسف علي بديوي، د. الكلم الطيب ــ بيروت، ط١، ت/ط: ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م، ج٢، ص١٧٧.

[٤٧٣] النساء: ٢٧/٤.

تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الكتاب يَشْتَرُونَ الضلالة وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السبيل}[٤٧٤] ، وقال الأنصاري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى}[٤٧٥] قال: إنَّ هذا الكلام مجملٌ، وفائدتُه الإشارةُ إلى أنَّه ليس كلُّ الأمور مما يُوحى إلى النساء ـ كالنبوَّةِ ونحوها ـ أو كانت أولاً للتعظيمُ والتفخيمُ، كما في قوله تعالى {فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى}[٤٧٦]، وثانياً البيانُ بقوله تعالى {أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فاقذفيه في اليمِّ}[٤٧٧] فقد جاء هذا بياناً للآية ٤٧٨، ومثله ما فسره الشيخ الأنصاري عند قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}[٤٧٩] فظاهر هذه الآية أنَّ الاستهزاء يكون من باب العَبَث والسخرية، والله منزه عن ذلك؛ ولكن الشيخ بيّنها وأظهر المقصود منها بآية أخرى وهي قوله تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} فسمّى جزاء الاستهزاء استهزاءً مشاكلة، والمعنى أن الله تعالى يجازيهم جزاء يناسب استهزاءهم[٤٨٠]، ومما يزيد هذا المطلب بيانا وإيضاحاً أن نعلم بأن القرآن الكريم يذكر القصة أحيانا في موضع بالإجمال، ويذكرها في موضع غيره بالتفصيل كمثل قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[٤٨١] ثم قال: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[٤٨٢] فهذا القول هو القول الأول ذاته بزيادة تفصيل فيه، فيتيسر بذلك تفسير هذا الإجمال، والتقدم من الإجمال نحو التفصيل. ومن ذلك ما جاء في قصة عيسى عليه السلام؛ حيث جاءت مجملة في سورة مريم: {وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا}[٤٨٣] وقد سبق ذلك أن جاءت مفصلة في سورة "آل عمران" في قوله سبحانه وتعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}[٤٨٤] فجاءت في هذه الآية البشارة التفصيلية، وأمّا في تلك الآية فقد جاءت البشارة الإجمالية، ومن هنا يُستنبط أنّ معنى الآية تقديراً: (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مخبرا بأني قد جئتكم). وهذا المعنى داخل في البشارة، وليس بمتعلّق بمحذوف كما أشار إلى ذلك الإمام

---

[٤٧٤] الذهبي، ***التفسير والمفسرون***، ج١، ص٣١. والآية من سورة النساء: ٤٤/٤.
[٤٧٥] طه: ٣٨/٢٠.
[٤٧٦] النجم: ٥٤/٥٣.
[٤٧٧] طه: ٣٩/٢٠.
[٤٧٨] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ٢٦٤.
[٤٧٩] البقرة: ١٥/٢.
[٤٨٠] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ج١، ص١٦.
[٤٨١] البقرة، ٣٠/٢.
[٤٨٢] البقرة، ٣٣/٢.
[٤٨٣] مريم: ٢١/١٩.
[٤٨٤] آل عمران:٣/ ٤٩.

السيوطي رحمه الله تعالى حيث قال: فلمّا بعثه الله تعالى قال إني رسول الله إليكم بأني قد جئتكم[٤٨٥]، وهذا لا يدخل في باب المحذوف.

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القراءات على قراءاتٍ غيرها، لأنّ القراءة إنما هي قرآنٌ ينبغي على المفسر ملاحظة ما تتضمّنه من المعاني وعدم إهمالها[٤٨٦].

ومنهجه في القرآءات: يورد القرآءات ويبن المعنى بعد تحليلها من خلال الآيات الأخرى، كقول الشيخ زكريا الأنصاري مفسراً قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ}[٤٨٧] قال: وقرئ (وأجنبني) بهمزة القطع. وهذا منهجه في ورود وجوه القرآءات التي اهتمَّ بها الأنصاري.

وقال في (مِن) الواردة في الآية {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٤٨٨] قال: {فَإِنَّهُ مِنِّي} أي بعضي؛ إذ إنّ (من) تبعيضية وإن صرّح بالبعض؛ بل هي اتصاليّة كما في قوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ}[٤٨٩] فحذف المفعول على القول الثاني[٤٩٠].

خلاصة الكلام أن الأنصاري اتبع منهجية التفسيرمن المصدر الأول وهو تفسير القرآن بالقرآن ـ ولم يهمل المناهج الأخرى ـ ولم يكن ذلك بجمع الآيات المفسرة بالقرآن، وإنما عند مروره بأية يتوهم أنها في اختلاف ووجد تفسير من القرآن بينها من خلال الآيلت المناسبة لها ومضى إلى غيرها، وإذا مرّ بآية مجملة مبينة في آية أخرى ذكرها، وليس ذلك في جميع الآيات التي ممكن أن تفسر بالقرآن.

---

[٤٨٥] أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، د. الصحوة ـ القاهرة، ط٢، ت/ط: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م، ص١٨٠,١٨١.

[٤٨٦] الذهبي، ***التفسير والمفسرون*** للذهبي، ج٣، ص ٣٨٧.

[٤٨٧] البقرة:١٢٦/٢.

[٤٨٨] إبراهيم، ٣٦/١٤.

[٤٨٩] التوبة، ٦٧/٩.

[٤٩٠] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج٣، ص٣٨٩- ٣٨٠.

المطلب الثاني: منهجه في تفسير القرآن بالرواية

إنه لَا شك أن تفسير القرآن بالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرٌ ثابت ومقرر؛ لأن القرآن الكريم بيانه أولاً للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو المبيّن للقرآن والموضح له بقوله وفعله وإقراره، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إليه إذا أشكل عليهم فهم آية من القرآن؛ ولكن يجب تحرّي السنّة الصحيحة، فلا يُتّبع في ذلك إلا الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[٤٩١]، وتأتي السنة في الرتبة الثانية لتفسير القرآن الكريم، وتكون بالرواية من السنة المطهرة ومن أقوال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، الذين عاصروا زمن نزول الوحي، وكذلك ما ذكره التابعون الذين تتلمذوا على الصحب الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعاً. وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبلّغ القرآن ويُبيّنه امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[٤٩٢].

ولكن يجب تحرّي ما ثبت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في السنة الصحيحة، فإذا كان خبرٌ من خبر الآحاد يتناقض مع ما أثبته العلم ثبوتاً قطعيّا فينبغي أن يُردّ ولا ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أن يؤوَّل إن كان قابلاً للتأويل.

والأخبار التي لا يجوز مخالفتها هي الأخبار التي لم يُطعن في صحّتها ولا تخالف أمرًا محقّقا يقطع العقل بخلافه[٤٩٣].

ومن منهج الأنصاري يطابق القول من القرآن الذي توهم فيه القارئ لعدم وجود مطابقة الجواب مع السؤال فيبينه بشرح منه ويدعمه بقول للنبي صلى الله عليه وسلم نظيرا لذلك، عندما ذكر الله تعالى أسئلة الناس للرسول صلى الله عليه وسلم، فيبين المطابقة للسؤال مع زيادة بما هو فيه فائدة تعود للسائل، كقول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ}[٤٩٤] فإن قلتَ: كيف طابق الجوابُ السؤال، فإنهم إنما سألوا عن المنْفَق، فكان أن أجيبوا ببيان المَصْرف؟ فيقول الأنصاري قلتُ: بل طابقه بقوله {مِنْ خيْرٍ} وزاد عليه بيان المصرف بما بعده، فالجوابُ

---

[٤٩١] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، ***زهرة التفاسير***، د. الفكر العربي، ج١، ص٢١. وينظر محمد أحمد محمد معبد (ت١٤٣٠هـ)، ***نفحات من علوم القرآن***، د. السلام، القاهرة، ط ٢: ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

[٤٩٢] النحل: ٤٤/١٦.

[٤٩٣] أبو زهرة، ***زهرة التفاسير***، ج١، ص٢٩. ينظر، الصابوني، ***التبيان في علوم القرآن***، ص٦٧- ٦٨- ٦٩- ٩٠.

[٤٩٤] البقرة:٢١٥/٢.

أعمُّ، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم هندما سئِل عن الوضوء بماء البحر فقال: (هو الطهُور ماؤُه الحِلُّ ميتته)[٤٩٥].

ومن منهجه بأنه في حاشيته عندما يأتي الخبر من السنة المطهرة يعزوه إلى مصدره، وقد يتكلّم عليه ويبيّن درجته من صحّة وضعف؛ ويظهر ذلك على الخصوص في كتابته للحاشية على تفسير القاضي البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" واسم هذه الحاشية "حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل". إذ إنه لما وضع حاشيةً على ما ذكره صاحب "أنوار التنزيل" عند قول الله تبارك وتعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[٤٩٦] خرّج للحديث الذي ذكره الإمام البيضاوي، وهو قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عمر بن قرّة: (لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله). فقال في الحاشية بعد أن ساق الحديث وأتمَّ منه ما أغفله البيضاوي: رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان بن أمية قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه عمرو بن قرّة فقال: يا رسول الله! قد كُتب عليّ الشقاوة، فلا أراني أرزق إلّا دُفّي بكفّي، فأذن لي في الغناء في غير فاحشة، فقال: (لا آذن لك ولا كرامة؛ كذبت أي عدوّ الله. لقد رزقك الله حلالاً طيّباً)[٤٩٧]، وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ موقوفاً من طريق ومرفوعاً من أخرى ـ أنّ التفسير على أربعة أوجه؛ وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعرفه أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فما كان عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مما هو من الوجهين الأولين فليس بمرفوع، لأنهم أخذوه من معرفتهم بلسان العرب، وما كان من الوجه الثالث فهو مرفوع، إذ لم يكونوا رضي الله عنهم يقولون في القرآن بالرأي.

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ}[٤٩٨] قال: المعرفة بالقرآن هي ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وأخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ}[٤٩٩] قال: القرآن. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البَرُّ والفاجر. وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية لا أعرفها إلا أحزنتْني، لأني سمعت الله

---

[٤٩٥] الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ج١، ص٥٨.
[٤٩٦] يونس، ٥٩/١٠.
[٤٩٧] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج ١، ص ١٢٠-١٢١. يونس، ٥٩/١٠.
[٤٩٨] البقرة: ٢٦٩/٢.
[٤٩٩] البقرة: ٢٦٩/٢.

يقول: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[٥٠٠]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره فهو كالأعرابي الذي يهذّ الشِّعْرَ هذًّا. وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فِيْمَ أُنْزلت، وما أراد بها[٥٠١]، وذكر الأنصاري رحمه الله تعالى مستدلاّ برواية الشيخين عند وضعه حاشية لقوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٥٠٢] وذكر روايةً نسبها إلى الشيخين وهي: عن قتادة رحمه الله تعالى (أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ أخي يشتكي بطنه.. إلى آخره)[٥٠٣]. فاكتفى بذكر طرف الحديث عن الإتيان به تامّاً، وقد فعل ذلك لشهرة الرواية حتى إنّها لا تكاد تخفى على كلّ مَن له اطّلاع ودراية[٥٠٤]، وعندما ذكر الروايتين اللتين ساقهما الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى وبيّن أنّ الثانية منهما رواية موضوعة، وذلك في الحشية لقوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[٥٠٥] فبعد أن قال بمناسبة قول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى: (والدعاء في الآية بمعنى التسمية) قال الأنصاري: أي لا بمعنى الدعاء؛ أشار بالضمير (له) إلى أن المراد بالله والرحمن الاسم لا المسمى.

ومن منهجه التعليق على الرواية التي يذكرها البيضاوي بعد أن خرّجها قائلاً: رواه أبو داود وغيره بمعناه. ثم جاء بالرواية الثانية وبيّن درجتها وهي: (من قرأ سورة بني إسرائيل فرَقَّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة). ولكنه لم يذكر الرواية تامة في الحاشية اكتفاءً منه بما ذكره المصنف في الأصل؛ واكتفى بذكر طرفٍ منها وهو: (من قرأ سورة بني إسرائيل...) إلى آخره. ثم قال بأن هذه الرواية موضوعة[٥٠٦]، وعند قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي

---

[٥٠٠] العنكبوت: ٤٦/٢٩.

[٥٠١] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ***معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)***، د. الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، ج١، ص١٠٠.

[٥٠٢] النحل: ٦٩/١٦.

[٥٠٣] والحديث بتمامه كما في رواية الإمام البخاري رحمه الله تعالى: عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه (أنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلا، ثم أتى الثانية فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا؛ فسقاه فبرأ). ***صحيح البخاري***، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، ج٧، رقم الحديث ٥٦٨٤، ص١٢٣.

[٥٠٤] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج٣، ص٤٥٧.

[٥٠٥] الإسراء: ١٧/ ١١٠.

[٥٠٦] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج٣، ص٥٤٤.

الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)[٥٠٧]، واستدل الأنصاري بالحديث على الحكم المقصود في الآية السابقة فقال: فالمراد بالوجوب عند قوله {عَلَىَ} في الآية هنا "وجوبُ اختيار لا وجوبُ إلزامِ" كقوله صلى الله عليه وسلم: (غُسْلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ علَى كلِّ محتَلم)[٥٠٨]، وكقولِ الإنسان لصاحبه: حقُّك واجبٌ عليّ أو "عَلى" بمعنى "مِنْ" كما في قوله تعالى {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ}[٥٠٩]. ويستنبط الحكم من الأحاديث، كما بين حكم وجوب الاختيار من الحديث.

ومنهج الأنصاري في رواية الحديث أن يأتي بالحديث بما يوضح المقصود من الآية كأظهار حكم في الآية لم يظهر أو يبين وجه المطابقة في الآية بذكر حديث يناظر الآية، وفي الحاشية إذا ورد حديث ورأى أنه يحتاج للتعليق علقَ عليه، ويبن درجة الحديث مع توضيح له وإكمال الحديث إن ورد بطرف منه

المطلب الثالث: منهجه في الإسرائيليات

لابد من التطرق للكلام عن الإسرائيليات وذلك لشيوع هذا المفهوم في كتب التفسير، وإن كان الشيخ رحمه قد خلت كتبه من هذه الآفة.

وقبل الحديث عن موقف الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى من الإسرائيليات لابدّ من بيان وتعريف معنى الإسرائيليات.

تعريف الإسرائيليّات: الإسرائيليات جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل؛ ففي الاسم تركيب مزجي، إذ إنّ إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، ويعني بالعبرية عبد الله.

وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب عليه السلام ومن جاء مِن نسلهم إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليهم السلام، وحتى العهد الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم. وقد عرفوا باسم "اليهود" أو "يهود"[٥١٠].

وذكر الشيخ زكريا في حاشية "فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل" بعد ذكر ما قاله الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٥١١] ثمّ ساق أثراً عن ابن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه بعد قول المصنف ـ الإمام البيضاوي ـ رحمه

---

[٥٠٧] هود: ٦/١١.

[٥٠٨] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، برقم، ١١٥٧٩، ج١٨، ص١٢٥، تح شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، نشر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

[٥٠٩] المطفّفين: ٣/٨٣. الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ج١، ص٢٥٩.

[٥١٠] أبو شهبة، ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، ص ١١.

[٥١١] البقرة: ٦٢/٢.

الله تعالى: سُمّوا بذلك لما تابوا من عبادة العجل، لقول موسى عليه السلام: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[٥١٢]. قال: والياء في نصرانيّ للدلالة على أنه منسوب إلى نصران، وهي قرية في الشام. قال الجوهري: نصران قرية بالشام ينسب النصارى إليها. والياء فيها للمبالغة كما في أحمري)[٥١٣].

وفي الصحاح: لم يستعمل نصراني إلا بياء النسب [٥١٤]، وعند قوله سبحانه وتعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} ٥١٥ قال الشيخ زكريا: وقيل القصد هنا ذكرُ أنبياءِ بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولادُ إسحاق، وأما إسماعيلُ فلم يخرج من صلبه إلّا محمد صلى الله عليه وسلم[٥١٦].

وقد أكثر الله تعالى من مخاطبتهم ببني إسرائيل في القرآن الكريم لتذكيرهم بأبيهم النبي الصالح حتى يتأسّوا به ويتخلقوا بأخلاقه، وليتركوا ما كانوا عليه من شأنهم في نكران نعم الله تعالى عليهم وعلى آبائهم؛ ولكنهم كانوا يتّصفون باللؤم والجحود والغدر والخيانة، وكذلك ذكرهم الله تبارك وتعالى باسم اليهود في كثير من آيات القرآن الكريم[٥١٧].

والتوراة أشهر كتب اليهود، وقد ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ () مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ}[٥١٨]. وقال سبحانه وتعالى في أنبياء بني إسرائيل والتوراة: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

---

[٥١٢] الأعراف: ١٥٦/٧.

[٥١٣] محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، ***فتحُ البيان في مقاصد القرآن***، تح، خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت، ت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.، والقرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، تفسير القرطبي، ج١، ص٤٣٤.

[٥١٤] أحمد بن عبد الله بن علي الدروبي، ***نواهد الأبكار وشوارد الأفكار*** -حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، د. جامعة أم القرى -كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، ت/ن: ١٤٢٤ هـ، ج٢، ص٢٥٩.

[٥١٥] الأنعام: ٨٤/٦-٨٨.

[٥١٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١٧٠.

[٥١٧] أبو شهبة، ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، ص١٢.

[٥١٨] آل عمران: ١،٢،٣/٣.

وَكَانُوا}[٥١٩]. قال الإمام فخر الدين الرازي عند تفسير هذه الآية: قوله {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا} يُريد النّبيّين الَّذين كانوا بعد موسى، وذلك أنّ اللَّه تعالى بعث في بني إسرائيل أُلوفًا من الأنبياءِ ليسَ معهم كتابٌ، إنَّما بعثهُم بإقامةِ التّوراةِ حتَّى يحدُّوا حدُودَها ويقوموا بفرائِضها ويُحِلُّوا حلالَها ويُحرِّموا حرامها[٥٢٠]. والمراد بالتوراة تلك التي نزلت قبل التحريف والتبديل، أما التوراة المحرفة والمبدلة فهي بمعزل عن كونها كلّها هداية ونورا، ولا سيما بعد نزول القرآن الكريم الشاهد والمهيمن على جميع الكتب السماوية التي سبقته، فما وافقه فهو حق، وما خالفه باطل، وكان لليهود كتب شفهية غير الكتابية، وقد حرفوا وافتروا فيها الأباطيل وغير ذلك من المخالفات، وفي كتبهم وثقافتهم التاريخُ والقصص والمواعظ؛ وهي إن كان فيها حقّ ففيها من الباطل الكثير، وإن كان فيها من الصدق فهي مليئة بالأكاذيب الصريحة.

وجاء بعد ذلك من انجرّ إلى هذه الإسرائيليات، وقد يتوسع البعض في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود ومعارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها وحول الرسل وأخبارهم. والسبب في أنّها سُمّيت بالإسرائيليات لأن غالبها من ثقافة بني إسرائيل أو من أساطيرهم، أو من كتبهم[٥٢١].

وفي كتب التفسير من أخبار النصارى قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، وليس لها من الآثار السلبية ما للإسرائيليات؛ إذ إنّ الغالب عليها في المواعظ والأخلاق، وترقيق القلوب وتهذيب النفوس[٥٢٢].

وأمّا الأنصاري فإنه لم يتعرض للإسرائيليات، ولم يجد الباحث أنه قد تعرض لها في تفاسيره، وله حاشية على البيضاوي فالبيضاوي مقل جدا من ذكر الروايات الإسرائيلية، وهكذا الأنصاري وربما يرى أن الإسرائيليات ليست مهمة في التفسير بمنهجه ولا يعتمد عليها لذا لم يتعرض إليها.

---

[٥١٩] المائدة: ٤٤/٥.

[٥٢٠] فخر الدين الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، ***مفاتيح الغيب: التفسير الكبير***، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣: ١٤٢٠ هـ، ج١٢، ص٣٦٥.

[٥٢١] أبو شهبة، ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، ص١٣.

[٥٢٢] أبو شهبة، ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، ص١٤.

المطلب الرابع: منهجه اللغوي

نزل القرآن الكريم باللسان العربي المبين، ولذلك لا بد من المعرفة والعلم بمزايا وفنون هذا اللسان ـ خاصة ـ لمن يريد أن يتصدّى لتفسير القرآن وبيانه؛ فاللغة تُعدّ من الأدوات المهمة لفهم القرآن الكريم وتفسيره، ويدخل في ذلك النحو والصرف والبلاغة وما يتعلق بها.

أولاً ـ منهجه اللغوي في الإعراب والبلاغة: في مجال البلاغة كما يُلاحظ في كتابه "إعراب القرآن العظيم" سلك طريقة الاختصار، بالإضافة إلى بيان بعض المعاني والتوجيهات البلاغية للآيات المتشابهات في القرآن.

ويتبين لنا منهجه بأنه يركز على إعراب بعض الآيات ويذكر الوجه المختار فيها دون أن يتعرّض لكلّ وجه، أو يذكر ولا يكرّر ما تقدم إعرابه، إلى جانب ما تضمّنته من معانٍ ونكت بلاغية، متّبعاً طريقة السؤال والجواب.

وبسبب تعدّد الوجوه والآراء في علم النحو والإعراب تعدّدت الأقوال في التفسير؛ بل تعدّدت في العلوم الأخرى؛ من الفقه وغيره.

ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه بلسان عربي مبين، والعرب نشؤا وكانت صيغة كلام ذلك الكتاب هي التي نشؤا عليها. وهم يعرفون وجوه خطابه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيّن لأصحابه رضي الله تعالى عنهم ما بهم بحاجة إليه لمعرفة بيان مجمل القرآن ومتشابهه.

وكان السلف يحثّون على تعلّم لغة العرب لما يعلمون من فضلها والحاجة إليها لمعرفة معاني القرآن. ومَن جهل لسان العرب وألفاظها وافتنانها في مذاهبها فهو بلا شكٍّ جاهل لعلم القرآن؛ بل إنّ مَن جهل لسان العرب فلا يمكنه أن يعرف تفسير كتابٍ معجزٍ في فصاحة ألفاظه[٥٢٣]، وإنّ جميع ما كُتب من التفاسير لم يحط بما أودعه الله تعالى في القرآن من أحكام وحكم وأسرار ومعارف، بل إن ما حوته جميع المصنفات التفسيرية للقرآن ليس إلا غيضٌ من فيضٍ.

وإنّ أوسع تفسير للقرآن الكريم هو الدهر بما فيه من أطوار وأحداث وتقلّبات؛ يعني أن العلوم والمعارف والأفكار والحوادث والتجارب التي تتجدّد في الزمن هي عوامل هامّة في شرح وتفسير القرآن الكريم، وكل حُقبة من هذه الأزمان تكشف عن سرٍّ من أسرار القرآن التي

---

٥٢٣ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، (ت٤٦٨هـ)، ***التّفسير البسيط***، تح: أصل تحقيقه في خمس عشرة رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، د. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ت/ط: ١٤٣٠ هـ، ج١، ص٣٠٧, ٣٠٩.

لم يدركها المفسرون من قبل[٥٢٤]، وإن دور الكتب والمكتبات في العالم لا تزال زاخرة متدفّقة بأمواجٍ كالجبال من التفاسير مما لا يمكن أن يحيط به إلا العليم الخبير سبحانه وتعالى.

وإنّ فيها مما فتح الله على العلماء في بيان كتابه العزيز؛ منها تفاسير بالمأثور وتفاسير بالرأي، ومنها تفاسير لظاهر العبارة وتفاسير لغوامض الإشارة، ومنها تفاسير يغلب عليها صنعة الكلام وأخرى يغلب عليها صنعة البلاغة، وثالثة يغلب عليها النحو والإعراب، ورابعة يغلب عليها تفاريع الأحكام، وتفاسير يغلب عليها العلوم الكونية، ومنها تفاسير كل القرآن وتفاسير جزء منه أو سورة أو آية إلى غير ذلك؛ ومن ذلك تفسير جزء عمّ وآخر لجزء تبارك ولسورة الفاتحة ولسورة الكوثر ولسورة الإخلاص وحدها ولسورة الإخلاص مع المعوذتين وهكذا..

ومنها تفاسير للبسملة[٥٢٥]ولآية الكرسي ولأول سورة الأنبياء ولأول سورة الفتح ولحروف المعجم في فواتح السور ولآية {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ} وأمثال ذلك؛ وجميعه قبس من نور القرآن وشعاع من إشراقه وبصيص من تجليات هدايات الله تعالى لعباده[٥٢٦]، وهذا من فنون التفسير.

من منهجية الأنصاري بيان الأصل في ترتيب الجملة ، وينبه على إتيانها أحيان خلافا للأصل، وهذا من الإشكاليات التي حللها الأنصاري، وعند الكلام حول{بسم الله الرحمن الرحيم}من سورة الفاتحة ذكر إنّ إعراب اللفظة المفردة ـ كما يقول النحاة ـ هو الأصل في ترتيب الجملة الفعلية، وهو أن يتصدر الفعل ثم الفاعل والمفعول به يتأخر عنهما، وتأتي اللغة أحياناً بخلاف ذلك الترتيب؛ ومن هذه الإشكالات الإعرابية التي وردت في تفسير الشيخ رحمه

---

[٥٢٤] محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت١٣٦٧هـ) ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، د. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ب/ت/ط، ج٢، ص١٠٤.

[٥٢٥] وللشيخ رحمه الله تعالى رسالة يتكلم فيها عن البسملة والحمدلة من حيث المعنى والمتعلقات والاشتقاق وعلة التقديم والتأخير بين بعض كلماتها، وَهُوَ مؤلف لطيف أَوله الْحَمد لله على مَا تفضل بِهِ من النعم إِلَى آخِره تكلم فِيهِ على شرح الْبَسْمَلَة هو كتاب من بين كتب الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى المختص بالتفسير وعلوم القرآن، ولا يخلو هذا الكتاب من مسائل علميّة جمة لغويّة وشرعيّة، ويدور الكلام فيه حول البسملة من جهات أربع ثمَّ ذكر الشُّكْر وَمَا بَينه وَبَين الْحَمد من الْخُصُوص والعموم وَبَين مَا بَينهمَا من النِّسْبَة مَعَ ذكر الْمَدْح وَالثَّنَاء وَذكر فَوَائِد مهمة وسماه "***شرح البسملة والحمدلة***". وَشَرحه الإِمَام الْعَالم عبد الْحق. ينظر، الأدنه وي، أحمد بن محمد الأدنه وي وهو من علماء القرن الحادي عشر (ت ١١هـ) ***طبقات المفسرين للأدنه وي*** ص: ٣٦٣، تح، سليمان بن صالح الغزي، نشر، مكتبة العلوم والحكم. وذكره صاحب كتاب هدية العارفين مادحاً هذا الشرح على البسملة والحمدلة بأنه خير الكلام فقال: خير الكلام على شرح البسملة والحمدلة لشيخ الاسلام أعني القاضي زكريا. ينظر، الباباني البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (ت ١٣٩٩هـ)، ***هدية العارفين***، ج، ص، ٧٥٥، نشر، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول، ١٩٥١، وقامت بإعادة الطبع د. إحياء التراث العربي في بيروت، عدد الأجزاء:٤.

[٥٢٦] الزرقاني، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، ج٢، ١٠٥.

الله تعالى: قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْـــلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُنَ﴾[٥٢٧] قال الشيخ الأنصاري: قاله هنا بتأخير لفظة "فيه" عن "مواخر" وجاء بالواو في "ولَتِبْتَغُوا" وفي سورة فاطر قاله بخلاف عمَّا جاء في سورة النحل بتقديم {فِيـــــهِ}على {مَوَاخِرَ} وبدون الواو عند {لِتَبْتَغُوا} جرياً هنا على القياس، إذ إن كلمة {الفُلْكَ} مفعول أول للفعل (وَتَرَى)، وأمَّا {مَوَاخِرَ} فهو مفعول ثانٍ له، و{فيه} ظرفٌ ومن حقِّ الظرف التأخير، والواو للعطف على لام العلة في قوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً﴾ وحُذفت الواو هنا لعدم وجود المعطوف عليه.[٥٢٨] وهذا ما يُدعى بإعراب الألفاظ والحروف، وهناك ما هو إعراب للتراكيب.

ومنهجه في إعراب التراكيب التي توهم الاختلاف أنه يبين نوع الاستثناء ومكانه في الجملة وسببه، ويقسم إلى التركيب الاستثنائي والتركيب الشرطي؛ والتركيب الاستثنائي منه المتصل ومنه المنفصل؛ ومما أشار إلى هذا الاختلاف في تفسيره، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[٥٢٩]. ذكر الاستثناء إمَّا منقطعاً أو متصلاً. جاء منقطعا لأن مَن رحِـمه الله تعالى فهو معصومٌ وليس عاصما، فالاستثناء فيه منقطع[٥٣٠]، أو يكون الاستثناء متصلاً، لأن معنى "مَن رَحِمَ" الراحمُ، وهو الله تعالى. فكأنه قيل: لا عاصم إلَّا الله، فيكون متصلا.

ومنها: قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابـآؤُكم مِّـنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٥٣١]. وقد جاء بها الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى بصيغة السؤال والجواب فقال: إن قلتَ: المستثنى منه مستقبلٌ والمستثنى ماضٍ، فكيف صحَّ استثناؤه من المستقبل؟ قلت: " إلَّا " بمعنى بعد أو بمعنى لكنْ، كما قيل في قوله سبحانه تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [٥٣٢]، فالاستثناء هنا كما في:

وَلَا عيْبَ فِـــيهِـمْ غَيْرَ أَنَّ سـيـــوفَهُمْ بـــــهِنَّ فُـلُـــولٌ مـنْ قِــرَاعِ الكَتَائِبِ[٥٣٣]

فالمعنى: إنْ أمكن كونُ فُـلُـولِ السيوفِ من الكتائب عيباً، فهو عيبٌ فيهم، فهو من باب التعليق بالمستحيل[٥٣٤]، ومنه أيضاً التركيب الشرطي: ومما ذكره الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى من

---

[٥٢٧] النحل: ١٦/ ١٧.
[٥٢٨] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٦٤.
[٥٢٩] هود: ٤٣/١١.
[٥٣٠] الأنصاري، **فتح الرحمن**، ص ١٤٤.
[٥٣١] النساء: ٤/ ٢٢.
[٥٣٢] الدخان: ٤٤/ ٥٦.
[٥٣٣] قاله النابغة، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ *الكامل في اللغة والأدب*، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، د. الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج١، ص٤٦، عدد الأجزاء: ٤.

جزاء الشرط وجملة الجزاء في قوله تعالى:﴿حَتَّى إذا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[٥٣٥] قال هنا {خَرَقَهَا} بدون فاء، لأنه جعل خَرْقَها جزاء الشرط، فلا حاجة للفاء، وقال بعده في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ﴾[٥٣٦]قال: {فقتله} عطف بالفاء لأنه جعل قتل الغلام من جملة الشرط، وجزاء الشرط قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[٥٣٧]. ومما ذكره رحمه الله تعالى بمعنى الجزاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُـــهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾[٥٣٨]، قال هنا {فلا} بالفاء، وقاله بعد ذلك بالواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[٥٣٩]، لأن الفاء في الأولى تتضمَّنُ معنى الجزاء، والفعل قبلها في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾[٥٤٠]لكونه مستقبلاً يتضمَّن معنى الشَّرط فناسب فيه الفاء، وما بعدُ ذُكر قبله ﴿كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥٤١]والفعل فيهما لكونه ماضياً لا يتضمَّن معنى الشرط، فناسب الواو فيه. وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ وهنا ذكرها بـــــ{**لَا**} وفيما بعدُ بدونـها، لما في زيادتـها هنا من التوكيد المناسب لغاية التوكيد بالحصر فيما قبلها، وذلك مفقودٌ فيما بعدها[٥٤٢].

أشهر المسائل النحوية والصرفية والبلاغية التي تعرّض لها الشيخ زكريا:

للنحو ارتباط كبير في التفسير، فهو من أهم الأدوات التي يستعملها المفسّر في علم التفسير لفهم كلام الله تعالى واستخراج الأحكام والحِكم؛ بل إنّ استمداده من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ولمعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك؛ ومن هنا نشأ الارتباط الوثيق بينهما[٥٤٣] وتفسير الشيخ الأنصاري تضمّن مباحث نحوية متنوعة في المسائل ذات الموضوعات المختلفة، والتي تُلاحظ بين صفحات تفسيره.

وتتضح لنا أهمية النحو للتفسير ببيان العلاقة بينه وبين التفسير؛ وقد تمّ ذلك من خلال المنهجية عند الأنصاري وبيانها.

---

[٥٣٤] الأنصاري، **فتح الرحمن**، ص ٦٧.
[٥٣٥] الكهف: ١٨/ ٧١.
[٥٣٦] الكهف: ١٨/ ٧٤.
[٥٣٧] الكهف: ١٨/ ٧٤.
[٥٣٨] التوبة: ٩/ ٥٥.
[٥٣٩] التوبة: ٩/ ٨٤.
[٥٤٠] التوبة: ٩/٥٤.
[٥٤١] التوبة: ٩/٨.
[٥٤٢] الأنصاري، **فتح الرحمن**، ص ١٨٧.
[٥٤٣] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ص٢٧.

مسألة في الحروف: فالحرف يقع من الأهمية بمكان في لغة العرب، فهو من أقسام الكلمة عندما قسّموا الكلم إلى أقسام، ومنها الحرف. وقالوا في تعريفه: هو ما يدل على معنىً غير مستقلّ بالفهم. والحرف كلمة لا تدل على معنى ولا زمن بنفسها، ولكن تدلّ على معنى إذا ضمّ شيءٌ إليها[٥٤٤]ولكل حرف معنى ووظيفة لفهم كلام الله تعالى بين الكلمات القرآنية، ومنها حروف العطف، ومن العطف (ثمّ) وهو يأتي للترتيب والتراخي[٥٤٥]، وقد وجّه الشيخ وبيّن موضعه لتوجيه الآية. ومثال ذلك فيما يأتي:

أولاً: حروف العطف منها (ثُمَّ):

من المنهج الذي سلكه الأنصاري أنه اهتمّ ببعض الحروف ليظهر من معانيها باجتماعها بالجمل ليبين من خلاله موقع أو زمن الجملة بتقديم وترتيب وفوائدة كثيرة.

ومنها ما يفيد الترتيب في قوله تبارك وتعالى: ﴿وأَنِ اسْتَغْفِرواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْـهِ يُمَتِّعْكُم مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٥٤٦]، تكلّم الشيخ في هذه الآية عن حرف العطف {ثُمَّ} بأنّه جاء للترتيب الإخباري لا الوجودي، إذ التوبة سابقةٌ على الاستغفار؛ أو أنّ المعنى: ﴿اسْتَغْفِرواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشّرك و ﴿ثُمَّ تُوبُواْ﴾ أي ارجعوا إليه بالطاعة. وعقب بعد بتفسير الكلمات ومعنى المتاع الحسن بصيغة السؤال والجواب فقال: إن قلتَ نجد من لم يستغفر الله تعالى ولم يَتُبْ يمتِّعُه الله تعالى متاعاً حسناً إلى أجله، أي يرزُقُه ويوسّعُ عليه، كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أو كما قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: يُعمِّره، فما هي فائدة تقييده بالاستغفار والتوبة؟ فالجواب في قوله: قلتُ قال غيرهما: المتاعُ الحسن ـ المقيَّدُ بالاســـتغفارِ والتوبة ـ وهو الحياةُ في الطَّاعةِ والقناعة، ولا يكونانِ إلَّا للمستغفر التَّائب.

والمتاع الحسن للتائب المستغفر إنما هو للتفضّل والإنعام دون حسابٍ ولا عقاب، وللعاصي الفاجر إنما هو للاستدراج مع الحساب والعذاب[٥٤٧]، كما قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَـهُم فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٥٤٨].

---

[٥٤٤] تأليف حنفي بيك ناصيف، مصطفى طمُّوش، محمد بِك دياب، محمد بك صالح، واعتنى به علاء الدين عطية، ***الدروس النحوية***، الكتاب الثالث، ص٧، ثلاثة كتب بكتاب واحد، د. الدقاق والفيحاء، ط١، ١٤٤٢ه، ٢٠٢١م.

[٥٤٥] ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ)، ***أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك***، د. ابن كثير، بيروت ـــ لبنان، ط٣، ت/ط ١٤٣٥هـ ـــ ٢٠١٤م، ج٢، ص١١٨.

[٥٤٦] هود:٣/١١.

[٥٤٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٤١.

[٥٤٨] المؤمنون:٥٥/٢٣.

ومن ذلك حرف (الواو): وهو يفيد مطلق الجمع، بمعنى الاجتماع والاشتراك بين المتعاطفين في الحكم والمعنى، من غير ترتيب زماني ولا مكاني ـ وهناك من قال بخلاف هذا ـ[٥٤٩]؛ فإذا جاء مع العطف تعاقب الواو مع الفاء، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾[٥٥٠]، وفي قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِن حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[٥٥١]، ففي سورة البقرة عطف بالواو لأنها دالَّة على الجمع؛ لأنّ معنى (اسكن) في سورة البقرة: استقِـرَّ، لكون آدم عليه السلام وحواء كانا في الجنة حينها، والأكل يُجامع الاستقرار في الغالب. والمعنـى: اجمعا بين الاستقرار والأكل، فالأكل غير متعلّق بدخولهم فعطف بالواو. وأبـدله في سورة الأعراف فاءً بقوله: {فَكُلَا} عطف بـالفاء الدالة على التعقيب، لأنَّ المعنى في الأعراف: ادخلْ، لكونهما كانا خارجين عنها، فكان الأكل متعلقاً بدخولهم، والأكل لا يكون مع الدخول عادة بل عَقِبَه، فكأنه قال لـهم: إن دخلتموها أكلتم منها[٥٥٢]، وهذا من باب تعدد الوجوه في المسألة.

ثانياً: حروف الجر منها (مِنْ):

وهذا الحرف له سبعة معانٍ منها: للتبعيض، وهو محلُّ الشاهد هنا، مع أن مذهب البصريين يقررون أن كل حرف من حروف الجر له معنى واحد يختصّ به، فإذا تعدى هذا المعنى فإنه من باب المجاز، وقد رجح كثير من المحققين قول الكوفيين حيث اعتبروا هذا من التعسّف؛ بل إذا اشتهر استعمال الحرف بمعنى وفهمه السامع فهو على الحقيقة لا على المجاز؛ وهذا المذهب أيسر من غيره[٥٥٣].

ومنهج الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى إيضاح معنى الحرف وعلى ما يدل عند اقترنه بالجملة مع بيان العلة لهذا المعنى كما في كتابه فتح الرحمن يقول: أنَّه يدلُّ على التبعيض، وذلك في قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[٥٥٤]، مع أنّ الناس إمَّا شقيٌّ وإمَّا سعيدٌ، وبيَّن رحمه الله تعالى إنَّما هي للتبعيض، والعلة هي لأن أهل القيامة في الآخرة على ثلاثة أقسام: قسمٌ منهم شقيٌّ ـ وهم من أهل النار ـ وقسمٌ منهم سعيدٌ ـ وهم من أهل الجنة ـ وقسمٌ لا شقيٌّ ولا سعيدٌ ـ أهل الأعراف ـ وإن كان مصير هؤلاء إلى الجنة، كما قال ذلك قتادة رضي الله عنه وغيره[٥٥٥]، وهذا من الخلافيات كذلك.

---

[٥٤٩] ابن هشام، ***أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك***، ج٢، ص١١٣.
[٥٥٠] البقرة: ١/ ٣٥.
[٥٥١] الأعراف: ١٩
[٥٥٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٢.
[٥٥٣] ابن هشام، ***أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك***، ج١، ص٤٨١.
[٥٥٤] هود: ١١/ ١٠٥.
[٥٥٥] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٦٧.

ومن حروف الجر (اللام والواو وعَلَى): اقتران الحروف ببعضها البعض، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَـهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَـا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٥٥٦]، قال لها ما كسبت يعني في فعل الخير، وعليها ما اكتسبت أي في الشر، والدليل على ذلك بأن (اللام) في الأول و (على) في الثاني لأنهما يستعملان في ذلك عند تقارنهما يعني اقتران حرف الجر (اللام) مع حرف الجر (على) كما في هذه الآية السابقة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[٥٥٧]، وكقولهم: الدهرُ يومان: يومٌ لك، ويومٌ عليك وقول الشاعر مجنون ليلى[٥٥٨]:

على أَنَّنِـي راضٍ بأنْ أحْـــــمِلَ الهوى ... وأخفض منه لا عَلَيَّ ولا لِـيَّا

ثم ذكر سبب اختصاص الكسب بالخير والاكتساب بالشر، بأن الاكتساب فيه إعمالٌ، وأمّا الشرُّ فتشتهيه النفس وتنجذب إليه، فكانت أجد في تحصيله، بخلاف الخير من غير جدٍّ واعتمال، ولم يؤاخذهم على فعل الشرّ إلَّا بالجدِّ والعمل[٥٥٩]، فالأنصاري هنا يوجه الدلالة وفقاً لسياق حرف الجر الموظّف مع كلّ حرف، فالكسب يكون للخير لأنه قد تعدى بحرف الجر (اللام) في حين أن الاكتساب للشر تعدى بحرف الجر (على).

وهكذا لم يغب عن ذهن الأنصاري بأن حروف الجر لها استخراجات ودلالات وردت في القرآن الكريم، وهي من الفوائد المهمة في علم العربية لفهم المعنى للقرآن.

ثالثاً ـ أدوات النفي (اللاَّم):

وتكون لبيان أن ما بعدها سبب لما قبلها. و منهج الأنصار في هذه الأدوات تبين نوعها وعملها في الجملة مع التعليل لدفع الوهم عنها، فتجد مثل هذه المعاني في كتاب الشيخ الأنصاري رحمها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَـهُمَا الشَّيْطَانُ لِـيُـــبْدِيَ لَـهُـمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾[٥٦٠]، حيث يتعرّض الأنصاري هنا للكلام عن اللّام، ويبيّن ما هي مع ذكر التعليل، فاللّام فيه لام العاقبة والصَّيرورة، وليست لام كيْ، والتعليل أن الغرض إخراجهما من الجنة لا لكشف عورتهما، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[٥٦١]، وكما قال الشاعر:

دُوا لـلـمـوْتِ وابْـوا لـلـخَـرَاب فَكُـلُـكـمُ يَـصـيـر إلى الـتُّـراب

---

[٥٥٦] البقرة: ٢/ ٢٨٦.
[٥٥٧] فصلت: ٤١/ ٤٦.
[٥٥٨] أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، ***عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح***، تح عبد الحميد هنداوي، ج٢، ص٢٢٢٧، نشر، المكتبة العصرية، ط، د. بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.
[٥٥٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٥٠.
[٥٦٠] الأعراف: ٢٠/٧.
[٥٦١] القصص: ٨/٢٨.

فالأنصاري رحمه الله جزم بأن "اللام" في الآية ليست للتعليل وإنما هي لام العاقبة، بخلاف من قال غير ذلك[٥٦٢]، وهذا فيه تعدد وجهات نظر.

مسألة في الضمائر:

اهتم النحو العربي بالضمائر لارتباطها بالمعنى لأنها رابطة لأجزاء النص ويغني عن تكرار اللفظ فيقوم مقامه وفيه ارتباط آخر الكلام بأوله وتجد هذه الناحية عند المؤلف محلُّ اهتمام. يبين الأنصاري رجوع الضمير إن أفرد أو جمع ليتبن المعنى، وهذا منهج لا بد منه للوصول إلى المعنى الصحيح، وذلك عند الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى جمع الضمير عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾[٥٦٣]، ومثاله بالإفراد في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾.

والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلَّم، فسبب الجمع هنا يدل على معنيين اثنين أو لواحد منهما؛ الأول: ليدل على أنَّ الأمَّةَ داخلون مع النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم فيما خُوطب به من قبل، والثاني: تعظيماً للنبيِّ صلى الله عليه وسلَّم كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّـــهَا الرُّسُـلُ كُلُواْ مِنْ الطَّيِّباتِ واعْمَلُواْ صَالِحاً﴾[٥٦٤].

مسألة في الأفعال:

الفعل التام: تستعمل الأفعال على الأغلب في القرآن الكريم على أساليب مخصوصة، وقد عرض الأنصاري بعضها فمثلا يستعمل الفعل المضارع في دلالة الماضي والعكس لاستحضار ذلك الفعل.

ويكشف الأنصاري عن سبب التعبير في كلمات القرآن بصيغة من الصيغ مع أن الظاهر يستوجب غير هذا التعبير، ومما ورد في تفسير الشيخ رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٥٦٥]، حيث عبَّر فيها بالمضارع لا بالماضي مع أن الإخراج قد وُجد لمناسبة التعبير به قبلَه في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِنْ بِاللهِ﴾[٥٦٦]، ولأنَّ المضارع يدلُّ على الاستمرار، فيدلُّ هنا على استمرار ما ضمنه الإخراج من الله تعالى في الزمن المستقبل في حقِّ ما ذُكر.

يقول الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى: فإن قلتَ كيف يَخرج الكفَّار من النور مع أنهم لم يكونوا في نور؟ قلتُ: ذلك لمقابلة ما ذُكر قبله في المؤمنين، ولأن الكفار هنا اليهود وقد كانوا

---

[٥٦٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٥٠.
[٥٦٣] يونس: ١٠/ ٦١.
[٥٦٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٣٧. المؤمنون: ٢٢/ ٥١.
[٥٦٥] البقرة: ٢/ ٢٥٧
[٥٦٦] البقرة: ٢/ ٢٦٥.

مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لما يجدونه من نعته في كتبهم، فلما بُعث كفروا به[٥٦٧] ولتعدية الفعل عند الأنصاري في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابآءَنَا﴾[٥٦٨] يقول الأنصاري رحمه الله تعالى: عبر في هذه الآية بـقوله ﴿مَـــا أَلْفَيْنَا﴾ وفي سورة المائدة ولقمان بـقوله ﴿مَا وَجَدْنَـــا﴾ لأنَّ ألفى يتعدَّى إلى مفعولين دائماً، ووَجَدَ يتعدَّى إليهما تارة وإلى واحدٍ تارة أخرى، كقول من قال وجدتُ الضالَّةَ، فهو مشترك، وألفى خاص؛ فكان الموضع الأول أنسب به[٥٦٩].

الفعل الناقص:

هناك معانٍ في القرآن الكريم تأتي من أجلها (كان) ومن منهجه يذكر معان متعتدد إن وجد في الكلمات مايحتمل أكثر من معنى، فذكر الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى هذه المعان التي وردت في القرآن الكريم كالحال والماضي المنقطع والاستقبال وأنها تفيد الدوام وتأتي بمعنى صار.

ويذكر في قوله سبحانه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[٥٧٠] {كان} للماضي وهو هنا للحال، وتأتي لفظة كان في القرآن الكريم على خمسة معان:

ـ تأتي للحال، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمؤمِنِينِ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾[٥٧١].

ـ وللماضي المنقطع في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾[٥٧٢] وهو الأصل في معانيها.

ـ وللاستقبال كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[٥٧٣].

ـ وللدوام، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٥٧٤].

ـ وجاءت بمعنى صار[٥٧٥]، ومنه في قوله جلّ وعلا: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَفِرِينَ﴾[٥٧٦].

وقد تستعمل (كان) تامة لا خلاف فيه، لذلك جعلها الأنصاري رحمه الله تعالى تامة في قوله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ﴾[٥٧٧]، أي كنتم في سابق علم الله تعالى أو في يوم أخذ الميثاق على الذرية، فأعلم بذلك أن كونهم خير أمَّةٍ صفةٌ أصليةٌ فيهم وليست بعارضة

---

[٥٦٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٤٤.
[٥٦٨] البقرة: ٢/ ١٧٠.
[٥٦٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٦.
[٥٧٠] البقرة: ٢/ ١٤٣.
[٥٧١] النساء: ٤/ ١٠٣.
[٥٧٢] النمل: ٢٧/ ٤٨.
[٥٧٣] الإنسان: ٧٦/ ٧.
[٥٧٤] النساء: ٤/ ١٧.
[٥٧٥] البقرة: ٢/ ٣٤.
[٥٧٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٦.
[٥٧٧] آل عمران: ٣/ ١١٠.

متجددة، أو تكون بمعنى {كُنْتُمْ} أي وجدتم، بجعل كان تامة[٥٧٨]، وينزل المعنى المرجو منها على حسب الصيغة للجملة، وهذه منّة على هذه الأمة.

وجاء معنى تامّة أي: مستغنية بمرفوعها، نحو قوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ}[٥٧٩]؛ يعني: وإن حصل ذو عسرة؛ {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}[٥٨٠]؛ أي حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح[٥٨١].

مسألة في الحال:

الحال لغة يطلق على الوقت الذي فيه الإنسان وعلى الحال الذي هو فيها من خير ومن شر. واصطلاحا: اسم يذكر الهيئة للفاعل أو المفعول حين وقوع الفعل، نحو: انقل الخبر صحيحا[٥٨٢] فالحال نوعان حال مبينة: وهي التي تأتي لبيان الهيئة، كـ: جئت راكباً، و: ضربته مكتوفاً. فراكبا: حال مبينة لهيئة حال الفاعل، فهي تدل على معنى لا يفهم مما قبلها، وحال مؤكدة: وهي التي يستفاد معناه بدون ذكرها فلا تفيد معنى جديداً[٥٨٣].

والأنصاري يكشف اللبس الواقع بين الكلمات الملتبسة على القارئ مع السبب والتعليل النحوي وغيره، كما في الحال المؤكدة وغيرها، وفي نحو قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُم مُعْرِضُونَ﴾[٥٨٤]يوضح الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير اللبس بين كلمتين ـ وهو التوليّ والإعراض ـ بإظهار مسألة نحوية توضّح اللبس الموجود، بأنَّه لا محذور فيه، أي بأنَّ التولي والإعراض واحد ـ وجمع بينهما ـ لأنَّ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْتُم مُعْرِضُونَ﴾ حال من فاعل {تَوَلَّيْتُمْ} وتكون حال مؤكدة كما في قوله تبارك وتعالى في سورة التوبة: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُّدْبِرِينَ﴾[٥٨٥]. ومن ذلك في الحال المؤكدة ما يوضحه الأنصاري في قوله تعالى: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٥٨٦] فالعثّو هو الفساد، فيكون المعنى: ولا تفسدوا في الأرض مفسدين.

يقول الأنصاري: لا محذور فيه، وغايته أن "مفسدين" حال من فاعل تعثوا فهي حالٌ مؤكدة، وهي حال مؤسِّسة، كون العثُّو هو التمادي في الفساد، فهو أخص من الفساد، كما قال

---

[٥٧٨] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص، ٥٩.
[٥٧٩] البقرة: ٢/٢٨٠.
[٥٨٠] الروم:٣٠/ ١٧.
[٥٨١] ابن هشام، ***أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك***، ج١، ص١١٦.
[٥٨٢] ابن هشام، ***أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك***، ج١، ص٤٣٠، ناصيف، ***الدروس النحوية***، ج ٣، ص١٨٤.
[٥٨٣] ابن هشام، ***أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك***، ج١، ص٤٣٠.
[٥٨٤] البقرة:٢/ ٨٣.
[٥٨٥] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢٨. التوبة:٩/ ٢٥.
[٥٨٦] البقرة: ٢/ ٦٠.

الزمخشري: (لا تتمادوا في حال فسادكم)[٥٨٧]. فتكون المرجعية في تحديد الحال هل هي مؤكدة أم غير مؤكد هي الدلالة المعنوية. وبهذا فرق سيبويه بين قول القائل: هذا زيد معروفا، وبين قوله وهذا زيد منطلقا، حيث قوله (معروفا) حال مؤكدة، لأن المعنى هو أنك أردت أن تبين بأن المذكور (زيد) عندما قلت: معروفا.... لأنه يعرف ويؤكد.

مسائل صرفية:

الصرف هو العلم الذي يهتم بدراسة أبنية الكلمات والمفردات، ويرصد ما يعتريها من صيغ لغوية مختلفة، وتعريف الصرف تعريفا أكثر شمولا: بأنه العلم الذي يدرس التغير الذي يطرأ على بنية المفردة العربية، بسبب تبديل معانيها ونظامها الصوتي، ويضع القواعد والأحكام اللازمة لضبط ذلك؛ وذلك في الأفعال والأسماء، حيث يختص هذا العلم بالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة.

وقد تعرض الأنصاري رحمه الله تعالى لمسائل في الصرف خلال تفسيره، وبيّن موضّحا أهمية الصرف في تفسير معانـــي آيات القرآن الكريم، ومن تلك المسائل:

١- تغاير الصيغ الفعلية ذات الأصل في الاشتقاق الواحد للقرآن منهجاً فريداً في توظيف الأفعال، فيوظّف هذه الأفعال بكل تشكيلاتها الصرفية في سياقات متنوعة ومتلائمة، بالرغم من الاتحاد الصيغي لهذه الأفعال، حيث إن جذورها اللغوية واحدة. ومثاله في قوله تبارك وتعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ﴾[٥٨٨]، فقد وظف القرآن الكريم في هذه الآية الفعل {نَزَّلَ}و{أَنْزَلَ} مع اقتران صيغة {نَزَّلَ} بالقرآن الكريم، والاقتران صيغة {أَنْزَلَ} بسياق إنزال التوراة والإنجيل، فما هو السر الجمالي في هذا التغاير؟ يأتي السر لأسباب عدة: ومن أهمها الاحتراز عن كثرة التكرار. ولمناسبته لـــــــ {مُصَدِّقاً} خص المشدَّد في الأول.

ومن منهجه التفريق بين التضعيف والتخفيف في الكلمات المتشابه التي توهم الاختلاف، فيبينها مبينا رأيه فيها بدون تعصب له مع ذكر قول المخالفين لهذا الرأي.

ومنها: أنّ القرآن نزل منجَّماً وأما التوراة والإنـجيل فقد نزلا جملة واحدة، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ﴾[٥٨٩]فالأولى بالتضعيف، وأريد به القرآن، وفي قوله تعالى في الآية السابقة: {وَأَنْزَلَ} بعدم التضعيف، أريد به الثاني أي التوراة والإنجيل.

---

[٥٨٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٢٦.
[٥٨٨] آل عمران: ٣/ ٣.
[٥٨٩] آل عمران: ٣/٣.

ورُدَّ على هذا القول بأدلة:

الأول: بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَان جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[٥٩٠].

والثاني: بقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[٥٩١]بدون تشديد إن أريد به القرآن. فصيغة فَعّلَ للمبالغة والتكثير، وهذا مما يناسب القرآن الكريم الذي نزل منجمًا على فترة زمنية معروفة، بخلاف نزول التوراة والإنجيل فقد نزلا دفعة واحدة، ولذا فقد تمت المخالفة هنا في توظيف الفعلين (نزل وأنزل) عل إرادة المبالغة في صيغة فَعّلَ، وإرادة معنى النزول فقط في صيغة أفْعَلَ.

وعلى هذا يكون معنى التدرّج والتكرار في الإنزال مما يستفاد من التعبير بصيغة نَزَّلَ لأنها تقتضي الإنزال مرة بعد مرة، فمعنى المبالغة ومعنى التكرار والتدرج في الإنزال هما سمة مميزة لهذه الصيغة، وعلى هذا فإن صيغة نَزّلَ لها أربع دلالات تتمثل في: المبالغة والتكثير والتدرج والتكرار، وذلك بخلاف صيغة أنْزَلَ التي تقف حدودها الدلالية عند عمومية الإنزال وشموليته، فالذي يحدّد التبادل لموقع هاتين الصيغتين المقامات السياقية التي تتطلب مثل هذا التوظيف[٥٩٢]، وهذا من جماليات اللغة العربية.

ومنها: اختلاف الصيغة الصرفية من المتشابه في كلمات القرآن بالإدغام والفكّ ـ أي الإظهار ـ مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى﴾[٥٩٣] قاله هنا بالإظهار

وفي سورة الأنفال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهَمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرُسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥٩٤]، وقال في الحشر بالإدغام: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهَمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرُسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥٩٥]، لأنّ (ال) في اسم الله لازمة بخلافها في لفظ الرَّسول، لأن حركة الحرف الثاني في ذلك وإن كانت لالتقاء الساكنَيْن كاللازمة لمجاورتـها اللازم، فلزم الإدغام في سورة الحشر دون غيرها، وإنما أظهر في الأنفال مع وجود لفظ الله في سورة الأنفال لانضمام الرسول إليه في العطف، لأن التقدير فيه أن الحرف الثاني اتَّصَل بالـمتعاطفيْن جميعا، إذ الواو تُصيّرهما في حكم شيء واحد[٥٩٦]، وهذا عطف النسق.

---

[٥٩٠] الفرقان: ٣٢/٢٥.
[٥٩١] آل عمران: ٣/ ٤.
[٥٩٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٥١.
[٥٩٣] النساء: ٤/ ١١٥.
[٥٩٤] الأنفال: / ١٣.
[٥٩٥] الحشر: ٥٩/ ٤.
[٥٩٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٧٤.

المطلب الخامس: منهجه البلاغي

القرآن كلام عربي رباني أعجز أرباب البلاغة والبيان وفصاحة الفصحاء من أرباب الخطابة ، وأهل المعلقات ، وأكثر من عرف قيمة ومكانة هذا النص هم الجيل الذي نزل فيهم وتحداهم منزله بأن يأتوا على شاكلته فعجزوا ، و يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه: فكان لموسى عليه السلام عدد من المعجزات كفلق البحر، واليد، والعصا، وتفجّر الحجر في التّيه بالماء الرّواء، إلى سائر أعلامه زمن السّحر، ولغيره من الأنبياء من المعجزات لا مجال لذكرها[٥٩٧].

فالبلاغة من أجل العلوم العربية وأدواتها، اكتسبت في مجال التداول العربي قدراً من التعظيم بها ممارسة وتنظيرا، حتى كانت مِن أرسخ الفنون اللغوية وأقدمها، ولها دور كبير في بيان وجوه الإعجاز في نظم القرآن الكريم. ولذلك لم يجد العلماء بُدّا في توظيفها في التفسير، وذلك لما في فضلها من اكتشاف معاني القرآن الكريم[٥٩٨]، والقرآن كتاب بلاغي بامتياز ولا يمكن أن يأتي كلام بوزنه في البلاغة والبيان.

تعريف البلاغة لغة: تنبئ عن الوصول والانتهاء.

واصطلاحا: يرى المتقدمون ـ كالجرجاني ـ أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة إنما هي ألفاظ مترادفة يوصف بها الكلام من بعد التوخي في معاني النحو بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ الكلام لها. وقال قبل ذلك أبو هلال العسكري: الفصاحة والبلاغة وإن اختلف أصلهما لكنهما ترجعان لمعنى واحد، فكل واحد من الفصاحة والبلاغة غايته الإبانة على المعنى والإظهار له[٥٩٩].

ومنهج الأنصاري في البلاغة في كتب التفسير واضح جليّ، فإنه يكشف من خلال الآيات في القرآن الكريم التشبه الرباني، بتوضيح المعنى المراد منه، ويظهر عند استخدام المولى تبارك وتعالى الاستعارة بالألفاظ، ويبين الأنصاري سبب هذه الاستعار في اختيار هذه الألفاظ، كما تجد أن هناك ألفاظ ظاهرة لايحتاج لذكرها، فبين سبب ذكرها كالمقابلة اللفظية، والكناية والتورية وغير ذلك من وجوه البلاغة القرآنية، ولم يخلُ كتاب "فتح الرحمن" من هذا العلم:

١ـ علم البيان (الحقيقة والمجاز):

---

[٥٩٧] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ***تأويل مشكل القرآن***، ج ١، ص١٧، تح، إبراهيم شمس الدين، د. الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[٥٩٨] *سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني*، (ت:٧٩١هـ)، *مختصر المعاني*، ص١٤، د. مكتبة سيدا، ط١، ٢٠١٨م.

[٥٩٩] أحمد مصطفى المراغي، ***علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع***، ص١٤، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، د. الكتب العلمية، بيروت ـ بيروت.

علم البيان علم يراد به المعنى الواحد وإن كان بطرق مختلفة في وضع الدِّلالة عليه، ودلالة اللفظ على ما وضع اللفظ له؛ وتسمى هذه وضعية أو على جزئه وهذه عقلية أو على خارج عنه وكذلك هذه عقلية[٦٠٠]، والحقيقة لها ضربان:

حقيقة تأتي من طريق اللغة، فهي واضحة المعنى معروفة الهدف حقيقة كما تقول إذا أطلقنا السبع على الحيوان المعروف، وأطلقنا اليد على الجارحة المخصوصة، فيكون هذا الإطلاق حكما آتيا من طريق اللغة، كما أن المتكلم استعمل الكلمة فيما وضعت له ابتداء في اللغة.

وحقيقة من طرف المعنى والمعقول، كما إذا وصفنا الجملة من الكلام بالحقيقة، فهذا الوصف يأتي من ناحية المعقول لا يكون من ناحية اللغة، فإنه لا يصحّ ردُّ الأوصاف اللاحقة للجمل على أنها جمل إلى اللغة، لأن التأليف هو إسناد اسم إلى فعل، أو إسناد اسم إلى اسم، وهذا يحصل بقصد المتكلم، كما تقول مثلاً: هل يمكن أن تقول في معنى كتب خبراً عن محمد في قوله: محمد كتب بوضع اللغة، بل بمن قصد إثبات الكتابة فعلا له.

والحقيقة في اللغة على وزن فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت، أو تكون بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبته؛ ثم نقل من إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي، والتاء فيها للنقل من صيغة الوصفية إلى الإسمية. فيعلم مما سبق أن الحقيقة قسمان لغوية وعقلية.

تعريف الحقيقة اللغوية: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له. والحقيقة العقلية: هي إسناد الفعل أو في معنى الفعل إلى ما له عند المتكلمين من الظاهر[٦٠١]، ويُلاحظ الجمع بين الحقيقة والمجاز في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٦٠٢]، فيذكر الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى بأنَّ الذي يُوصف بالنظر بمعنى الإبصار، والنظرُ يكون بالعين لا بالوجه؟ ففي الآيات هنا أطلق الوجه وأراد جُزءَه، وفي إطلاق لفظ {وُجُوهٌ} بالنظر إلى {نَاضِرَةٌ} و{نَاظِرَةٌ} فقد جمع فيها بين الحقيقة والمجاز، وهو جائز[٦٠٣]، والمجاز المرسل في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٦٠٤]. وهذا ماأشار إليه الأنصاري رحمه الله تعالى: القراءة من القرآن ما يُقرأ في الصَّلاة، بأن تُصَلُّوا ما تيسَّر من الصَّلاة بما تيسر مِن القرآن، وهذا يرجع إلى قول بعضهم ـ كما قال الأنصاري ـ بأن المراد بـقوله {فَاقْرَءُواْ} صلُّوا، وإن عبَّر بالقراءة عن الصلاة التي هي بعضُ واجباتها، فهو من إطلاق الجزء على الكل، وفي قوله بعده ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ تأكيدٌ، حثاً على قيام الليل بما تيسَّر.

---

[٦٠٠] التفتازاني، ***مختصر المعاني***، ص٢٢٤.
[٦٠١] المراغي، ***علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع***، ص٢٤٦.
[٦٠٢] القيامة:٢٢، ٢٣.
[٦٠٣] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٣٨.
[٦٠٤] المزمّل:٧٣/ ٢٠.

وفي علم البلاغة يسمى هذا من المجاز المرسل، حيث أطلق القراءة وأراد بها الصلاة، فهو من إطلاق الجزء على الكلّ، لأن القراءة أحد أركان الصّلاة [٦٠٥]، إذا فالمجاز المرسل يستخدم لغير ماوضع له، وهذا وجهٌ من وجوه البلاغة.

والمجاز: يعمّ الاستعارة ويعمّ غيرها من أنواع المجاز؛ لأنَّ المجاز يعني نقل اللفظ من دلالته على المعنى الذي وضع له إلى معنى آخر لوجود علاقة بينهما، بالإضافة إلى وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، كقول الله سبحانه وتعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}[٦٠٦]؛ فالمكان لا يُدعى إنما يُدعى الذين يحلّون في هذا المكان، والقرينة على ذلك الاستحالة، والعلاقة لذلك هي المحلية، فأطلق المحلّ ولكن أُريد الحال.

ومثال المجاز أيضا في قوله سبحانه وتعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}[٦٠٧] فالآذان لا تدخل إليها جميع الأصابع، وإنما المراد بعضها، والعلاقة في ذلك الجزئية، فأطلق الكلّ وما أريد به إلا الجزء[٦٠٨]، وهذا من صور البيان في القرآن.

والاستعارة تختصّ من أنواع المجاز بأنها مجاز علاقته المشابهة بين المعنى الذي نقل اللفظ إليه والمعنى الأصلي.

والاستعارة من حيث إنَّ العلاقة فيها المشابهة، فهي من ضروب التشبيه، إذ دخل فيه المشبه في عموم المشبه به، فكانت المناسبة بينها وبين ما سبقها من تشبيه أقوى من دخولها في عموم المجاز[٦٠٩].

وله أنواع كثيرة: فمنه الحذف والزيادة، ومنه إطلاق اسم الكل على الجزء كقوله تعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} ٦١٠ أي أناملهم ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار [٦١١].

ومنهجية الأنصاري في المجاز يفسر الكلمة التي ذكرت مجازا، ثم يبين أنها مجازا، ويذكر الحقيقة لها، ومن ذلك في مصنفات الشيخ زكريا للاستعارة والتشبيه والمجاز وغيرها

---

[٦٠٥] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٣٣٥.

[٦٠٦] العلق: ١٧، ١٨.

[٦٠٧] البقرة: ١٩.

[٦٠٨] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، ***المعجزة الكبرى القرآن***، د. الفكر العربي، ص١٩٥.

[٦٠٩] أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، ص١٩٦.

[٦١٠] البقرة: ١٩/٢.

[٦١١] السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج٣، ص١١٨. ١٢٢.

كثير؛ كما في قوله في كتاب "فتح الرحمن": {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَاسِ..}.[٦١٢] قال عند تفسير هذه الآية: فإن قلتَ كيف جعل الأصنام مضلَّةَ والمضِلَّ ضارٌّ وقد نفى الضرر عنهم بقوله تعالى: {وَيعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ}![٦١٣] قلتُ: نسبةُ الإضلال إليها مجاز، فهو من باب نسبة الشيء إلى سببه، كما يُقال: فتَنتهم الدنيا، وكما في قولهم دواءٌ مُسْهِل؛ فهي سببٌ للإضلال، وأما فاعلُه على الحقيقة فهو اللَّهُ تبارك وتعالى[٦١٤].

ومن ذلك إظهار المجاز في الكلمات القرآنية وتبيان الحقيقة الأصلية من المجاز كما قوله تعالى: {قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كنَّا مُسْتَضْعفِينَ فِي الأَرْضَ. .}[٦١٥] الآية.

إن قلتَ: هذا الجواب ليس مطابقاً للسؤال، بل المطابقُ له: كنَّا في كذا، أولم نكنْ في شيء؟

قلتُ: المرادُ بالسؤال توبيخُهم بأنهم لم يكونوا على الدِّين، حيثُ قدروا على الهجرة ولم يُهاجروا، فصار قول الملائكة " فيمَ كنتم " مجازاً عن قولهم: لمَ تركتُم الهجرة؟ فقالوا اعتذاراً عمَّا وُبِّخوا به " كُنَّا مستضعفين في الأرض "[٦١٦].

وبين الشيخ أن مقابة الجمع للجمع في الأصل والفرع والفرع من المجاز، لأن الأصل لايقابل إذا كانت الصفة مؤنث والموصوف مذكر كما في قوله: (فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ)[٦١٧]، فالأصل للجمع بالألف والتاء، فالأيام واحدها يوم، والمعدودات واحدها معدودة واليوم لا يوصف بمعدودة؛ لأن الصفة هنا مؤنثة والموصوف مذكر؟

فبين الأنصاري أنه أجرى معدودات على لفظ أيام وقابل الجمع بالجمع بالفرع مجازا، والأصل معدودات؛ والفرع معدودة كما قال تعالى: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً).[٦١٨] واستدل الأنصاري بمثال من القرآن الكريم بالجمع لكليهما.

٢ ـ التشبيه:

التشبيه في القرآن الكريم هو من أساليب بلاغته العالية، وفيها استخدامات بيانية مميزة ـ تربوية ودعوية ـ وكانت وجها من وجوه الإعجاز القرآني، ومن ذلك ما جاء في كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" كقوله تبارك وتعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَواتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِ

---

[٦١٢] إبراهيم: ١٤/ ٣٦.

[٦١٣] يونس: ١٠/ ١٨.

[٦١٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٢٩٤.

[٦١٥] التوبة، ٩/٦٥.

[٦١٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١٢٢.

[٦١٧] البقرة، ٢/٣٠٢.

[٦١٨] الأنصاري، ***إعراب القرآن***، ص١٨٨. البقرة، ٢/٨٨.

كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾[٦١٩]. فالأنصاري يحلل الكلمات كلمة كلمة ليصل إلى المعنى المراد من هذا التشبيه، ويبين سبب هذا التشبيه باختيار هذا المثال لا غيره بلفتات عظيمة تدل على عظمة التشبيه البلاغي في القرآن، فيقول الشيخ زكريا رحمه الله تعالى: إنَّ{مَثَلَ} هي صفة {نُورِهِ} تبارك وتعالى كصفةِ نور مِشْكَاة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ وهي القنديل.

والمصباح: الفتيلة الموقودة. والمشكاةُ الأنبوبةُ في القنديل، فصار المعنى: كمثل نور مصباح في مشكاةٍ في زجاجة.

وقد مثَّل الله تعالى نوره ـــ أي معرفته في قلب المؤمن ـــ بنور المصباح دون نور الشمس، مع أن نورها أتمُّ. فالمقصود إذًا هو تمثيلُ النور في القلب، والقلبُ يكون في الصَّدر، والصَّدر في البدن كالمصباح، والمصباحُ في الزجاجة، والزجاجة في القنديل. وهذا التمثيل الَّذي مثَّل به ربُّنا تبارك وتعالى تمثيل مستقيم، ولا يستقيم هذا في غير ذلك، ولأن نور المعرفة له آلاتٌ يتوقَّفُ عليها مجتمعة، كالذِّهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها من الصفات والمدارك، كما أنَّ نور القنديل يتوقف على اجتماع القنديل والزيت والفتيلة وغيرها، أو لأن نور الشمس يُشرقُ متوجهّاً إلى العالم السُّفلي. وأما نور المعرفةِ فإنّه يُشرقُ متوجهاً إلى العالم العُلْويّ، كنور المصباح. وقال رحمه الله تعالى: ولكثرةِ نفع الزيت وخلوصِهِ عمَّا يخالطه غالباً، وقعَ التشبيهُ في نوره دون التشبيه بنور الشمس، مع أنه أتمُّ من نور المصباح[٦٢٠]، وهذا معين العربية لا ينضب.

٣ ـ الاستعارة:

وهي أن تريدَ تشبيه الشيء بالشيء، فتعرض عن الإفصاح بالشبيه وإظهاره، وتجيءَ إلى اسم المشبه به فَتُغَيّرَهُ وتُجْريَهُ عليه. فمثلاً: تريد أن تقول رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بَطْشه، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً[٦٢١].

منهج الأنصاري يظهر سبب استخدام الكلمات المستعارة في كتاب الله تعالى، والمعنى الأصلي لها، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ﴾[٦٢٢]بأن يصبَّ العذاب فوق رُؤوسهم، مع أن العذاب لا يصبُّ وإنما يصب الحميمُ الذي هو سبب للعذاب، كما

---

[٦١٩] النور:٢٤/ ٣٥.

[٦٢٠] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ٢١٣.

[٦٢١] الجرجاني، ***دلائل الإعجاز***، ص/٦٧.

[٦٢٢] الدخان: ٤٤/ ٤٨.

قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[٦٢٣]، فاستخدم الاستعارة حتى يكون الوعيدُ أهيبَ وأعظم[٦٢٤]، والاستعارة من وجوه التعبير البلاغي المتميز.

٤ ـ المقابلة:

المقابلة: إيراد المتكلم بالكلام، ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة[٦٢٥].

ومن النماذج التي ذكرها الأنصاري رحمه الله تعالى أنه يكشف السبب لتكرار الكلمة التي ظاهر توهم الزيادة، وهي نوع مهم في إظهار بلاغة القرآن كما في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهَوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهَوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٦٢٦]، فقد خصَّ الله سبحانه وتعالى ذِكرَ الأبصار في الثاني مع أنَّ الله تعالى يدرك كلّ شيء، وهذا لرعاية المقابلة اللفظية، وهي نوع من البلاغة، ويسمى هذا النوع طباق السَّلب، وهو من المحسنات البديعية، والمقابلة بالمعنى مقابلة الفعل بالفعل نحو قوله تعالى:{ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً}٦٢٧؛ فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته[٦٢٨]. فالمقابلة تكون بالمعنى واللفظ أو كليهما معا كما مرّ، وهو مما ورد وروعي هذا الموضع في القرآن كثيرا.

٥ ـ الكناية:

وهي لفظ أريد به غير المعنى الموضوع له، مع إمكان إرادة معناه الحقيقي، وذلك لعدم نصب قرينة على خلافه.[٦٢٩] ومن منهجه يكشف عن أنواع الكناية الواردة في القرآن ويبنها بالتفصيل كما في قول الله تعالى ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي، يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾[٦٣٠]، قال الشيخ الأنصاري: صرح الباري هنا بعقدة اللسان.

---

[٦٢٣] الحج:١٩/٢٢.

[٦٢٤] الأنصاري، **فتح الرحمن**، ص ٢٨٢.

[٦٢٥] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، ***الصناعتين***، تح، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص٣٣٧، د. المكتبة العنصرية – بيروت، ت، ١٤١٩ هـ.

[٦٢٦] الأنعام: ٦/ ١٠٣.

[٦٢٧] النمل، ٢٧ /٥٠.

[٦٢٨] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٩٩.

[٦٢٩] الجرجاني، ***دلائل الإعجاز***، ص ٢٠٩.

[٦٣٠] طه: ٢٨،٢٧.

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَلَا يَنْطِقُ لِسَانِي﴾[٦٣١]، وفي سورة القصص قال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ[٦٣٢] مِنِّي لِسَاناً﴾[٦٣٣]، وفي سورة طه صرَّح بعقدة اللسان لسبْقها، وفي سورة الشعراء كنَّى عنها بما يقربُ من الصَّريح، وفي سورة القصص جاء بكنايةٍ مبهمة، لأنَّ تلك الكناية التي سبقتها تدلُّ عليها[٦٣٤]، وهذا تعبير يوحي بلبوس ارتقى بالنص العربي، ويظهر أن للكناية أقسام متعددة تجده في كتب البلاغة.

٦ ـ التورية:

هذا أسلوب من أساليب العرب لوقوعهم في مصيبة فيوهم السامع بشي يقوله وهو يريد خلافه بأن هذا القول يفهم له معنى بعيد وواحد قريب. فالتورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما، فتوري عنه بالآخر.

قال بعض العرب[٦٣٥]:

خيلٌ صيامٌ وخيل غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ وأخرى تعلك اللجما

أراد القائل بالصيام ها هنا القيام؛ فورى عنه بقوله: تعرك اللجما[٦٣٦].

ومن نماذجها التي اتبعها الشيخ رحمه الله تعالى قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[٦٣٧]، هذا من باب التورة، فجاز ليوسف عليه السلام بأن يأمر المؤذن بأن يقول ما قال، مع أنَّ القول فيه بهتانٌ واتهامٌ لمن لم يسرقْ بأنه سرق، فكان قوله هذا تورية عمّا جرى منهم مجرى السرقة من فعلتهم بيوسف عليه السلام قبلُ، أو قاله المؤذن بغير علم يوسف عليه السلام، أو هو من الحيل الشرعية التي يتوصل من خلالها إلى مصالح دينيَّة جليلة، كقوله تعالى خطاباً لأيوب عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾[٦٣٨]، وكقول إبراهيم عليه

---

[٦٣١] الشعراء: ١٣.

٦٣٢ أي: من جهة اللسان، بسبب العقدة التي حصلت له عند وضع الجمرة في فيه وهو طفل في كفالة فرعون، وقيل كانت من أصل الخلقة. ***من كتاب السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير***، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، نشر: مطبعة بولاق "الأميرية ــ القاهرة ت/ن: ١٢٨٥ هـ، ج٣، ص٩٩.

[٦٣٣] القصص: ٣٤.

[٦٣٤] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٩٥.

[٦٣٥] قاله النابغة، ذكره الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير (ت: ٢٥٥هـ) ***البرصان والعرجان والعميان والحولان***، *ص٤٢١*، د. الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ. *ينظر* جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، ***المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام***، ج١٧، ص٣٩٩، د. الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، عدد الأجزاء:٢٠.

[٦٣٦] **أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)**، ***البديع في نقد الشعر***، تح، أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، د. الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي، ص٦٠.

[٦٣٧] يوسف:٧/١٢.

٦٣٨ ص: ٤٤/٣٨.

السلام في حقّ زوجته: ﴿هِيَ أُخْتِي﴾ لينقذها من يد الكافر لما هاجر ومعه زوجته سارة إلى مصر.

فالمعنى القريب: هو وصف يوسف عليه السلام لإخوته بالسرقة مع أنهم لم يسرقوا، وأما المعنى البعيد المراد من بعد التورية هو: وصفه لهم بما صدر منهم في الماضي من ظلم وعدوان ضده. فلذلك وصفه الشيخ زكريا الأنصاري أنه من التورية[٦٣٩]، والتورية من التعابير التي تخرج الملم من الحرج أحيانا.

[٦٣٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص ١٥٢.

المطلب السادس: مسائل متفرقة من العقائد والفقه ومن شرح المفردات

لم يخلو منهج الأنصاري التفسيرية من الفروعات العقائدية والفقهية ثم تمّ انتقاء بعض المسائل من مصنفات الشيخ زكريا، فكانت هذه المسائل كنماذج وأمثلة تبيّن منهجيّته وطريقته في عرض المسائل منها من المتشابه فيوضح التشابه فيزيل الالتباس أو بطريقة السؤال والجواب سواء كانت في العقيدة أو الفقه أو غير ذلك من العلوم.

أولًا في العقيدة:

العقيد الإسلامية أساس هذا الدين فلا بد من الإستسلام لله تعالى والإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من أمور غيبية وغير غيبية.

وهذه الآيات إنما تخص العقيدة الإسلامية والإيمان بها واجب على كل مؤمن يؤمن بالله ورسوله قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾[٦٤٠]، وقال في آية أُخرى بعدها يقول: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾[٦٤١]، ذكر الشيخ الأنصاري سبب مجيء الآيتين بهذا اللفظ لأنهم أنكروا وجود النَّار يوم القيامة وجزاءَ الله تعالى ونَكَالَه فيها، فقال في الأولى {عَلَى النَّارِ} وأما في الثانية فقال: ﴿اذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يعني وقفوا: عَلَى حكم اللَّهِ وقضائه فيهم وجزاء ربهم، ونكاله في النَّار.

والنَّـار حَـقٌّ أُوجِـدَتْ كـالـجنَّة ... فَـلا تَـمِلْ لـجاحِدٍ ذِي جِـنَّة

دارا خُـلُـودٍ لِلـسَّـعِـيدِ والـشَّـقِيْ ... مُـعَذَّبٍ مُـنَعَّمٍ مَـهْمَا بَـقِـيْ[٦٤٢]

جاءت الآيات لمن أنكر النار ويوم الجزاء وأظهر الأنصاري المعنى الحقيقي للآيات، وكما قال اللقاني مي معنى الآبيات: النار حق كما أن الجنة حق مهي موجودة، فإياك أن تضل وتميل مع المائلين الجاحدين المنكرين، وهي دار خلود فالسعداء في الجنة والأشقياء في النار، فالشقي معذب والسعيد منعّم.

قال تعالى فيما يخص العبد من االأعمال التي يقوم بها: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}[٦٤٣] الله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء المدبر للعباد أمورهم وهو الموجد للأشياءعلى الحقيقة فليس للعبد الخيرة في شيء إلا ماكان بطريق الكسب الذي أقدره الله تعالى

---

[٦٤٠] الأنعام:٦/ ٢٧.

[٦٤١] الأنعام:٦/ ٣٠.

[٦٤٢] الأنصاري، فتح الرحمن، ص١٦٣. ينظر، الشيخ برهان الدين اللقاني المالكي رحمه الله تعالى. ***متن جوهرة التوحيد***، في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص٨، رقم الآبيات١٠٩.

[٦٤٣] القصص، ٦٧/٢٨.

عليه[٦٤٤]فالإنسان يكون ميسر بأشياء ومخير ببعضها ومن أمثلة ذلك حركة الإرتعاش عند العبد وحركته عند الطعام فحركته بالارتعاش خارجة عن قدرته وقصده وفعله ولو كان مخير فيها لما يفعل ذلك، وأما الحركة بالطعام عند الشعور بالجوع وإرادة هو كان يختار تلك الحركة والتحكم بها بقصد وفعل[٦٤٥]. وجاءت عند الأنصاري بصيغة السؤال والجواب وبين حقيقة الأمر.

ثانياً في الفقه:

الفقه مهم في حياة الناس فبه تعرف الأحكام الشرعية ومالك وماعليك والحلال والحرام. وهذا من اختصاص الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والحديث ومما أقره الفقهاء.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[٦٤٦]، فالمذكور هنا بعض واجبات الوضوء والتيمم، وهي من الأمور الفقهية المتعلقة بالوضوء والطهارة؛ وحسن البيان والزيادة، في سورة المائدة بقوله {مِنْهُ}[٦٤٧]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[٦٤٨]. أي وما أكل منه السَّبُع، وهو الباقي، إذ إنّ ما أكله السَّبُع هو عُدِم يتعذَّر أكله، فلا يَحْسُنُ تحريمُه[٦٤٩].

فيتبن من خلال الأمثلة تعرض الأنصاري لمسائل فقهية يشرحها ويبن من الآيات الحكم الشرعي الذي أراده الشارع منّا، فيذكر الأنصار الزيادة في المائدة زيادة بيان لذكر جميع واجبات الوضوء والتيمم فيها، وفي آية النساء جاء ببعض أحكام الوضوء والتيمم فكان الحذف ل(منه) أنسب، ويبن حكم ما بقي مما أكله السبع بأنه حرام وجاء الاستثناء بالتذكية.

ثالثاً معاني بعض المفردات:

ومن منهجه في إعراب القرآن يفسر بعض الآيات دون التطرق للنواعي الإعرابية أو البلاغية، ومن ذلك تفسير قوله تعالى قوله: {أَنْ يَفْقَهُوهُ}[٦٥٠] أي: مخافة أن يفقهوه، ومثلها قوله تعالى: {قُلْ لِلَّهِ} أي: هو لله[٦٥١].

---

[٦٤٤] الأنصاري، الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام، ص٣٧٠.

[٦٤٥] محمد سعيد زمضان البوطي، ***الإنسان مسير أم مخير***، دراسة علمية شاملة لمسألة التسيير والتخيير والقضاء والقدر، وما يتعلق بها من ذيول ومشكلات، ط٢، ١٤٢٢ه ـ ٢٠٠١م، د. الفكر دمش، المطبعة العلمية، ص٢٩.

[٦٤٦] النساء:٤/ ٤٣.

[٦٤٧] المائدة:٥/ ٦.

[٦٤٨] المائدة:٥/٣.

[٦٤٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، ص١٢٩.

[٦٥٠] الإسراء، ١٧/٤٦.

ومن منهجه يتعرض للتقدير ليبين المعنى ثم يأتي بالنواحي الإعرابية أو البلاغية وغيرها، كقوله قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} أي: الأمر كذلك، ويجوز أن يكون مبتدأ و (بِأَنَّهُمْ): الخبر[٦٥٢].

ومن معاني المفردات وحال النحوي في قوله: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي: أوحينا؛ فعدى بـ " إلى "[٦٥٣].

ومنه في كتاب "فتح الرحمن"ومعظم تفسيره في المتشابه اللفظي فلا يخلو من بعض المفردات التي تجدها في كتابه يفسرها مع إنها ليست من المتشابه، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٦٥٤]. أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً، أو: "آدم"، بمعنى خليفة عني بأمري، أو: خليفةً عن ملائكتي أو عن الجنّ.

وفي قول الله تعالى:﴿ اسْجُدُوا لِآدم ﴾[٦٥٥]، أي: سجود تكرمة لا سجود عبادة[٦٥٦] والشيء بالشيء يذكر: قال أبو إسحاق الثعلبي في تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} أي: سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة، ومن نظيره قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً}[٦٥٧] وكان ذلك تحيّة الناس وبه يعظّم بعضهم بعضا، ولم يكن ذلك بوضع الوجه على الأرض وإنما كان بالانحناء والتكبير والتقبيل؛ فلما جاء الإسلام أبطل ذلك واستبدله بالسّلام[٦٥٨]، وقال الأنصاري عند هذه الآية : إنّما جعله كالقبلة ثم كان السجود لله تعالى، شكرا لله على وجود يوسف بينهم، كما يقال: سجدتُ وصليتُ للقِبلة[٦٥٩].

وهذا من حرص الإسلام على إبعاد أتباعه عن عبادة الأوثان والشرك بالله تعلى مع تبيان المشكل بالنسبة للعباد. وفي إعراب القرآن للأنصاري قوله عند قول الله تعالى {شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} فسّر الشقاق بالخلاف، فلذلك حسن إضافته إلى بَيْن[٦٦٠].

---

[٦٥١] الأنصاري، **إعراب القرآن**، ص٢٥١.
[٦٥٢] الأنصاري، ***إعراب القرآن***، ٢٠٥.
[٦٥٣] الأنصاري، ***إعراب القرآن***، ٣٦٤. النحل، ١٦/ ٤.
[٦٥٤] البقرة:٢/ ٣٠.
[٦٥٥] البقرة: ٣٥/٢.
[٦٥٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٢٢.
[٦٥٧] يوسف: ١٠٠/١٢.
[٦٥٨] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، د. إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤٢٢، هـ ــ ٢٠٠٢ م، ج١، ص١٨٠.
[٦٥٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١٥٢.
[٦٦٠] الأنصاري، ***إعراب القرآن***، ص٢٢٥.

المبحث الثالث: أنواع علوم القرآن التي تلاحظ في مصنفاته

إنّ لعلوم القرآن الكريم وتفسيره أهمية بالغة لتعلقّها مباشرة بالقرآن الكريم وعظمته؛ ولذا فقد كثرت الدراسات ـ قديما وحديثا ـ حول علوم القرآن، فكتب كثير من المفسرين في مقدمة تفاسيرهم بحوثا حول علوم القرآن، وكذلك كثرت التعاريف له والمصنفات فيه.

وعلوم القرآن اسم مركب تركيب إضافي، فهو يشتمل على مضاف ومضاف إليه، ولهما تعريف في اللغة والاصطلاح.

فكلمة (علوم) لغة: جمع "علم"، والعلم في اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة. قال الفيروز آبادي: عَلِمَه عِلْماً: عَرَفَه[٦٦١]. والعلم في الاصطلاح: فقد وقع اختلاف في حدّ العلم، فبعضهم قال إنه لا يُحدّ، والأكثرون رأوا أنّ له حدّاً أو أن حدّه له إمكانية، مع اختلافات العبارات والألفاظ: فحدّه أبو بكر الباقلاني بأنه: معرفة المعلوم على ما هو به[٦٦٢]، وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه: إدراك الشيء بحقيقته، وهو ضربان:

الأول: إدراك الشيء، وهو المتعدّي إلى مفعول واحد، نحو: {لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ}[٦٦٣].

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، وهو المتعدّي إلى مفعولين، كقوله تبارك وتعالى: {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}[٦٦٤]-[٦٦٥]، وأما معنى القرآن في اللغة والاصطلاح:

ففي اللغة: القرآن مصدر مرادف للقراءة على زنة الغُفران والرجحان، وهمزته أصلية، وأما نونه فزائدة، فإن حذفت همزته ـ كما في قراءة ابن كثير ـ فمن باب التخفيف، ثم نقل في عرف الشارع من هذا المعنى المصدري، وجعل علما على مقروء معين، وهو الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله. وهذا التعريف مستند إلى موارد اللغة، وهو خالٍ من التكلف، وفي قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ

---

[٦٦١] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ***القاموس المحيط***، تح، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ج١، ص ١١٤٦، د. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

[٦٦٢] أبي بكر بن الطيّب الباقلاني البْري (ت:٤٠٣هـ)، **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، ص١٣، تح، محمد زاهد بن الحسين الكوثري، وكيل المشيخة العثمانية سابقاً، (ت١٢٩٦ ــ ١٣٧١هـ)، د. المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٤٢١ ــ ٢٠٠٠م. ينظر، أحمد الفاضل، **الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن**، ص٦٣، ط١، ١٤٣٨ه ـ ٢٠١٧م.

[٦٦٣] الأنفال: ٦٠/٨.

[٦٦٤] الممتحنة: ٦٠/٦٠.

[٦٦٥] الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ***القاموس المحيط***، ج١، ص ١١٤٦.

(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[٦٦٦] جاء في هذين الموضعين من القرآن الكريم مصدرا[٦٦٧] يعني: علينا جمع القرآن الكريم لك في صدرك بواسطة أمين الوحي، و(قرأنه) يعني: تقرأه بعد ذلك بلسانك، فهو مصدر مضاف إلى مفعوله (فإذا قرأناه) أي: أتممنا قراءته عليك بلسان أمين الوحي ـ جبريل عليه السلام ـ (فاتبع قرآنه) أي: قراءته[٦٦٨] وثمّت مذاهب أخرى في تعريفه[٦٦٩]، وإنما تعددت التعاريف عند العلماء للقرآن بسبب تعدد نظرهم في جوانب القرآن، فكان التعبير بأنه الكلام المعجز، وهو أوفاها بالمعنى.

فإن قال المؤلف: القرآن كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المعجز بسورة منه، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصحف[٦٧٠]، وهذا اسم لأنواع كثيرة من المباحث الخاصة بالقرآن الكريم المنزَّل على النبي صلى الله عليه وسلّم، جمعت تحت هذا الاسم وهي من الأهمية بمكان في تفسير القرآن الكريم إذ لا يمكن للمفسر أن يستغني عنها، فكيف يعرف الأحوال التي لابست القرآن من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر، كيفية نزوله وكيف روي بالتواتر وكيف استنبط المفسّرون معانيه وحكمه وأحكامه، ومعرفة الشبهات وغير ذلك، ولذلك عرفوا علوم القرآن بأنه: علم يتألف من مباحث تتعلّق بالقرآن الكريم، من ناحية نزوله وجمعه وترتيبه وبيان الوجوه التي نزل عليها، وأسباب نزوله وشرح غريبه ودفع الشبهات عنه، وغير ذلك بما يخص القرآن المبين[٦٧١].

وفي هذا المبحث بيان لأهم أنواع علوم القرآن التي يلاحظها المتأمّل في مصنفات الشيخ زكريا الأنصاري والتي ذكرها أثناء تفسيره لآيات ونصوص القرآن الكريم. وقد احتوى هذا المبحث على عدّة مطالب.

---

[٦٦٦] القيامة: ١٦/٧٥، ١٨.

[٦٦٧] عبد الوهاب غزلان، رئيس قسم التفسير في أصول الدين ـ جامعة الأزهر، ***البيان في علوم القرآن***، ص ٣٤، قام بتخريجه، أحمد محمد الفاضل، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية العلوم الإسلامية، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية في إسطنبول، د. البيروتي، ط١، ١٤٣٨هـ ــ ٢٠١٧م. ينظر، الفاضل، ***الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن***، ص٦٣.

[٦٦٨] غزلان، ***البيان في علوم القرآن***، ص٢٠، وينظر، البزُّرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت١٣٦٧هـ)، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، ج١، ص١٦، ط٣، د. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. عدد الأجزاء٢.

[٦٦٩] أحمد محمد الفاضل، ***الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن***، ص٦٦. ينظر، القطّان، منّاع القطان، ***مباحث في علوم القرآن***، ص٢١،٢٢، د. مؤسسة الرسالة، ط٢١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م.

[٦٧٠] عتر، نور الدين عتر، ***علوم القرآن الكريم***، ص٩، ط٦، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، د. مطبعة الصباح. ينظر، الفاضل، ***الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن***، ص٦٨.

[٦٧١] غزلان، ***البيان في علوم القرآن***، ص٤٤-٤٥-٤٦-٤٧. ينظر، الفاضل، ***الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن***، ص٧١.

المطلب الأول: المحكم والمتشابه

اعتنى المفسرون ببيان المحكم والمتشابه، إذ إن جميع آيات القرآن الكريم إمّا أن يكون النصّ فيها محكماً أو متشابهاً. فما هو المحكم وما هو المتشابه؟

تعريف المحكم

المحكم في اللغة يستعمل بمعنى المتقن، فيقال أحكم الأمر إذا أتقنه. ويقال: أحكم الرأي إذا منعه من الفساد وأحكمه. وجميع آيات القرآن الكريم محكم بهذا المعنى اللغوي، أي هي من المتقن الممتنع عن النقص والخلل، إذ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ إنّما هو {كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[٦٧٢].

والمحكم اصطلاحاً

ما دلّ على معناه بوضوح لا خفاء فيه، أو ما لا يحتمل تأويله إلا وجها واحداً، أو كانت دلالته راجحة، وهو النصّ والظاهر من النصّ.

مثل قوله الله تبارك وتعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا}[٦٧٣] فإنّ كلمة أحلّ وحرّم تدلّان على أن البيع حلال وعلى أنّ الربا حرام من غير حاجة إلى قرينة خارجية. والظاهر من سياق الآية ليس هو المقصود الأصلي؛ وهو عبارة عن نفي المماثلة بين البيع والربا الذي كان ردّاً على المشركين لأنهم قالوا: {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا}[٦٧٤].

وأمّا النص فهو ما دلّ بلفظه وصيغته على المعنى دون توقّفٍ على أمر خارجيٍّ، وذلك مثل قوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا}[٦٧٥]؛ فالمقصود الأصلي من سياق الآية إنما هو لتفرقة بين البيع والربا. وهذا النصّ أظهرُ في دلالته مِن الظاهر في دلالته على معناه، وإذا وقع التعارض بينهما فإننا نرجّح النصّ على الظاهر[٦٧٦].

تعريف المتشابه ـالمتشابه لغة:

---

[٦٧٢] هود:١١/ ١.

[٦٧٣] البقرة:٢/ ٢٧٥.

[٦٧٤] البقرة:٢/ ٢٧٥.

[٦٧٥] البقرة:٢/ ٢٧٥

[٦٧٦] مصطفى ديب البغا ومحيى الدين ديب مستو، ***الواضح في علوم القرآن***، د. الكلم الطيب، د. العلوم الانسانية ـ دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م، ص١٢٣-١٢٤.

الشّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أشباهٌ. وأشْبَه الشيءُ الشيءَ أي: ماثله. ويُقال: أشبهتُ فلاناً وشابهْتُهُ واشتبه عليَّ وتشابَه الشيآن واشتبها، أشبه كلّ واحدٍ منهما صاحبَه. وفي التنزيل {مُشْتَبِهاً}. وشَبَّهه إيّاه وشَبَّهه به مَثّله[٦٧٧]، وهو في القرآن كثير.

المتشابه اصطلاحاً:

قال الإمام الزركشيُّ في معنى المتشابه: هو إيراد القصّة الواحدة في صورٍ شتّى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص وأخبار الأنباء.[٦٧٨] وأضاف السيوطي ناقلاً عن الزركشي أن القصة الواحدة ترد في سورٍ شتّى وفواصل مختلفة، فتأتي في موضعٍ فيها تقديم وتأتي في موضعٍ آخر بالتأخير؛ كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وادْخُلُوا الباب سُجَّداً وقُولوا حطَّةٌ﴾[٦٧٩]وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وقُولوا حِطَّةٌ وادْخُلوا الباب سُجَّداً﴾[٦٨٠]. ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾[٦٨١]وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾[٦٨٢]، وفي موضعٍ آخر بزيادة وفي غيره بدونها كقوله تبارك تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[٦٨٣]وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[٦٨٤]، وهناك مواضع تذكر الكلمة في القرآن الكريم مُعرَّفة في مكان وتذكر منكَّرة في موضع آخر، أو مفردة أو جمعاً، أو بحرف أو بدونه وغير ذلك[٦٨٥].

والمقصود بالقصة الواحدة المعنى الإجمالي الذي يرد في موضوعات متعدّدة وبصورة متشابهة فيما بينها مع شيء من الاختلاف. وقد أوضحها الخطيب الحسيني بقوله: القصة الواحدة واللفظ المعين يرد في القرآن بصور متشابه، ومعنى التشابه فيها الاختلاف بين ألفاظها بالزيادة والنقصان أو الإبدال أو التقديم والتأخير، وهذا كله مما يشكل على القارئ، فيحتاج معه إلى مراجعة ومزيد ضبط[٦٨٦]، وأما المعاصرون فبعضهم اكتفى بتعريف الزركشي، وبعضهم عرفه

---

[٦٧٧] جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١)، ***لسان العرب***: د. المصرية والترجمة للتأليف والترجمة، القاهرة، د، ت مادة، ش ب ٥).

[٦٧٨] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ***البرهان في علوم القرآن***، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ج ١، ص ٩١.

[٦٧٩] البقرة: ٥٨/٢.

[٦٨٠] الأعراف: ١٦١/٧.

[٦٨١] البقرة: ١٧٣/٢.

[٦٨٢] المائدة: ٣/٥.

[٦٨٣] يس: ١٠/٣٦.

[٦٨٤] البقرة: ٦/٢.

[٦٨٥] طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، ***مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم***، ط ١، د. الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، ص١٧.

[٦٨٦] شمس الدين السخاوي، ***هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب***، ط ١، د. الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٧.

بتعريفات أخرى. فهذا عبد الله بن عبد الحميد الواقي قال: المقصود بالتشابه آيتان من كتاب الله تتحدّثان في موضوع أو فكرة واحدة، وكلماتها واحدة ولكن هناك نوع اختلاف فيما بينها[٦٨٧].

وعرّفه غيره فقال: المتشابه من آيات القرآن هو أن يتكرّر مجيء الآيات في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة وصور متعددة وفواصل شتى وأساليب متنوعة مع اتحاد المعنى، وذلك لغرض بلاغي[٦٨٨]، والقرآن نص بلاغي بامتياز.

ذكر الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى مبيّنا مستوعباً الحروف المقطعة أوائل السور؛ وذلك عند قوله سبحانه وتعالى: {الم} فقال: كُرِّرَت هذه الحروف في أوائل سور ستّة. فزاد في سورة الأعراف حرف الصاد، وقال بعده {فَلَا يَكُنْ في صَدْرِكَ حَرَجٌ منه}[٦٨٩]. وزاد في سورة الرعد حرف الراء وقال بعده {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّموَاتِ}.

ثم قال: واعلم أن حرف الهجاء التي في أوائل سور القرآن هي مِن المتشابه الذي استأثر اللهُ سبحانه وتعالى بعلمه، وهي سِرُّ القرآن الكريم. والفائدة في ذكرها طلبُ الإيمان بها.

وقيل: معانيها معلومة المعنى؛ ويترتب على هذا القول ما قيل فيها: بأن كل حرف منها هو أول اسم من أسماء الله تعالى؛ فحرف الألف من الحروف المقطعة هو الألف من اسم "الله" تعالى، وحرف اللام من اسم الله "اللطيف" والميم من اسم "المجيد" وكذلك حرف الصادُ من اسمه "صادق" والرَّاءُ من اسمه تعالى "رءوف".

وقيل: هذه الحروف أقسم الله بها لشرفها، فهي أقسام بكلّ حرف منها قسم. وقيل بأَنَّ تسميتَها حروفاً مجازٌ، فهي أسماءٌ تدلّ على مسميّات وهي الحروف المبسوطة. وهي مبنيَّةٌ وقيل معربة، وقيل: ليست معربة ولا مبنيّة، وقد بيَّنت ذلك في غير هذا الكتاب[٦٩٠].

---

[٦٨٧] ، عبد الله بن عبد الحميد الوراقي، ***إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن***، د. الإيمان الإسكندرية ودار القمة، مصر، ص ٥.

[٦٨٨] بدر الدين بن جماعة، ***كشف المعاني في المتشابه من المثاني***، ط، د. الوفاء، مصر، ١٩٩٠، ص ٤٥.

[٦٨٩] الأعراف، ٢/٧.

[٦٩٠] زكريا الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١٣.

المطلب الثاني: أسباب النزول

بما أنّ ذكر أسباب النزول أمرٌ مهمّ ومعينٌ لتفسير القرآن الكريم وفهم معانيه، فلذلك نجد أن الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى يهتمّ ببيانه خلال ما صنّفه في تفسير آيات القرآن الكريم.

ولا بدّ قبل الخوض في ذكر ما تعرّض له الشيخ زكريا رحمه الله تعالى من أسباب النزول؛ لابدّ من تعريف هذا العلم وبيان فائدته وأهميته في خدمة علم التفسير.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى: معْرِفةُ سببِ النُّزولِ يُعينُ على فهمِ الآيةِ؛ إذ إنّ العلمَ بالسّببِ يُورثُ العلمَ بالمسبَّب[٦٩١]، ثم أوضح الإمام السيوطي في "الإتقان" مسائل تتعلق بأسباب النزول خلاصتها: أن المفسرين كثيراً ما يذكرون لنزول الآية أسبابا متعددة؛ ويعتمدُ في ذلك أن يُنظَر، فإن عبّر أحدُهم فقال نزلت هذه الآية في كذا.

وقال آخر: نزلت في كذا [لأمر غيره] فإنّ هذا يراد به التفسير لا بيان سبب النزول؛ فلا يوجد بينهما منافاة.

ونقل قول الواحدي: بأنه لا يحلّ القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع خاصّةً ممن شاهد التنزيل. وقد تنزل الآيات على أسباب خاصة، وتوضع مع ما يناسبها من الآيات العامة، موافقة للنظم والسياق، وبذلك يكون الخاص قريبا من صورة السبب في كونه قطعي الدخول في العام؛ واختار الإمام السبكي أنه رتبة متوسطة فوق المجرد ودون السبب. وذكر اختلاف أهل الأصول في مسألة: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ فقال: إنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ وهذا هو الأصح[٦٩٢]، وتخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ومنها: أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب ولا التفات إلى من شذ فجوز ذلك. ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال. ومنها: دفع توهم الحصر.

---

[٦٩١] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، ***مقدمة في أصول التفسير***، ص١٦، د. مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط ١٤٩٠هـ ـــ ١٩٨٠م.

[٦٩٢] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ***الإتقان في علوم القرآن***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت/ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ج١، ص١٠٠-١٠١.

ومنها: معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها[٦٩٣]، ولأهمية معرفة أسباب النزول في فهم معاني القرآن وضرورته علينا أن نعلم بأن بعض آيات القرآن ونصوصه لا يُعرف المعنى المراد منها إلا بالرجوع إلى معرفة السبب الذي رافق نزولها. فإن بعض الآيات لا يمكن فهمها ومعرفة أحكامها إلا على ضوء سبب النزول[٦٩٤]، وهذا يؤكد أهمية اجادة معرفة أسباب النزول لمفسر القرآن الكريم.

فمثلاً إذا أردنا أن نُدرك حقيقة معنى قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٦٩٥] فلابدّ لنا من معرفة سبب نزولها، وإلا وقعنا في فهمٍ خاطئ للآية؛ وذلك لأنّ ظاهرها يوحي إلى جواز التوجّه في الصلاة إلى أيّ جهة ولو لغير القبلة؛ ولكنّا إذا عرفنا سبب نزولها اتّضح أمامنا المعنى جليّاً؛ وهذه الآية إنّما نزلت فيمن كان مسافراً والتبس عليه معرفة جهة القبلة؛ فإنّه يجتهد متحريّا جهة القبلة ثمّ يُصلّي؛ فإذا صلى إلى أيّ جهة كانت، فصلاته صحيحة. ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أوّل ما نُسخ من القرآن القبلة، وذلك أن النبي الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة ـ وكان أكثر أهلها اليهود ـ أمره الله عز وجل أن يستقبل في صلاته بيتَ المقدس، ففرحت اليهود؛ فاستقبلها رسول الله عليه الصلاة والسلام بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ التوجّه إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله جلّ وعلا: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ. إلى قوله ..... فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}[٦٩٦] فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}[٦٩٧]، فأنزل الله تبارك وتعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}[٦٩٨]. ويزيد هذا المعنى وضوحاً ما روي عن ابْن عَبَّاس رضي الله تعالى عنهما، أَنّ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بعث سريه فَأَصَابَتْهُمْ ضبابة فَلم يهتدوا إِلَى القبلة، فصلوا لغير جهة القبلة ثمَّ استبان لَهُم بَعْدَمَا طلعت الشَّمْس أَنهم صلوا لغير القبلة، فَلَمَّا جاؤوا إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حدّثوه فَأنْزل الله سبحانه وتعالى: {وَلله الْمشرق وَالْمغْرب}[٦٩٩].

---

[٦٩٣] السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج١، ص١١٢-١١٣.

[٦٩٤] محمد علي الصابوني (ت١٤٤٢هـ)، ***التبيان في علوم القرآن***، المكتبة الحنيفية، ب/ت/ط، ص٢٧.

[٦٩٥] البقرة: ١١٥/٢.

[٦٩٦] البقرة: ١٤٤/٢-١٥٠.

[٦٩٧] البقرة:١٤٢/٢.

[٦٩٨] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تح: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ج٢، ص ٥٢٧.

[٦٩٩] السيوطي، (ت٩١١هـ)، ***الدر المنثور***، د. الفكر ـ بيروت، ج١، ص٢٦٧.

ولذلك فإنّ الشيخ زكريا الأنصاري يهتمّ ببيان المناسبة لنزول الآيات أثناء تفسيره[٧٠٠]. فعند تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ}[٧٠١] قال: إن قلتَ كيف قال ذلك مع أن المرتدَّ وإن ازداد ارتداده مقبولُ التوبة؟ قلتُ: نزلتْ الآية في قومٍ ارتدُّوا ثم أظهروا التوبة بالقول فقط ليستروا أحوالهم، ولكنّ الكَفر مستقرٌّ في سرائرهم[٧٠٢]، وكذلك فعل عندما فسّر قوله تبارك وتعالى: {... قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى...}[٧٠٣] فقال: قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى) قال ذلك هنا، وفي سورة "آل عمران" قال {قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ}[٧٠٤] لأنَّ معنى الهُدَى في هذه الآية "القِبْلةُ"، إذ إنّ الآية نزلت في تحويلها، وتقدير الكلام: قل إن قبلة الله هي الكعبةُ. وأما معناه في قوله (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى) "الدَّينُ" بدليل قوله تبارك وتعالى {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ}[٧٠٥] ولقوله تعالى أيضاً {إن الدين عند الله الإسلام}[٧٠٦]. [٧٠٧] ، ويزداد الأمر وضوحاً بمنهج الشيخ زكريا في التفسير وبأنه فطِنٌ لأهميّة أسباب النزول في التفسير بملاحظة إدراكه لسبب نزول النص وتعلّقه بالتفسير؛ وذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كفْراً لَنْ تقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ..}.[٧٠٨] قال عند تفسيرها في كتابه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن": فإن قلتَ كيف قال ذلك، مع أن المرتدَّ ـ وإن ازداد ارتداده ـ فهو مقبولُ التوبة؟ قلتُ: إنّ الآية نزلتْ في قومٍ ارتدُّوا ثم إنهم أظهروا التوبة بالقول فقط ليستروا أحوالهم، ولكنّ الكَفر مستقرٌّ في ضمائرهم[٧٠٩]، ولما سئل عن قوله تعالى في سورة الليل إذا تغشى {فَأَنْذَرْتُكُمْ **نَارًا** تَلَظَّى}[٧١٠] إلى آخر السورة، فيمن نزلت هذه الآيات وما سبب نزولها؟ وهل هو خاص بالمنزَل فيه أو يعمه وغيره؟ فأجاب: بأن قوله تعالى {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} خطاب لأهل مكة ويقاس بهم غيرهم في ذلك، والمراد بالأشقى قيل: أبو جهل، وقيل: أُميَّة بن خلف، ويقاس به من في معناه، وقوله: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي

---

[٧٠٠] وهو لا يُكثر من ذلك ولكنه يتعرّض إلى ذكره في بعض المناسبات.
[٧٠١] آل عمران:٣/٩٠.
[٧٠٢] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٩٣.
[٧٠٣] البقرة: ٢/١٠٩.
[٧٠٤] آل عمران: ٣/٧٣.
[٧٠٥] آل عمران: ٣/١٩.
[٧٠٦] آل عمران: ٣/١٩.
[٧٠٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٣٧.
[٧٠٨] آل عمران: ٣/ ٩٠.
[٧٠٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٩٣.
[٧١٠] الليل: ٩٢/١٤.

مَالَهُ يَتَزَكَّى}[٧١١] نزل في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه لما اشترى بلالاً وغيره من المعذّبين على إيمانهم وأعتقهم فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كانت لهم عنده، فنزل قوله تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى}[٧١٢] والآية تشمل من فعل مثل ما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيبعد عن النار ويثار، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وبذلك علم أن سبب النزول لا يخص المنزّل به بالحكم، بل الحكم يعمه وغيره لما ذكر، والعلم بالسبب يحصل بالنص فالسبب ناشئ من النص[٧١٣]،

فبأسباب النزول تنجلي المعاني الغامضة وتتضح للقارئ المعاني الأساسية المرجوة من النص القرآني.

وقوله تعالى {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[٧١٤] وقوله: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}[٧١٥] قيل لما نزل: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[٧١٦] جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربه فأنذرهم، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، وأخذ حجراً ليرميه به، فنزلت. وقيل غير ذلك.[٧١٧] ذكر ذلك صاحب تفسير "درج الدرر في تفسير الآي والسور"

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أنزل الله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} أتى رسول الله الصفا فصعد عليه ثم نادى: "يا صباحاه! " فاجتمع الناس إليه، فبين رجل يجيء وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله: (يا بني عبد المطلب! يا بني عبد مناف! أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل يريدون أن يغيروا عليكم مصدقي أنتم؟، قالوا نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًا لكم سائر البرية إنما دعوتمونا لهذا! فنزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[٧١٨] -[٧١٩].

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ولكن الله يمهل ويهمل.

---

[٧١١] الليل:٩٢/ ١٧، ١٨.

[٧١٢] الليل: ٩٢/١٩، ٢١.

[٧١٣] الأنصاري، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام***، ص٣٣٦.

[٧١٤] المسد: ١/١١١.

[٧١٥] البقرة:١٩٥/٢.

[٧١٦] الشعراء: ٢٦/ ٢١٤.

[٧١٧] الأنصاري، ***حاشية فتح الجليل***، ج٥، ص٥٥٣.

[٧١٨] المسد: ١/١١١.

[٧١٩] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار، (ت٤٧١هـ)، ***دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآيِ والسور***، ج ٣، ص١٣٢٩، تح، وليد بن أحمد بن صالح الحسين، د. مجلة الحكمة، بريطانيا، ط، ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

وترك الجهاد في سبيل الله والالتفات إلى الأموال مهلكة، فحذر الله تعالى من أن يدع المسلمون الجهاد ويلتفتون إلى أموالهم [٧٢٠]فأنزل الله تعالى قوله: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين} [٧٢١]، التهلكة والهلاك واحد.

ذكر الأنصاري عند قول البخاري: (قال: نزلت في النفقة) وقصتها: أن الله لما أعز دينه وكثر ناصروه فقالت الأنصار فيما بينهم: لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها، فنزلت {وأَنْفِقُوا.....} الآية [٧٢٢].

[٧٢٠]محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ***الجامع لأحكام القرطبي***، تح، أحمد البردوني وإبراهيم أطفش، د. الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، ج٢، ص٢٦١، عدد الجزاء، ٢٠، في ١٠ مجلدات.

[٧٢١] البقرة، ١٩٥/٢.

[٧٢٢] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج٧، ص٤٥٠.

المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ

عند أهل العلم وخاصة المفسرين منهم لا بد من معرفة الناسخ والمنسوخ لأنه من الأهمية بمكان لمعرفة الأحكام الشرعية ومعرفة ما نسخ وما بقي بدون نسخ، فهو أمر عظيم والجهل به أمر خطير، واعتنى به العلماء قديما وحديثاً، فلا يجوز أن يفسر كتاب الله تعالى أحد إلا من كانت عند المعرفة بالناسخ والمنسوخ، وقد سأل عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قاصًّا: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، قال: هلكت وأهلكت. ويأتي النسخ بمعانٍ: فتارة يفهم منه الإزالة وتارة يفهم منه الإثبات وتارة يفهم منه الأمران، ويأتي بمعنى التحويل، (كتناسخ المواريث) وبمعنى النقل من موضع إلى موضع آخر ومن هذا المعنى كقولك: نسخت الكتاب[٧٢٣].

والنّسخ فِي كَلَام الْعَرَب: رفْع الشَّيْء. وَقد جَاء الشَّرْع بِمَا تعرفه الْعَرَب؛ فكَانَ النَّاسِخ رفع للحكم الْمَنْسُوخ.

والمنسوخ فِي كتاب الله تَعَالَى على ثَلَاثَة أضْرب؛ الأول: مَا نسخ خطّه وَحكمه، وَالثاني: مَا نسخ خطّه وَبَقِي حكمه، والثالث: مَا نسخ حكمه وَبَقِي خطّه[٧٢٤]، والنسخ يرِد لإبطال الحكم المستفاد من نصٍّ سابقٍ بواسطة نصٍّ لاحقٍ.

وهو إما يرد لرفع عموم النصّ السابق أو تقييده، كقوله تبارك وتعالى: {وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ}[٧٢٥] فكان قوله تعالى النازل بعدها مقيّدٌ لها وهو: {إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ}[٧٢٦] ومثال التخصيص قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ}[٧٢٧] فقد نزل بعدها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ}[٧٢٨] فالنصّ الأول عامٌ في كلّ قاذفٍ، وأما النصُّ الثاني فهو خاصّ

---

[٧٢٣] السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج٢، ص٧٠٠. السمين الحلبي، ***عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ***، تح، محمد باسل عيون السود، د. الكتب العلمية بيروت، ج٤، ص١٦٩. جنت، محمد زلفي، (رسالة دكتوراه)، ص٢٢٥. : Cennet, Mehmet Zülfi, *Şii/Usulî geleneğin Kur/an yorumu (Şerif Murtaza Örneği)*, Fecr Yayınları, Ankara, 2016, s.225; aynı müellif, *Tahir B. Âşûr'un Teorik ve Pratik Nesh Anlayışı*,Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi (2015) Sayı: 6, s.172.

[٧٢٤] أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (ت٤١٠هـ)، ***الناسخ والمنسوخ***، تح: زهير الشاويش، محمد كنعان، نشر: المكتب الإسلامي ــ بيروت، ط١، ت/ن: ١٤٠٤ هـ، ص٢٠. السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج٢، ص٧٠٥.

[٧٢٥] البقرة: ٢٢٨/٢.

[٧٢٦] الأحزاب: ٤٠/٣٢.

[٧٢٧] النور:٢٤/ ٤.

[٧٢٨] النور: ٢٤/ ٦.

بالزوج؛ فكانت الأَيْمانُ الخمسة منه قائمةً مقامَ الشهادات الأربع[٧٢٩]، وَكَانَ ذَلِكَ أوّلاً حُكْمًا عَامًّا فِي قَاذِفِ الزَّوْجَاتِ وَالْأَجْنَبِيَّاتِ عَلَى السواء، ثُمَّ نُسِخ منهُ قاذِف الزّوجاتِ بقولهِ سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ}، والبائنةُ ليْستْ بزوْجةٍ، فيُحكم بعد البينونة على مَن كان زوجاً لها ـ وقد بانت منه ـ بالحدّ إذا قذفَها بظاهرِ قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}.

ومَن أوْجبَ اللِّعانَ بعْدَ البَيْنونةِ التي رفعت الزّوْجيّةِ فقدْ نسَخَ مِنْ هذهِ الآيةِ ما لم يرِدْ توْقيفٌ بنَسخهِ، ومعلوم أنه غير جائزٍ نسخُ القرآنِ إلَّا بِتوْقيفٍ يُنِج وجوب العلم[٧٣٠]، ومثال التقييد قوله سبحانه وتعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ}[٧٣١] مع النص الذي نزل قبله وهو: {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً}[٧٣٢]؛ فإن الدّم الذي ورد في المائدة مطلق، وأما النصّ الوارد في الأنعام فهو مقيِّد له ـ إذ قيّده بالسفح ـ فيُحمل المقيد على المطلق.

وبهذا نعلم أنّ العام والمطلق لم ينلهما إبطال؛ لأن التخصيص والتقيد يكونان بمنزلة الاستثناء في الحكم. والقاعدة تقول: ما مِن عامّ إلا وقد خُصّص، وما من مطلق إلا قُيّد في بعض أحوله، وبذلك يستوي اللاحق المتصل بسابقه، ويتّصل المتراخي عنه والمقدّم والمؤخر.

فمن سمّى المتقدّم أو المتأخّر ناسخاً كان بمقتضى التقييد والتخصيص ليس إلّا، كآية الأنعام بالنزول على آية المائدة، فمن يسمّيه ناسخاً كان كمن يسميه مقيّداً أو مخصّصاً[٧٣٣]، ولقد تعرّض الشيخ زكريا للنسخ في مناسبات عديدة، ومن ذلك ما ذكره في كتابه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"؛ حيث ذكر عند قول الله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ...) [٧٣٤]. فإن قلتَ كيف قال في الإخفاء {يُحاسبْكُمْ به اللهُ} مع أن حديث النفس لا إثم فيه للحديث المشهور فيه[٧٣٥]، ولأنه لا يمكن الاحتراز منه؟ قلتُ: ذلك منسوخ بقوله تبارك

---

[٧٢٩] عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨هـ) ***بيان المعاني*** (مرتب حسب ترتيب النزول)، د. مطبعة الترقي ـ دمشق، ط١، ت/ط: ١٣٨٢ هـ، ص٣٢.

[٧٣٠] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، ***أحكام القرآن***، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، د. الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، ج٣، ص٣٧٩.

[٧٣١] المائدة: ٤/٥.

[٧٣٢] الأنعام: ٦/ ١٤٥.

[٧٣٣] العاني، ***بيان المعاني*** (مرتب حسب ترتيب النزول)، ص٣٣.

[٧٣٤] البقرة: ٢/ ٢٨٤.

[٧٣٥] الحديث رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لي عن أمّتي ما وسوست به صدورها، ما لم تعمل أو تكلّم). البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (**صحيح البخاري**)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ت/ط: ١٤٢٢هـ، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ولا عتاقة إلا لوجه الله، رقم الحديث: ٢٥٢٨، ج٣، ص١٤٥.

وتعالى: {لا يُكلفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها}[٧٣٦]. وقال عند قوله سبحانه وتعالى: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً}[٧٣٧] أي ما أسألكم على إبلاغ ما أنزل عليَّ من أجرٍ {إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتخِذَ إِلى رَبه} أي إلى ثوابه {سَبِيلًا} أي فأنا أدلّه على ذلك، فهو استثناءٌ منقطع؛ وأمَّا الاستثناءُ في قوله تعالى: {قُلْ لا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ في القُرْبى}[٧٣٨] فمنسوخ بقوله تعالى: (قل ما سألتكُمْ مِن أجْرٍ فهُوَ لكمْ إنْ أَجْريَ إِلَّا عَلَى الله)[٧٣٩]. هو منسوخٌ كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه، والناسخ له قوله سبحانه وتعالى {لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ}[٧٤٠]. أو أنّ المراد منه أنهم لا يستأذنوه في ذلك لغير لعذر[٧٤١]، وقال الشيخ زكريا عند قَوْلِه تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا() وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ() لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا، وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ}[٧٤٢] وَقَوْلِهِ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ، أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ}[٧٤٣] إِلَى قَوْلِهِ {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٤٤] قال: يُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: {انْفِرُوا ثُبَاتٍ} أي: سَرَايَا مُتَفَرّقِينَ، أَحَدُ الثُّبَاتِ ثُبَةٌ. وقول الله عزَّ وجلَّ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} أي: نشاطًا وغير نشاط. وقيل أقوياء وضعفاء، أو أغنياء وفقراءً، أو ركبانًا ومشاة. والآية منسوخة بآية {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ}[٧٤٥ـ٧٤٦]

وعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَرَأَ (فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ) قَال هِيَ مَنْسُوخَةٌ. أي بقوله تعالى {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} وقرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان ومن تبعهم {فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} بإضافة فدية وجر طعام وجمع مساكين. قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: هي ـ أي: الفدية ـ منسوخة، فهو تكرار، وقد بينا الكلام على النسخ، وعدمه في شرح "الروض" وغيره.

---

[٧٣٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، د. القرآن الكريم، بيروت ـ لبنان، ط١، ج١، ص، ٤٩

[٧٣٧] الفرقان: ٥٧/٢٥.

[٧٣٨] الشورى: ٤٢/ ٢٣.

[٧٣٩] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ج٥، ص٢٣٠.

[٧٤٠] النور: ٢٤/ ٦٢.

[٧٤١] الأنصاري، ***منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى "تحفة الباري"***، تح: سليمان بن دريع العازمي، د. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ــ المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م، ج٥، ص ٦٣٨.

[٧٤٢] التوبة:٩/ ٤٢.

[٧٤٣] التوبة:٩/ ٣٨.

[٧٤٤] التوبة:٩/ ٣٨، ٣٩.

[٧٤٥] التوبة:٩/ ٩١.

[٧٤٦] الأنصاري، ***منحة الباري***، ج٥، ص ٦٣٨.

وهنا يذكر الأنصاري فائدة: فائدة في جواز رواية القرآن المنسوخ بالمعنى؛ قال: والقرآن المنسوخ تجوز روايته بالمعنى[٧٤٧].

المطلب الرابع: إعجاز القرآن

من نعم الله تبارك وتعالى أن لم يخلق الناس ويدعهم وشأنهم، إنما تكفل لهم سبحانه وتعالى بما يصلح شؤنهم، ويكفل لهم السعادة في دنياهم وآخرتهم، وذلك لأن الإنسان مهما أوتي من علم، وأودع فيه من عقل فإن ذلك لا يغنيه من الهداية الربانية، لذا كان من رحمة الله تبارك وتعالى وحكمته أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، يدعون الناس إلى الإيمان بالله الواحد ويبينون ما يصلحهم.

ومن حكمة الله الأزلية أن يؤيد أنبياءه ورسلَه بالمعجزات والدلائل الواضحة، والبراهين الدامغة التي تدل على صدق دعواهم في النبوة، وعلى أنهم أنبياء من عند الله تبارك وتعالى، وحتى لا تبقى شبهة تحيك في النفس، وكان ذلك بسبب تكذيب الناس لهم في دعواهم بالنبوة، ومما خصّ الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزة العظمى القرآن الكريم، والوحي السماوي.

واعلم أن المعجزة إما "مادية حسية" تتناسب مع العصر الذي كانوا فيه، وهي معجزات الأنبياء السابقين، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم.

وإما "روحية عقلية" وهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر[٧٤٨] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)[٧٤٩].

أولا تعريف إعجاز القرآن: هي المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.[٧٥٠]

دليل الإعجاز: والإعجاز لا يتحقق ولا يتجلى إلا إذا توفرت فيه المظاهر الأتية:

---

[٧٤٧] الأنصاري، ***منحة الباري بشرح صحيح البخاري***، ج٨، ص٤٦٧.

[٧٤٨] الصابوني، ***التبيان في علوم القرآن***، ص٨٩. وينظر السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج ٢، ص١٠٠١.

[٧٤٩] البخاري، في فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل. ومسلم في الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه.

[٧٥٠] Cennet, Fahreddîn Râzî'nin İcâz Düşüncesinde Bir Kırılma Noktası Olarak Sarfe Temâyülü Tartışması, Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, Cilt: 13 Sayı: 3 s.1254

١ ـ التحدي: وهو طلب المعارضة، ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز، ولم يقدر على معارضته أحد بعد تحديهم بذلك بأن يأتوا بمثله أو بحديث مثله، ثم بعد عجزهم عن معارضته وعدم استطاعتهم بالمجيء بسورة تشبهه او مثله مع كثرة الخطباء والبلغاء، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن، والتحدي كان على مراحل والمرحلة الأولى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}[٧٥١]، فعجزوا عن ذلك التحدي مع أنهم هم الفصحاء والبلغاء والتحدي بنفس دعواهم.

والمرحلة الثانية بأن يأتوا بعشر سور مثله، وهذا بعد عجزهم الأول، فقال: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بعشر سورة مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ الله إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[٧٥٢].

وفي المرحلة الثالثة وبعد عجزهم المتكرر من مثله إلى عشر سور نزل معهم إلى سورة واحدة فقال: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ}[٧٥٣]، وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة.

٢ ـ أن يكون الدافع إلى رد التحدي قائما: وهو (عجزهم عن المعارضة واضراب أقوالهم) وكان التحدي عند العرب قائما وهم في ذروة مجدهم فصاحة وبلاغة، ومعرفة بفنون الكلام وأساليبه فكان بمقتضى ذلك أن يهبوا لمعارضته إذا كان ذلك في مقدورهم، ليدفعوا بذلك خطره ودف الخزي الذي لصق بهم، فالنبي صلى الله علي وسلم جاءهم بدين جديد، أبطل هذا الدين الجديد دينهم، وسخر من آلهتهم، وسفه أحلامهم، ومع ذلك سلكوا طريق العناد والتكبر واختاروا طعن الرماح والحروب.

٣ ـ أن يكون المانع منتفيا: وهو (انتفاء ما يمنعهم من معارضة القرآن)، فالقرآن نزل بلسان عربي، هو لسانهم، حروفه من حروفهم، وعبارته على أسلوب العرب، وهم أهل البيان، وأمراء الفصاحة والبلاغة، وهي اللغة التي يتفاخرون بها، من خلال اجتماعاتهم والنطق بها من القصائد والخطب وأجمل الألفاظ والعبارات، بل كانت عقولهم مقدورة موفورة واستطاعتهم معروفة مشهورة، ولم يمنعهم القرآن بأن يستغيثوا بمن شاؤا، ولم يضرب لهم أجلا للمعارضة، فليس

---

[٧٥١] الإسراء، ١٧ /٨٨.

[٧٥٢] هود، ١١/ ١٣، ١٤.

[٧٥٣] يونس، ١/ ٣٨.

أمامهم ثمة مانع بزمن أو وقت معلوم، بل نزل القرآن مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، فلما عجزوا دل ذلك على أنه تنزيل من رب العالمين[٧٥٤].

ويذكر الأنصاري الإعجاز بالتحدي التدريجي، يعني إنْ عجزتم عن ذلك، وبطريقة جميلة شيقة عند قوله تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ. .)، أي مثله في الفصاحة والبلاغة، وإلَّا فما يأتون به مُفْترى، والقرآنُ ليس بمفترى، أو معناه: مفترياتٍ كما أنَّ القرآنَ - في زعمكم - مُفْتَرى!!

فإن قلتَ: كيف أفردَ في قوله " قُلْ " ثمَّ جَمَعَ في قوله" فإن لم يستجيبوا لكم "؟

قلتُ: الخطابُ للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيهما، لكنَّه جَمَعَ في " لكم " تعظيماً، وتفخيماً له، ويعضُده قولُه في سورة القصص: (فإنْ لمْ يَسْتَجيبُوا لكَ)، أو الخطابُ في الثاني للمشركين، وفي " يَسْتَجِيبُوا "

لِـ " مَنِ اسْتَطَعْتُمْ " والمعنى: فأتُوا أيها المشركون بعشر سورٍ مثلِهِ، إلى آخره، فإن لم يستجبْ لكم من تدعونه، إلى المظَاهرةِ على معارضتِهِ لعجزهم " فاعلموا أنما أنزل بعلم الله " وبالنظر إلى هذا الجواب، جُمِعَ الضميرُ في " لم يستجيبوا لكم " هنا، وأفردَ في القَصَص.

فإن قلتَ: قال في سورة يونس " فَأتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ " وقد عجزوا عنه، فكيفَ قال هنا: " فَأتُوا بعشر سُوَرٍ مِثْلِهِ "؟!

قلت: قيل: نزلتْ سورةُ هودٍ أولاَ، لكنْ أنكره المبرّد وقال: بل سورةُ يونس أولاً، قال: ومعنى قوله في سورة يونس " فأتوا بسورةٍ مثلِهِ " أي في الإخبار عن الغيب، والأحكامِ، والوعدِ والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في سورة هود: إنْ عجزتم عن ذلك، فأتوا بعشر سور مثلِهِ في البلاغة، لا في غيره مما ذُكرَ، وما قاله هو المتَّجِه. هذا وتحريرُ الأول، مع زيادة أن يُقال: إنَّ الإعجاز وقع أولاً بالتحدِّي بكل القرآن في آية " قُل لَئِن اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ " فلمَّا عجزوا تحدَّاهم - بعشر سورٍ، فلما عجزوا تحدَّاهم بسورة، فلما عجزوا تحدّاهم (١! - بدونها بقوله: " فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مثلِهِ "[٧٥٥]. وقد سبق تبيين موضع الآيات.

واعتبر الأنصاري السورة بقوله: هذه " صَ " السورة التي أعجزت العرب، فقوله " والقرآنِ ذي الذكر " قسمُ عجز العرب، كقولك: هذا حاتمٌ واللَّهِ، أي هذا هو المشهور بالسخاء واللَّهِ، وإن جُعلَ قَسَماً فجوابه مع ما عُطف عليه محذوفٌ تقديره: إنه كلامٌ معجز[٧٥٦]

---

[٧٥٤] الصابوني، ***التبيان في علوم القرآن***، ص ٩٨، وينظر السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج ٢، ص١٠٠٢. وينظر ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، ج١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٢٤٩.

[٧٥٥] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١٤٣.

[٧٥٦] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص٢٦٣.

وقال في شأن الحكمة من تكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم من الإعجاز، فقوله: والحكمةُ في تكرار قصة موسى وغيرها من القصص، تأكيدُ التحدي، وإظهارُ الإعجاز، ولهذا سمَّى الله القرآن " مثاني " لأنه تُثنَّى فيه الأخبارُ والقصص، أو إفادة الغائب عن المرَّة السابقة، فقد كان أصحابُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يحضرُ بعضُهم، ويغيبُ بعضُهم في الغزوات، فإذا حضر الغائبون، أكرمهم الله تعالى بإعادة الوحي، تشريفاً لهم[٧٥٧].

ثانيا: وجوه الإعجاز في القرآن

لقد كثر القول بين العلماء في وجوه الإعجاز في القرآن وتنوع هذه الوجوه وتعددها، فالقرآن معجز بكل ما يتحمله هذا الفظ من معنى، فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه، وفي بيانه ونظمه، ومعجز في علومه ومعارفه، ومعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان، فالمنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في أي جانب من جوانب القرآن العظيم وجد فيه الإعجاز جليا.

اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا منه وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره.

الأول: هو الإيجاز مع البلاغة وقال آخرون: هو البيان والفصاحة.

والثاني: هو الرصف والنظم

والثالث: هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه وقال آخرون هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته

والرابع: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية

والخامس: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع

والسادس: هو كونه جامعا لعلوم كثيرة[٧٥٨].

وقال الزركشي في البرهان[٧٥٩]: أجمع أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده؛ فإنه جمع ذلك كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده، مع اشتماله على الجميع.

---

[٧٥٧] الأنصاري، ***فتح الرحمن***، ص١١٤.

[٧٥٨] السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج ٢، ص١٠١٣، ١٠١٤.

[٧٥٩] الزركشي، ***البرهان في علوم القرآن***، ج٢، ص١٠٧. وينظر، السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، ج ٢، ص١٠١٣، ١٠١٤.

وهناك أنواع أخرى من أنواع الإعجاز:

الأول منها: الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقر والجاحد.

والثاني: أنه لم يزل ولا يزال غضا طريا في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين.

والثالث: جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا في كلام البشر.

والرابع: كون القرآن الكريم آخر الكتب فهو غنيٌ عن غيره، وكون غيره من الكتب السابقة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليها كما قال تعالى: {إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[٧٦٠].

بم كان إعجاز القرآن؟:

القرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق، بكل ما يحتمله من ألفاظ وأسلوب في نظمه، وفي كشف الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، وفي علومه وحكمه وغير ذلك مما ثبت لدى العلماء الذين كشفوا أسرار البيان، عن وجوه إعجاز القرآن، وأن القرآن معجز بذاته يعني أن إعجازه كان بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، ومعجز بأسلوبه الفريد، ومعجز بمسحته اللفظية الخلابة، التي تتجلى في نظامه الصوتي، وبجماله اللغوي.

مذهب أهل الصرفة:

ذهب بعض المعتزلة بالقول بإعجاز القرآن بأن الله صرف البشر عن معارضة القرآن مع قدرتهم على ذلك، فخلق فيهم العجز عن معارضته أو محاكاته في أنفسهم وألسنتهم، ولولا ذلك لاستطاعوا بالمجيء بمثله.

قال حجة الأدب العربي مصطفى الرافعي رحمه الله تعالى: فذهب شيطانُ المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النَّظام إلى أن الإعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الضرف خارقاً للعادة. قلنا وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن، وهذا الذي يروون عنه أحد شطرين من رأيه، أما الشطر الآخر فهو الإعجاز إنما كان من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية.

وكذلك قال المرتضى من الشيعة: إن معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن.

فكأنه يقول إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني؛ إذ لم يكونوا أهل علم ولا كان العلم في زمنهم، وهذا رأي بيّن الخلط كما ترى.

---

[٧٦٠] النمل، ٧٦/٩.

غير أن النظام هو الذي بالغ في القول بالصرفة حتى عرفت به، وكان هذا الرجل من شياطين أهل الكلام، على بلاغة ولَسَن وحسن تصرف، بيدَ أنه شب في ناشئة الفتنة الكلامية، فلم ينتفع بيقين[٧٦١].

[٧٦١] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، د. الكتاب العربي – بيروت، ط٨- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص١٠١. وينظر، الصابوني، ***التبيان في علوم القرآن***، ص١٠٢، ١٠٣.

خاتمة البحث ونتائجه

إنّ كتاب الله تعالى التي لا تنتهي عجائبه، ولا يملّ منه على كثرة الترداد. وفي هذه الرسالة بيان يكشف عما تضمنته كتب الشيخ زكريا الأنصاري من المباحث والموضوعات التفسيرية المتنوعة؛ بالإضافة إلى ما فيها من العلوم اللازمة في التفسير. وسيجد القارئ فيه توضيح للآيات المتشابهات وغير المتشابهة في تفسير الأنصاري، وهي غنية بالنحو والبلاغة وغيرها. وقد كانت بداية البحث عبارة عن مقدمة ومدخل تحدث الباحث فيهما حول الموضوع من حيث الأهمية والهدف وأسباب اختياري الموضوع والمنهجية بما يختص بالرسالة، ثم ولجت إلى ساحة البحث، فكانت البداية مع الأنصاري من حيث التعريف بالمؤلف والبيئة التي عاش فيها، والسيرة الذاتية والعلمية والأخلاقية والخلقية والوظيفية وآثاره العلمية – خاصة في التفسير – ثم ولج الباحث بيان جهوده ومنهجه من خلال كتبه، وكيف كانت طريقته بالتفسير؛ كتفسيره القرآن بالقرآن وبالرواية وغير ذلك، والكشف عن منهجه اللغوي الذي لا تخلو مصنفاته منه؛ كالنحو والصرف والبلاغة. ومنهجه في تفسير المتشابه الذي نهجه في كتبه يظهر إعجاز القرآن من الآيات المختلفة من حيث التقديم والتأخير والذكر والحذف، والتذكير والتأنيث، والتكرار، والتضعيف والتخفيف. بالإضافة إلى ما وجد من علوم القرآن كالمحكم والمتشابه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، مع وقفات مع بعض كتبه لإظهار جهوده فيها ومنهجه، ثم الخاتمة والمصادر.

في خاتمة هذا البحث يمكن الوقوف على أهم النتائج التي تستفاد منه، وإن كانت الفوائد التي يجنيها القارئ فوق تلك النتائج.

ومن أهمها التعرّف والاطلاع على سيرة الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى، والاستفادة من مسلكه الذي سلكه في سبيل تحصيل العلم، إضافة إلى مسلكه العملي الذي ألزم به نفسه.

وإنّ ملازمة العظماء تولّد العظمة المحمودة، وصحبة العلماء تفيد حصول العلم النافع، واتباع المهتدين الأتقياء تُكسب الهداية والتقوى. كالحال الذي كان عليه الشيخ زكريا رحمه الله تعالى.

أظهر البحث الجهود التفسيرية للأنصاري بإظهارها من خلال مصنفاته التفسيرية. كما أظهر المنهجية التفسيرية لدى المؤلف.

أظهر البحث أهمية التفسير من حيث أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتفسير القرآن بالقرآن وبالرواية.

كما أظهر البحث بأن الشيخ الأنصاري قد توسّع في التفسير من حيث العموم عند تفسيره لمعاني الكلمات وتوضيحها، وخاصة في المتشابه اللفظي الذي أفرده بكتاب خاص.

وله عناية بالآيات من حيث النحو والبلاغة وشرح الشواهد الشعرية وبيان نوع القراءة والترجيح عند الحاجة لذلك.

أظهر البحث أهمية التفسير في المتشابه اللفظي، ليتضح المعنى بين المتشابهات ويزول الخلل في الفهم.

ظهر من خلال البحث أن الآيات المتشابهة من أعظم الدلالة على إعجاز القرآن الكريم، فاختلاف جملة أو كلمة أو حرف يبرز من الأسرار العظيمة والحكم العجيبة التي لا يتصوره إلا متدبر متأمل في هذا الإعجاز.

كما أظهرت الدراسة للمتشابه سمة الترتيب في الإعجاز القرآني، وتمثّل ذلك داخل الجملة من التقديم والتأخير بين الجمل في الآيات المتشابه، وهذا يشمل ترتيب الآيات وترتيب السور؛ فلكل سورة مكان خاص بها وضعت فيه.

وبين البحث نوعا من أنواع الإعجاز القرآني واهتمام العلماء به.

وأسفر البحث عن الفكر اللغوي والبلاغي في مصنفات الشيخ الذي يلاحظ في مصنفاتهم.

وهذه أبرز النتائج الرئيسية التي توصل إليها الباحث من خلال البحث، مع وجود نتائج أخرى فرعية متنوعة من التفسير والنحو والإعراب والبلاغة وغير ذلك.

ومن خلال دراسة كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" يظهر مدى ارتباط ألفاظ القرآن الكريم فيما بينها بوشائج تدل على دقة وسمو ورفعة النظم القرآني. والتشابه الوارد بين كلمات القرآن الكريم عبارة عن تشابه لفظي يحمل في طياته معاني مختلفة من ناحية الدلالة والتوجيه وغيره من أغراض النص القرآني ولا يُخِلُّ بالمعنى بل يعطيه روعة البيان والفصاحة.

وبعد فإنَّ هذا جهد المقل المعترف بالتقصير.

وأرجو أن أكون قد وفقت في بحثي وأضفت جهد جديدا يصب في خدمة كتاب الله وإنصاف العلماء الذين كانوا نبراس هداية ومصابيح نور فدراسة شخصياتهم وذكر مناقبهم وجهودهم من باب رد الفضل لأهله، وأسأل الله تعالى في الختام أن يجعل عملي خالصا لوجه الكريم.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ اللقَّاني: الشيخ برهان الدين اللقاني المالكي رحمه الله تعالى. **متن جوهرة التوحيد،** في عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢ القِنَّوجي، ***فتحُ البيان في مقاصد القرآن،*** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، تح، خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت، ت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء١٥.

٣ السمين الحلبي: **عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ،** تح، محمد باسل عيون السود، ط١، د، الكتب العلمية بيروت١٦٩.

٤ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، ***أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل،*** (ت: ٦٦٦هـ)، تح، عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، نشر: د، عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م.

٥ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير (ت: ٢٥٥هـ) ***البرصان والعرجان والعميان والحولان،*** د. الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.

٦ ***إيمان مصطفى عبد العظيم، غياب دور رجال الحكم والرعية في مواجهة أزمات وباء الطاعون في مصر زمن سلاطين المماليك،*** (دراسة تحليلية)، ــ ٦٤٨ ـــ ٩٢٣هـ، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة عين شمس، مجلة البحث العلمي في الآداب.

٧ـ الأنصاري ***الحدود الأنيق والتعريفات الدقيقة،*** تح: مازن المبارك، الناشر: د. الفكر المعاصر ـ بيروت ط١: ١٤١١هـ.

٨ـ ياسر عبد الرحمن، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، ***موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق،*** د. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ـ القاهرة، ط١، ت/ط: ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

٩ـ ولي الله الدهلوي، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ)، ***الفوز الكبير في أصول التفسير،*** عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، د. الصحوة ـ القاهرة، ط٢، ت/ط: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٠ـ موسى علي موسى مسعود، ***إعراب القرآن العظيم المنسوب للعلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري***، – دراسة وتحقيق-(رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، ٢٠٠١.

١١ـ محمد أحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ)، ***نفحات من علوم القرآن***، د. السلام، القاهرة، ط: ٢: ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

١٢ـ فخر الدين الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ***مفاتيح الغيب: التفسير الكبير***، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٣ـ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، د. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط،١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٤ـ غزلان، عبد الوهاب غزلان، ***البيان في علوم القرآن***. قام بتخريجه، أحمد محمد الفاضل، د، البيروتي، ط١، ١٤٣٨هـ ــ ٢٠١٧م.

١٥ـ عتر، نور الدين عتر، ***علوم القرآن الكريم***، ط٦، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، د. مطبعة الصباح.

١٦ـ عبير، عبير بنت عبد الله النعيم، ***قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (دراسة تأصيلية تطبيقية)***، أطروحة دكتوراة، د. الدار التدمرية في الرياض ـ السعودية، ط١، ت/ط: ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م.

١٧ـ عبد الرحمن محمود عبد التواب، ***قايتباي المحمودي***، (ت: ٩٠١هـ).

١٨ـ طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، ***مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم***: ط ١، د. الكتب العلمية، بيروت.

١٩ـ شفيق جاسر أحمد العبود، ***المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام***، ط٢١، د. الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٢٠ـ دلولة قادري، ***الفكر اللغوي عند الشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري في كتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن***، دراسة - (رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر.

٢١ـ خالد علي عبد القادر، ***المماليك البحرية في مصر*** - دراسة مجتمعية تاريخية - ٦٤٨ - ٧٨٤ه، ط١، د. الفكر العربي.

٢٢ـ جابر، طارق يوسف حسن، ***شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وأثره في الفقه الشافعي،*** (رسالة ماجستير)، بإشراف: ياسين درادكة، في الجامعة الأردنية، قسم الفقه وأصوله، ٢٠٠٤م.

٢٣ـ تأليف حنفي بيك ناصيف، مصطفى طمُّوش، محمد بِك دياب، محمد بك صالح، واعتنى به علاء الدين عطية، ***الدروس النحوية،*** الكتاب الثالث، ثلاثة كتب بكتاب واحد، د، الدقاق والفيحاء، ط١، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.

٢٤ـ بروكلمان، كارل بروكلمان الألماني، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، ***تاريخ الأدب العربي،*** ط٢، د. الكتاب الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٢٥ـ إيمان مصطفى عبد العظيم، ***غياب دور رجال الحكم والرعية في مواجهة أزمات وباء الطاعون في مصر زمن سلاطين المماليك،*** (دراسة تحليلية)، ـ ٦٤٨ ـــ ٩٢٣هـ، جامعة عين شمس، مجلة البحث العلمي في الآداب.

٢٦ـ إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت، ١٥٢٣هـ) ***بدائع الزهور في وقائع الدهور***، د. فرانز شتاينر.

٢٧ـ الوراقي، عبد الله بن عبد الحميد، ***إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن***: د. مكتبة الحياة الإسكندرية مصر.

٢٨ـ النيسابوري، ***التّفسير البسيط،*** تح: أصل تحقيقه في خمس عشرة رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، د. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ت/ط: ١٤٣٠ هـ، ج١.

٢٩ـ النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، ***الوسيط في تفسير القرآن المجيد***، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس، د. الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط:١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٣٠ـ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، ***تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،*** تح: يوسف علي بديوي، د. الكلم الطيب ـ بيروت، ط١، ت/ط: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

٣١ـ النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، ***إعراب القرآن***، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، د. محمد علي بيضون، الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ت/ط: ١٤٢١ هـ.

٣٢ـ النادي، عرفه عبد الرحمن النادي، ***شيخ الإسلام زكريا الأنصاري حياته وتصوُّفه***، د. الإحسان.

٣٣ـ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، (٨٤٥هـ)، ***السّلوك لمعرفة دول المماليك***، د. الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨، عدد الأجزاء٩.

٣٤ـ المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (ت: ٤١٠هـ)، ***الناسخ والمنسوخ***، تح: زهير الشاويش، محمد كنعان، د. المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط١، ت/ن: ١٤٠٤ هـ.

٣٥ـ المغذوي، عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ***الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم***.

٣٦ـ المراغي، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ط٢، ١٤١٤ه ـــ ١٩٩٣م، د. الكتب العلمية، بيروت.

٣٧ـ المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ***تفسير الجلالين***، د. الحديث – القاهرة.

٣٨ـ الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبتيبا الماوردي البصري، (ت: ٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ)، ***النكت والعيون***، تعليق، السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، د. ط، د، الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣٩ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت: ٤٥٠هـ)، ***تفسير الماوردي النكت والعيون***، تح، ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نش: د. الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، عدد الأجزاء،٦.

٤٠ـ اللقَّاني: الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي رحمه الله تعالى. ***متن جوهرة التوحيد***.

٤١ـ الكوراني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ ـ ٨٩٣ هـ) ـ ***الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع***، تح: سعيد بن غالب كامل المجيدي، رسالة دكتوراة

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د. الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية، ت/ن: ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٢ـ الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، (ت:٥٠٥هـ)، ***البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان***: تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط١، د. الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٨م.

٤٣ـ الكرماني، ***أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان***، تح: عبد القادر أحمد عطا وأحمد عبد التواب عوض، د. الفضيلة.

٤٤ـ القطان، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ***مباحث في علوم القرآن***، د. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ت/ط: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٥ـ القطّان، منّاع القطان، ***مباحث في علوم القرآن***، *د. مؤسسة الرسالة، ط٢١٤٣٦هـ ـ٢٠١٥م.*

٤٦ـ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ***الجامع لأحكام القرآن***، تح، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، د. الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠جزءا في ١٠ مجلدات.

٤٧ـ الفارسي: الإمام أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، ت ٢٨٨-٣٨٨هـــ، كتاب: "***الحجة في علل القراءات***" لأبي علي الفارس.

٤٨ـ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، (ت: ١٠٦١هـ)، ***الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة***، تح: جبرائيل سليمان جبور، د. الكتب العلمية بيروت لبنان.

٤٩ـ العيدروسي، عبد القادر بن عبد الله العيدروسي الحسيني، (ت: ١٠٣٨هـ)، ***النور السَّافر عن أخبار القرن العاشر***، تح، أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، د. بيروت.

٥٠ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، ***الصناعتين***، تح، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. المكتبة العنصرية – بيروت، ت، ١٤١٩ هـ.

٥١ـ العسقلاني، ***هدي السَّاري مقدمة فتح الباري***.

٥٢ـ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، ***فتح الباري بشرح صحيح البخاري***، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، د. المعرفة، بيروت، ١٩٦٥.

٥٣ـ العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ) ***بيان المعاني*** (مرتب حسب ترتيب النزول)، د. مطبعة الترقي ـ دمشق، ط١، ت/ط: ١٣٨٢ هـ.

٥٤ـ الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين الحنفي (ت: ٧٥٨هـ)، ***تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك***، تح: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط٢، ب/ت/ط.

٥٥ـ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تح: أحمد محمد شاكر، د. مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٥٦ـ الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (ت: ١٣٧هـ) **المجددون في الإسلام من القرن الرابع إلى الرابع عشرة**.

٥٧ـ الصابوني، محمد علي الصابوني (ت: ١٤٤٢هـ)، ***التبيان في علوم القرآن***، المكتبة الحنيفية، ب/ت/ط.

٥٨ـ الصابوني، ***التبيان في علوم القرآن***، المكتبة العصرية، د. النموذجية، والمطبعة العصرية، صيدا ــ بيروت ـ الشيزري أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي (ت: ٥٨٤هـ)، ***البديع في نقد الشعر***، تح، أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، د. الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي.

٥٩ أبو القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المهرواني، الهمذاني (ت: ٤٦٨هـ)، ***المهروانيات/ الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب***، تخريج: أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ رحمه الله (ت: ٤٦٣هـ)، تح، سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، د. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد المجلدات٣، رسالة ماجستير - كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - نوقشت في شعبان ١٤١٨ هـ.

٦٠ـ الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ)، ***البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع***، ط: ١، د. مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٦١ـ الشوكاني، ***فتح القدير***، د: ابن كثير.

٦٢ـ الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، ***تفسير الشعراوي "الخواطر***، د. مطابع أخبار اليوم، ت/ن: ١٩٩٧ م.

٦٣ـ الشعراوي، عبد الوهاب الشعراني، (ت: ٩٧٣هـ)، ***الطبقات الصغرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية***، تح: أحمد عبد الرحيم السّايح، د. مكتبة الثقافة الدينية، ط١.

٦٤ـ الشعراني، ***اختصار لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المسمى الطبقات الكبرى***، اعتنى به مع الاختصار، عثمان أحمد الحسيني، وحسن محمد الحمد.

٦٥ـ الشعراني ***لطائف المنن والأخلاق***، ط١، (١٤٢٥هـ)، د. التقوى.

٦٦ـ الشريف: محمد موسى الشريف، ***إعجاز القرآن الكريم بين السيوطي والعلماء***.

٦٧ـ الشريف المرتضى، ***أمالي المرتضى***: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، د. الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.

٦٨ـ الشرقاوي، أحمد بن محمد الشرقاوي سالم، ***موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات***، (بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥هـ.

٦٩ـ الشايع، محمد بن عبد الرحمن الشايع، ***نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم***، (رسالة دكتوراه) في كلية أصول الدين، د. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٧٠ـ السيوطي، ***نظم العقبان في أعيان الأعيان***، تح، فيليب حتّي، د. المكتبة العلمية، بيروت، ط، السورية الأمريكية،

٧١ـ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ***معترك الأقران في إعجاز القرآن***، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، د. الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٢ـ السيوطي، ***الدر المنثور***، د. الفكر ـ بيروت.

٧٣ـ السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٩، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٧٤ـ السمين الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت:٧٥٦هـ)، ***الدُّر المصُون في علوم الكتاب المكنون***، تح: أحمد محمد الخرَّاط.

٧٥ـ السخاوي، عبد الرحمن بن محمد السخاوي، (ت: ٩٠٢هـ) ***الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة***، تح، جوده هلال ومحمد محمود صبح.

٧٦ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، (ت: ٩٠٢ هـ)، ***الضوء اللامع لأهل القرن التاسع***، د. مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان.

٧٧ـ السخاوي، شمس الدين السخاوي، (ت: ٦٤٣هـ)، ***هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب***: ط ١، د. الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٤.

٧٨ـ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ***الأعلام***، د. العلم للملايين، ط ١٥، د. العلم بيروت.

٧٩ ـ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ)، ***البرهان في علوم القرآن***، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت.

٨٠ـ الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، د. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ب/ت/ط.

٨١ـ الزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج، ***معاني القرآن وإعرابه***، (٣١١هـ)، د. الكتب العلمية، بيروت.

٨٢ـ الرملي، شمس الدين محمد بن أحمد الرملي الأنصاري الشافعي الصغير، (ت: ١٠٠٤هـ)، ***غاية البيان شرح زبدة ابن رسلان***، تح: أحمد عبد السلام شاهين.

٨٣ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ***مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي القرآن***، تح، مصطفى البابي الحلبي، د، بيروت، ص.

٨٤ـ الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ***تأويل مشكل القرآن***، تح، إبراهيم شمس الدين، د. الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨٥ـ الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، ***كتاب السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير***، د. مطبعة بولاق "الأميرية ـ القاهرة ت/ن: ١٢٨٥ هـ.

٨٦ـ الخطيب الإسكافي، ***درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز***: ط٣، د. الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.

٨٧ـ الجصّاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، ***أحكام القرآن***، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، د. الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٨ـ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، (ت: ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، ***دلائل الإعجاز***، تعليق محمود شاكر.

٨٩ـ الجرجاني، (ت: ٤٧١هـ)، ***دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآيِ والسور***، تح، وليد بن أحمد بن صالح الحسين، د. مجلة الحكمة، بريطانيا، ط ١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٩٠ـ الجراعي المقدسي، تقي الدين أبي بكر بن زايد الجراعي المقدسي الحنبلي (٨٢٥ هـ -٨٨٣ هـ)، ***شرح مختصر أصول الفقه***، تح: عبد العزيز محمد عيسى محمد مزاحم القايدي وعبد الرحمن بن علي الحطاب ومحمد بن عوض بن خالد رواس، أصل الكتاب: رسائل ماجستير بجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د. لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الشامية ـ الكويت، ط١، ت/ط: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٩١ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٨٦٨هـ) ***رسائل الجاحظ***: تح: عبد السلام محمد هارون، د ط، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٧٩.

٩٢ـ الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور. د. إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ت/ط: ١٤٢٢، هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٩٣ـ الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن***، ط١٤١٨،١ه، تح، محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د. إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٤ـ التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ت: ٧٩١هـ)، محتصر المعاني، د. مكتبة سيدا، ط١، ٢٠١٨م.

٩٥ـ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، ***سنن الترمذي***، تح: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، د. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ.

٩٦ـ البيومي، محمد رجب البيومي، ***خطوات التفسير البياني***: ط٢: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مصر.

٩٧ـ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، د. إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، ت/ط: ١٤١٨ هـ.

٩٨ـ البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠ هـ)، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)***، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، نشر: د. طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ت/ط: ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٩٩ـ البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، (ت: ١٣٩٩هـ)، ***هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين***، د. ط١، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استطنبول ،١٩٥١م، ط٢، د، إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

١٠٠ـ البغدادي، إسماعيل باشا البغدادي، (ت: ١٣٩٩هـ)، ***هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين***، د. الفكر.

١٠١ـ البغا ومستو، مصطفى ديب البغا ومحيى الدين ديب مستو، ***الواضح في علوم القرآن***، د. الكلم الطيب، د. العلوم الانسانية ـ دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٠٢ـ البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت: ٣٨٠هـ)، ***التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد***، د. كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض -المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء، ٢.

١٠٣ـ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)***، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، د. طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ت/ط: ١٤٢٢هـ.

١٠٤ـ الباقلاني، أبي بكر بن الطيّب الباقلاني البْري (ت: ٤٠٣هـ)، ***الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به***، تح، محمد زاهد بن الحسين الكوثري، وكيل المشيخة العثمانية سابقاً، (ت: ١٢٩٦ ـ ١٣٧١ه)، د. المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.

١٠٥ـ الباقلاني، أبو بكر ابن الطيب الباقلاني، (ت: ٤٠٣هـ)، ***الانتصار للقرآن***: تح: محمد عصام القضاة، د. ومطبعة ابن حزم، بيروت.

١٠٦ـ الأنصاري، ***فتح الرحمن بكشف ما يلتبس بالقرآن***، تح: محمد علي الصابوني، د: الجيل ـ بيروت، ط١.

١٠٧ـ الأنصاري، ***شرح البسملة والحمدلة***، تح، ودراسة، عبد الملك سالم عثمان الجبوري وعبد السلام مرعي جاسم المولى، جامعة الموصل كلية التربية قسم علوم القرآن.

١٠٨ـ الأنصاري، ***ثبت شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري***، خريجه الحافظ شمس الدِّين السَّخاوي، (ت: ٩٠٢هـ)، تح، محمد بن إبراهيم الحسين، د، البشائر الإسلامية.

١٠٩ـ الأنصاري، ***بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب لأبي زكريا الأنصاري***، تح، خلف عودة القيسي.

١١٠ـ الأنصاري، ***أسنى المطالب في شرح روض الطالب*** نشر: د. الكتاب الإسلامي، ب/ط.

١١١ـ الأنصاري، .....، ***حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل***، تح: السيّد الشريف الدكتور محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني التيلاني.

١١٢ـ الأنصاري، .....، ***الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمَّد الأنصاري***، اعتنى به قاسم الرّفاعي، د. التقوى، ط١.

١١٣ـ الأنصاري، .....، ***منحة الباري بشرح صحيح البخاري***، تح: سليمان بن دريع العازمي، د. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

١١٤ـ الأنصاري، .....، ***إعراب القرآن الكريم للأنصاري***، تح: محمد عثمان.

١١٥ـ الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ***المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم***، تح: محمد فؤاد عبد الباقي د. إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١٦ـ الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، (ت ٢١٦ه)، ***الأصمعيات***، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

١١٧ـ الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، ***رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب***، تح عبد الله شاكر محمد الجنيدي، د. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، في المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ.

١١٨ـ الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، ***درة التنزيل وغرة التأويل***، تح: محمد مصطفى آيدين، نشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ت/ط: ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

١١٩ـ الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، ***معاني القرآن للأخفش***، تح، هدى محمود قراعة، نشر، في مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٢٠ـ الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء ـ البلخي ثم البصري ـ المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، ***معاني القرآن للأخفش***، تح: هدى محمود قراعة، د. مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط١، ت/ط: ١٤١١ هـ ـ١٩٩٠ م.

١٢١ـ أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، ***جامع البيان في القراءات السبع***، د. جامعة الشارقة ـ الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، ط١، ت/ط: ١٤٢٨ هـ.

١٢٢ـ أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ) ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، ج٤٤. د. مكتبة السنة.

١٢٣ـ أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ***زهرة التفاسير***، د. الفكر العربي.

١٢٤جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، ***المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام***، د. الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، عدد الأجزاء:٢٠.

١٢٥أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ ***الكامل في اللغة والأدب***، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، د. الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٤.

١٢٦السراجي، راغب الحنفي راغب السرجاني، ***الأندلس من الفتح إلى السقوط***، المصدر، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكةالإسلامية، http://www.islamweb.net

١٢٧ـ أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، د. الفكر العربي.

١٢٨الباكستاني، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، ***التَّصَوُّفُ.. المنشَأ وَالمَصَادر***، د. إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١، ت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٢٩المحامي، محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا)، المحامي (ت: ١٣٣٨هـ)، ***تاريخ الدولة العلية العثمانية***، تح، إحسان حقي، د. النفائس، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٣٠ـ أبو حفص النعماني، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥ هـ)، ***اللباب في علوم الكتاب***، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، د. الكتب العلمية ـ بيروت لبنان، ط١، ت/ط: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

١٣١- أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***: تحقيق إحسان عباس د، ط، د. صادر، بيروت، ١٩٧٨.

١٣٢أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ***إنباء الغمر بأبناء العمر***، تح، حسن حبشي، د. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ت، ١٩٦٩م.

١٣٣ـ أبو الخير، عبد القادرعيسى الحلبي أبو الخير، ***حقائق عن التصوف***، ط٢٧.

١٣٤ـ ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، (٧٠٨هـ ـ ٧٦١هـ)، ***أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك***، د. ابن كثير، بيروت لبنان، ط٣،١٤٣٥ه ــ ٢٠١٤م، عدد الأجزاء٢.

١٣٥ـ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت: ٧٨هـ)، ***لسان العرب***: د. المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

١٣٦ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت: ٢٧٦هـ)، ***تأويل مشكل القرآن***: تح: أحمد صفر، ط، د. إحياء الكتب العربية مصر، ١٩٨٥م.

١٣٧ـ ابن عجينة، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني (ت: ١٢٦٦هـ)، ***إيقاض الهمم في شرح الحكم***، د. المعرفة، لبنان ـ بيروت.

١٣٨ـ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ت/ط: ١٤٢١ هـ ـ٢٠٠١ م.

١٣٩ـ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، تح شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د. مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٤٠ـ ابن حجر الهيتمي، **ثبت الأمام شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي**، تح، أمجد رشيد، ط١، ١٤٣٥ ــ ٢٠١٤م، د. الفتح للدراسات والنشر.

١٤١ـ ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ***مقاصد الشريعة الإسلامية***، تح، محمد الحبيب ابن الخوجة، د. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج٢، ص٦٦٧، عدد الأجزاء: ٣.

١٤٢ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ***الخصائص***، تح، محمد علي النجار د. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ٤، عدد الأجزاء:٣.

١٤٣ـ ابن جماعة، بدر الدين بن جماعة، (ت: ٧٣٣هـ)، ***كشف المعاني في المتشابه من المثاني***، د: الوفاء، مصر.

١٤٤أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، ***المعجزة الكبرى القرآن***، د. الفكر العربي.

١٤٥ السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، ***عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح***، تح عبد الحميد هنداوي، نشر، المكتبة العصرية، ط، د. بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٤٦ـ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، ***مقدمة في أصول التفسير***، د. مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط ١٤٩٠هـ ــ ١٩٨٠م

١٤٧ـ ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، (ت: ١٠٨٩هـ)، ***شذرات الذهب***، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، د: ابن كثير.

١٤٨ـ ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، ***أحكام القرآن***، تح، محمد عبد القادر عطا، نشر: د. الكتب العلمية بيروت، ط٣.

١٤٩ـ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت. ٣٢٧ه)، ***تفسير القرآن الكريم لابن أبي حاتم***، تح، أسعد محمد الطيب، نشر، د. مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

١٥٠ـ البوطي، محمد سعيد زمضان البوطي، ***الإنسان مسير أم مخير***، دراسة علمية شاملة لمسألة التسيير والتخيير والقضاء والقدر، وما يتعلق بها من ذيول ومشكلات، ط٢، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م، د. الفكر دمشق، المطبعة العلمية.

١٥١ـ البوطي، محمد سعيد رمضان البوطي، من كتابه "***لا يأتيه الباطل***" كشف لأباطيل يختلقها ويلصقها بعضهم بكتاب الله عزَّ وجلَّ.

١٥٢ العسيري، أحمد معمور العسيري، ***موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر***،١٤١٧ هـ/٩٦ - ٩٧ م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١٥٣ Cennet, Mehmet Zülfi, Şii/Usulî geleneğin Kur/an yorumu (Şerif Murtaza Örneği), Fecr Yayınları, Ankara, 2016, s.225. ;

١٥٤ Cennet, Mehmet Zülfi, Tahir b. Aşur ve Nesh Anlayışı (Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi), s. 82-83.

١٥٥ Cennet, Fahreddîn Râzî'nin İcâz Düşüncesinde Bir Kırılma Noktası Olarak Sarfe Temâyülü Tartışması, Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, Cilt: 13 Sayı: 3 s.1254